من تجربتي في تحقيق
نسبة الكتاب وتوثيق عنوانه

د. رمضان عبد التواب (*)

التحقيق فن وعلم يحتاج إلى الكثير من الصبر والخبرة ، وتجارب أعلام هذا الفن جديرة بالاطلاع عليها ، للإفادة منها .

والدكتور رمضان عبد التواب له باع طويل في ميدان التحقيق ، فقد حقق حوالي ٣٠ كتاباً في علوم اللغة العربية : فقهاً وبلاغة وأدباً وتاريخاً . كما أنه وضع كتاباً في مناهج تحقيق النصوص بين القدامى والمحدثين .

وفي هذا البحث الميداني يتحدث د. رمضان عن تجربته في جزء هام لا غنى عنه في عملية التحقيق : نسبة المخطوطة وتوثيق عنوانها .

« المجلة »

---

* أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وعضو فى ٣١ هيئة علمية وندوة ومؤتمراً . له ١٠ مؤلفات ، وترجم ٥ كتب ، وحقق ٣٠ كتاباً ، وكتب ٧٦ مقالاً وبحثاً علمياً في مختلف الدوريات الصادرة في الوطن العربي .

أن قلت فى كلام قديم لى ، إن المحقق لابد أن يتحلى بالصبر
سبق والجلد ، وأن « المحقق الأمين قد يقضى ليلة كاملة فى تصحيح كلمة ، أو إقامة عبارة ، أو تخريج بيت من الشعر ، أو البحث عن علم من الأعلام فى كتب التراجم والطبقات [١] » .

واليوم أقول إن هذا المحقق قد يقضى شهورا وسنوات ، وهو يبحث فى تحقيق نسبة مخطوطة إلى صاحبها ، أو التهدّى إلى معرفة صحة عنوانها !

ولى مع هذا الموضوع الشائك الشائق تجارب وتجار ب ، يضيق المقام هنا عن سردها كلها ، ولكن الأمثلة قد تغني عن الحصر .

فى عام ١٩٦٢ م ، عنيت بجمع تراث لحن العامة المخطوط ، من مكتبات العالم المختلفة ، تمهيدا لتحقيقه ونشره ودراسة التطور اللغوى فى العربية من خلاله . وكان فى مكتبة دير الإسكوربال بأسبانيا ، مخطوطة فى هذا المجال برقم ١٢٣ تسمى : « أغلاطي » لصفى الدين الحلى ، وعندما حصلت على ميكروفيلم منها ، وجدت فى أول المخطوطة : « هذه مسائل مهمة للصفى الحلى ، ومن خطه نقلت ، من كتابه الموسوم بأغلاطى [٢] » .

وعندما تصفحت المخطوطة ، لم أجد نصها غريباً علىَّ ، فأنا أعرفه تماما فى كتاب : « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف [٣] » للصلاح الصفدى (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) ، وكانت عندى منسوخة من هذا الكتاب ، من مصورة المكتبة الزكية بدار الكتب المصرية (رقم ٣٧ - ٣٨

---

(١) انظر : مقدمة تحقيقى لكتاب : « البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث » ، لابن الأنبارى ٤ ومناهج تحقيق التراث ٤ ؛ ١١٧ .

(٢) هكذا فى المخطوطة وكتالوج ديرنبورج ص ٧٦ رقم ١٢٣ وهو صواب . أما ماذكره بروكلمان GAL II 160 وعيسى اسكندر المعلوف فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣/٣٥٣ وكذلك ريزيتا نوفى قائمته رقم ٣١ من أن اسم المخطوطة : « الأغلاطى » فهو خطأ !

(٣) نشره فيما بعد تلميذى الدكتور السيد الشرقاوى ، بالقاهرة سنة ١٩٨٧ م ، وكان جزءا من متطلبات رسالته للماجستير ، تحت إشرافى .

لغـة) . وعنـدما قارنتها بمخطوطة الإسكوريال هذه ، تأكد لي بالفعل أن ما يسمى « بأغـلاطى » للصفي الحلي ، ليس إلا نسخة أخرى ناقصة من كتـاب : « تصحيح التصحيف وتحـريف التحريف » للصفدى ، وهى فى الحقيقة عبارة عن النصف الثانى من هذا الكتاب .

ولعـل قائـلا يقـول : لمـاذا لا يكون الكتاب فى الأصل ، من تأليف الصفى الحلى [١] ، وأن تكـون نسبته إلى الصفدى غير صحيحة ؟ ونقول نحـن : إن الـكتـاب ينسب فى بعض كتب التـراجم والـطبقـات إلى الصفدى [٢] ، ولم أجد فى هذه الكتب ذكراً له بين مؤلفات صفى الدين الحلى .

هذا إلى أن فى نصوص الكتاب نفسه ما ينطق بنسبته إلى الصفدي ، ونفيه عن الحلى ؛ فقد ذكر فيه الصفدى بعض كتبه التى نعرفها له ؛ كقوله مثلا (تصحيح التصحيف ١٤) : « وقد ذكرت فى كتابى : فض الختام عن التـورية والاستخـدام ، الأمـاكن التى صحفهـا حماد الراوية ، فى القرآن العـظيم » ، وقـوله (تصحيح التصحيف ٦٤) : « وأما ما عثرت عليه من التصحيف فى كتـاب الصحـاح للجوهرى ، فقد ذكرت ذلك مستوعباً فى كتـابى : نفـوذ السهم فيمـا وقـع للجوهرى من الوهم » ، وقوله (تصحيح التصحيف ٣٣١) : « وقد أشبعت القول فى هذه المسألة فى كتاب : نفوذ السهم فيمـا وقـع للجـوهـرى من الـوهم » ، وقـوله (تصحيح التصحيف ٣٥٥) : « وقد ذكرت ذلك فى كتابى : حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد » .

وفى مقدمة الكتاب (ص ٢٩ ـ ٣٠) نقرأ قول مؤلفه : « وأما تصحيف (خليل) فكنت أنا قد كتبت إلى القاضى جمال الدين عبد الله بن الشيخ علاء الدين بن غانم ، رحمهما الله تعالى ، وقد توجه من دمشق إلى بعلبك ، وطالت غيبته ، وصحفتْ اسمى فى عدة مواضع من أبيات . . . منها :

أنـا جليلُ صُحبـة — ودادُهـا قد جَلَبَـكْ
حَلْيُك فيه فاخـر — وسِحْـرُه قد خَلَبَكْ »

---

(١) هو صفى الدين عبد العزيز بنّ سرايا الحلى ، ولد سنة ٦٧٧ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وكان من شيوخ الصفدى . انظر : النجوم الزاهرة ٢٣٨/١٠ .

(٢) مثل : هدية العارفين ٣٥١/١ .

ونحن نعرف أن اسم الصفدى : (خليل) ، أما الحلي فاسمه : (عبد العزيز) .

كمـا يُروى فى الكتـاب عن الحـافظ المِـزِّى ، والمِـزىّ من شيوخ الصفدى [١] . ومن أمثلة ذلك قوله : « ما رأيت فيه من يحقق لفظه ، غير شيخنا الحافظ جمال الدين المزى رحمه الله [٢] » .

أمـا نسبة الكتاب إلى « الصفى الحلى » فى مخطوطه الإسكوريال ، فيبـدو أن السبب فيهـا أن الصفـدى يروي فى الكتـاب كثيرا عن شيخه « الحلى » ، فخيل للناسخ حين رأى هذا الاسم يتردد فى المخطوطة كثيرا ، أن الكتاب للحلى ، ولعله كان ملحقا بكتاب آخر بخط الحلى ، يسمى : « أغلاطى » [٣] .

يقـول الصفـدى مثـلا (تصحيح التصحيف ٢٢) : « وللشيخ صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله ، رسالة رويتها عنه بالإجازة » . ويقول (تصحيح التصحيف ٣١) : « ومن التصحيف اللطيف ما أنشدنيه لنفسه إجازة الشيخ الإمام صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ، رحمه الله » . ويقول (تصحيح التصحيف ٣٨) : « وأنشدنى إجازة لنفسه صفى الـدين عبد العزيز الحلى » . ويقول (تصحيح التصحيف ٤٣) : « ومن ذلـك ما أنشـدنيه لنفسـه إجـازة الشيخ صفى الـدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ، رحمه الله تعالى » .

هذا ، ومن الأدلة كذلك على صحة نسبة الكتاب إلى الصفدى ، أن فيه إجـازة بخـطه [٤] ، يقـول فيهـا : « قرأ علىَّ كتابى هذا الموسوم بتصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، فى ستة عشر ميعادا ، من أوله إلى آخره ، فى مدة كان آخـرها يوم الاثنين عاشر ذى القعدة سنة تسع وخمسين ، المولى الإمام الفاضل . . . وقد أجزتهم أجمعين رواية ذلك ، ورواية ما يجوز لى تسميعـه ، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر . وكتب خليل بن أيبك الصفدى بحلب المحروسة ، حامدا الله تعالى ، ومصليا على نبيه ومسلما » .

* * *

(١) انظر ترجمة المزى ، فى الدرر الكامنة ٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧ .

(٢) تصحيح التصحيف ٣٢٧ = الإسكوريال ١٣ / ٩ .

(٣) أو لعل هذا العنوان من اختراع الناسخ ، استقاه من مضمون الكتاب .

(٤) فى صفحة ١٢ من مصورة الزكية = صفحة ٣٧ من مقدمة التحقيق .

وهـذان كتابان مطبوعان للأصمعى ، فى اللغة ، عرفتهما وأنا أحضر رسالتى للدكتوراه فى ألمانيا سنة ١٩٦٠ م ، وهما : كتاب « الأضداد [١] » ، وكتاب « النخل والكرم [٢] » .

غير أن من يدرس الكتاب الأول ، ويقارنه بكتاب : « الأضداد » لابن السكيت [٣] ، يدهش حين يرى الاتفـاق الكبير بين هذين الكتابين ، وقد لاحظ ناشره « هفنر » ذلك ، غير أنه قال فى مقدمة كتاب ابن السكيت [٤] : « يمكننا اعتبار كتاب الأضداد ، لابن السكيت ، كرواية ثانية لكتاب الأصمعى » .

وهذا الكلام الذى يقوله « هفنر » غير صحيح ، فإن كتاب « الأضداد » الـذى ينسب للأصمعى ، يفيض بالـراوية عن أبى زيد ، والأموى ، وابن الأعـرابى ، وأبى عبيدة ، والفـراء ، والأثـرم . وإن من يدرس مؤلفـات الأصمعى التى وصلت إلينـا ، يعرف أنه لم يرو عن هؤلاء الرجال شيئا ، وعلى الأخص عن خصميه : ابن الأعرابى ، وأبى عبيدة ، فليس فى واحد من كتبـه أى ذكـر لهم . هذا إلى أن الأخير ، وهـو الأثـرم ، شيخ لابن السكيت ، لا للأصمعى .

وإذا كنا نرى هذه الأسماء ، ترد بعينها فى أماكن مطابقة ، فى كتاب ابن السكيت ، فإن المرء يستطيع الحكم بأن كتاب : « الأضداد » الذى ينسب إلى الأصمعى ، ليس إلا رواية أخرى لكتاب ابن السكيت .

أما أن تكون المخطوطة التى اعتمد عليها « هفنر » فى نشر الكتاب ، كانت تحمل اسم الأصمعى ، فأمر سهل التعليل ؛ لأن الكتاب يبدأ بعبارة : « قال الأصمعى » ، فابن السكيت يبدأ كتابه بالرواية عن الأصمعى ، فجاء أحد النساخ ، وظن الكتاب كله للأصمعى ، فنسبه إليه . وأغلب الظن أن ذلك قد حدث هنا ويحدث فى حالات مماثلة ، بسبب ضياع ورقة العنوان .

---

(١) نشرة أوجست هفنر ، فى مجموعة بعنوان : « ثلاثة كتب فى الأضداد » ـ بيروت ١٩١٣ م .

(٢) نشرة أوجست هفنر ولويس شيخو ، فى كتاب : « البلغة فى شذور اللغة » ـ بيروت ١٩١٤ م .

(٣) نشره أوجست هفنر فى مجموعة : « ثلاثة كتب فى الأضداد » السابقة .

(٤) هامش صفحة ١٦٣ .

ومما يمكن أن يمثل به لهذه الظاهرة هنا : مخطوطة « الغريب المصنف » الموجودة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٢١ لغة) ، والتى كتب فى صفحة العنوان بها : « الغريب المصنف لأبى عمرو الشيبانى » . والصواب أن الكتاب لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى ، كما هو ثابت فى مخطوطاته الأخرى . ولعل السبب فى خطأ النسبة فى هذه المخطوطة ـ كما قلنا ـ أن الكتاب يبدأ بعبارة : « قال أبو عبيد : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول . . . » ، فظن الناسخ الذى كان ينسخ ـ فيما يبدو ـ من نسخة ضاعت منها ورقة العنوان ، أن الكتاب لأبى عمرو الشيبانى ، فعزاه إليه .

ولا يعنى ما قلناه هنا ، أن الأصمعى لم يؤلف كتابا فى « الأضداد » ، فإن جمهرة المصادر التى ترجمت له ، تذكر أنه ألف مثل هذا الكتاب (١) ، غاية ما هناك أنه ضاع ولم يصل إلينا ، وليس هو على أية حال ، ذلك الكتاب المطبوع الذى نشره « هفنر » منسوبا إليه (٢) .

* * *

أما الكتاب الثانى ، الذى ينسب زورا وبهتانا إلى الأصمعى ، وهو : « النخل والكرم » ، فقد قال عنه « هفنر » فى المقدمة : « هذا الفصل ورد فى النسخة الدمشقية ، من الصفحة ٢٦١ ـ ٢٩٣ وليس فى أول الفصل ذكر اسم الأصمعى ، ولكن صاحب لسان العرب ، نقل كثيرا من هذا الكتاب بحرفه الواحد ، وهو يعزوه مطلقا إلى الأصمعى ، فلا نتمارى فى نسبته إليه » .

غير أن « لويس شيخو » يشك فى هذا الكلام ، حين يقول : « أما نسبة الدكتور هفنر هذا الكتاب إلى الأصمعى ، فهو على ما نظن على التغليب ؛ لأن نسختنا التى أخذ عنها ، لا تصرح باسم الأصمعى . ومن المحتمل أن يكون الكتاب لأبى عبيد معاصر الأصمعى . ومما يحملنا إلى نسبته لأبى عبيد ، أن الشروح للمفردات ، توافق ما جاء فى لسان العرب ، والمخصص

---

(١) انظر : مقدمة تحقيقنا لكتابه : « اشتقاق الأسماء » ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) انظر كذلك : مقالتنا « كتاب الأضداد للأصمعى ليس للأصمعى » فى مجلة : « المكتبة » العراقية ـ نوفمبر ١٩٦٦ ، وكتابنا : « فصول فى فقه العربية » ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وكتاب محيى الدين توفيق : « ابن السكيت اللغوى » ٢٤٧ ـ ٢٤٨ وقد حاول الدكتور محمد حسين آل ياسين عبثا تصحيح نسبة هذا المطبوع إلى الأصمعى . وهو منه برىء . انظر كتابه : « الأضداد فى اللغة » ٣٦٧ ـ ٣٧٥ .

لابن سيدة ، منسوبا لأبى عبيد ، أكثر منها للأصمعى . ومن المحتمل أيضا أن يكون الكتاب لأبى حاتم تلميذ الأصمعى » .

وحين درست هذا الكتاب : « النخل والكرم » قبل حوالى ثلاثين عاما ، تبين لى أنه فى الحقيقة والواقع ، كتابان مستقلان ، لا علاقة لأحدهما بالآخر ، وهما : « كتاب النخل » و« كتاب الكرم » .

وقد قادتنى دراستى للكتاب الأول ، وفحصى له بعناية ، إلى اليقين بأن هذا الكتاب ، ليس إلا قطعة من كتاب : « الغريب المصنف » لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى (١) ، وذلك بعد حذف أسماء الرواة ، ومعظم الشواهد الشعرية . والمثال التالى يوضح ذلك على الوجه الأكمل (ما تحته خط هو ما تركه صاحب الكتاب المزيف) :

النخل ٧٠ :

« ومن نعوت النخلة فى حملها : إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البَكُور ، وهن البُكُر . والمُبْتِل : الأم يكون لها فَسيلة ، وقد انفردت واستغنت عن أمها . ويقال لتلك الفسيلة : البَتُول . والبَكِيرَة مثل البَكُور . والمِسْلاخ التى نبتت (كذا) بواسرها . والخَضِيرة : التي نبت (كذا) بُسْرُها وهو أخضر . والمئخار : التى يبقى حملها إلى آخر الصِّرام » .

الغريب المصنف ٢٥٩ :

باب نعوت النخل فى حملها : **الأصمعى** : إذا كانت تدرك فى أول النخل ، فهى البَكُور ، وهى البُكُر . **وأنشد للمتنخل** :

ذلك ما دينكَ إذ جُنِّبتْ ... أحمالُها كالبُكُر المُبْتِلِ

قال : والمُبْتِل : الأم تكون لها فسيلة ، قد انفردت واستغنت عن أمها ، فيقال لتلك الفسيلة : البَتُول . **الفراء** البَكيرة مثل البَكُور . **قال** : والمسلاخ : التى ينتثر بسرها . والخَضِيرة : التى ينتثر بسرها وهو أخضر . **الأصمعى** : المئخار : النخلة التى يبقى حملها إلى آخر الصِّرام . **وأنشد** :

تَرى العَضِيض المُوقَر المئخارا

---

(١) توفي سنة ٢٢٤ هـ . انظر الترجمة المفصلة التى صنعناها له في مقدمة تحقيقنا لكتابه : الخطب والمواعظ (ص ٧ ـ ٧٢) .

من وَقْعة ينتشر انتشارا »

* * *

أما الكتاب الثانى : « الكرم » ، ففى أوله العبارة التالية : « عن أبى حاتم السجستانى » . وقد علق الناشر على ذلك بقوله فى الهامش : « كذا فى الأصل . والظاهر أن أبا حاتم السجستانى ، روى كتاب الكرم عن الأصمعى » !

غير أننى وجدت نص كتاب الكرم يبدأ بالإسناد التالى : « حدثنا الحسن ابن على الطوسى ، قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ببغداد ، قال : أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان [1] السجستانى ، قال الطائفى : يقال . . . » .

وفى هذا الإسناد ، لا نرى اسم الأصمعى على الإطلاق ، بل نرى اسم أبى حاتم السجستانى . وهذا يجعلنا نؤمن بأن هذا الكتاب ، من تأليف أبى حاتم ، لا من تأليف الأصمعى . ويؤيد هذا أيضا أن ابن النديم [2] يذكر أن أبا حاتم ألف كتابا فى « الكرم » . ويؤيد هذا أيضا أن الذين ترجموا للأصمعى ، لم يذكروا أنه ألف مثل هذا الكتاب [3] .

* * *

وهذا مثال آخر ، يظهر منه ضرورة توثيق عنوان الكتاب قبل الإقدام على نشره ، وإخراجه للناس ؛ فقد نشر المجمع العلمى العربى بدمشق فى عام ١٩٦٢ م ، كتابا للإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (المتوفى سنة ٣٣٧ هـ) هو كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » ، بتحقيق المرحوم عز الدين التنوخى ، عن نسخة وحيدة مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة برقم ٣٥٦ نحو ، عن مخطوطة رئيس الكتاب باستانبول (رقم ٨٧٩) .

وقد أثبت بحثى فى كتب التراجم والطبقات ، أن هذا الكتاب لم يذكره

---

(١) في الأصل : « عمر » وهو تحريف .

(٢) انظر كتابه : الفهرست ٩٣ .

(٣) انظر : مقدمتنا لتحقيق كتاب : « اشتقاق الأسماء » للأصمعى ، ومقالتنا بعنوان : « وكتاب النخل والكرم أيضا ليس للأصمعي » فى مجلة : « المكتبة » العراقية ـ مارس ١٩٦٧ م ، وكتابنا : « فصول فى فقه العربية » ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

أحد ممن ترجموا للزجاجي ، غير أن ذلك ما كان يعنى شيئا بالنسبة للكتاب ، فعندنا الكثير من الكتب ، التى لا يشك أحد فى نسبتها إلى أصحابها ، ولم يذكرها كتّاب التراجم والطبقات ؛ لأنهم لم يعنوا بالحصر الكامل لمؤلفات من يترجمون له ، فعدم ذكر كتاب ما فى واحد من كتب التراجم والطبقات ، لا يصح وحده أن يكون مؤديا إلى الشك فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه ؛ إذ لم تَدَّعِ كتب التراجم يوما أنها أحصت جميع مؤلفات العلماء الذين يرد لهم ذكر فيها .

ولدينا الأمثلة على ذلك ؛ فكتاب « الأمثال » لمؤرج السدوسي ، الذى نشرته أنا بالقاهرة سنة ١٩٧٦ م ، لولا اقتباسات منه فى « جمهرة الأمثال » للعسكرى ، و« مجمع الأمثال » للميدانى ، و« خزانة الأدب » للبغدادى ، وغيرها ، لشك المرء فى نسبته إليه ؛ إذ لم يرد له ذكر بين كتب المؤرج ، التى تروى له فى كتب التراجم والطبقات .

وكذلك كتاب : « البئر » لابن الأعرابى ، الذى نشرته أنا كذلك فى القاهرة سنة ١٩٧٠ م ، لم يذكر فى كتب الطبقات التى ترجمت لابن الأعرابى ، وإنما ذكر فى فهرسة ابن خير وحدها ، إلى غير ذلك من الحالات الكثيرة التى يظهر فيها كتاب معين لعالم من العلماء ، ولم تنبه عليه الكتاب التى ترجمت له (١) .

بناء على كل هذا ، لم يكن من المستغرب أن يوجد بين أيدينا كتاب للزجاجى ، لم تذكره كتب التراجم والطبقات ، وهو كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » ، غير أننى عندما درست قديما كتاب : « شرح شواهد الشافية » للعالم الجليل « عبد القادر البغدادى » ، عرفت أن مايسمى : « بالإبدال والمعاقبة والنظائر » للزجاجى ، ليس إلا فصلا من كتاب آخر كبير له ، هو : « الأمالى الكبرى » .

وقد صرح بذلك البغدادي فى أكثر من مرة ، كما أثبتت المقابلة بين النصوص التى اقتبسها البغدادى ، والكتاب المطبوع ، صدق هذا الرأى .

فمن ذلك قول البغدادى (شرح شواهد الشافية ٤٢٣) : « وأورد

---

(١) انظر : مقدمات تحقيقى لقواعد الشعر لثعلب ١٤ والأمثال لمؤرج ٢٢ والبئر لابن الأعرابى ٢٩ وانظر أيضا كتابنا : مناهج تحقيق التراث ٧٤ ـ ٧٥ .

الزجاجى فى أماليه الكبرى ، فى باب : المعاقبة والإبدال ، كلمات أخر لم يذكرها ابن السكيت ، قال : باب الحاء والخاء : يقال دَحمته ودَخَمته ، ومرحوم ومرخوم . ومنه : نضحته ونصخته . قال تعالى : ﴿ فيهما عينان نَضَّاختان ﴾ . وقول الأعشى :

. . . . وصال ذى رحم نضحت بلالها

ويروى : نضخت . ويقال : صَمَحَتْه الشمسُ وصمخته ، أى : غيّرت لونه وأحرقته . ويقال : مُحّ ومُخّ ، ولحم ولخم ، وشحم وشخم ، ومَطَرٌ سَحّ وسخّ : كثير الماء . قال الراجز :

يا هندُ أُسقيتِ السّحاب السُّخُخَا
لا تجعلينى كهجانٍ أبْزَخَا

ويقال : رجل رَحُوث ورَخُوث ، أى : كبير البطن . وأورد كلمتين مما أورده ابن السكيت ، وهما : فاح ريحُ المسك يفوح ، وفاخ يفوخ فَيَحَاناً وفَيخانا ، وفَوَحَاناً وفَوخانا . وتَخوّفت الشىء وتحوّفته ، أى : تنقّصته . هذا جميع ما أورده الزجاجى [1] » .

وهذا النص بعبارته فى الإبدال والمعاقبة والنظائر (ص ٤٩ ـ ٥٢) .

وفيما يلى بيان بالاقتباسات التى تؤكد هذا الرأى ، فى كتاب شرح شواهد الشافية وما يقابلها فى الإبدال والمعاقبة والنظائر .

(ص ٤٢٥) : وقد أورد الزجاجى هذا الشعر فى أماليه الكبرى ، فى بحث إبدال الحروب بعضها . قال فى باب التاء والكاف فى المكنى . . . » = الإبدال والمعاقبة والنظائر ١٠٦ .

(ص ٤٣٣) : « وكذا عقد له فصلا أبو القاسم الزجاجى فى أماليه الكبرى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٣ .

(ص ٤٣٥) : « وأما ما أورده الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٤ .

---

(١) ذكر البغدادى هذا الموضع كذلك فى كتابه : خزانة الأدب ٢/٢٥٨ فقال : « وأما الزجاجى فإنه رواه فى آخر أماليه الكبرى على خلاف هذه الرواية . . . . » . وكذلك فى كتابه : شرح شواهد المغنى ٣/ ٣٥٠ فقال : « وقد روى الزجاجى فى آخر أماليه الكبرى هذا الرجز » . ولما كان هذا الكلام قد ورد فى آخر كتاب الإبدال والمعاقبة ، فإننا يمكن أن نستنبط من كلام البغدادى فى هذين الموضعين أن باب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، كان آخر أبواب الأمالى الكبرى للزجاجى .

(ص ٤٣٨) : « ومما أورده الزجاجى فى أماليه . . . » = الإبدال والمعاقبة ٢٩ .

(ص ٤٥٧) : « وزاد الزجـ . . . » = الإبدال والمعاقبة ٩٩ .

(ص ٤٦٤) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٣٧ .

(ص ٤٦٦) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٩٣ .

(ص ٤٧٠) : « وزاد الزجاجى . . . » = الإبدال والمعاقبة ٥٥ .

وقد ثبت من كل هذا أن كتاب : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » جزء من كتاب كبير للزجاجى وليس كتابا مستقلا [1] . وهذا الأمر ينبغى أن يلاحظ عند التفكير فى إعادة طبع الكتاب مرة أخرى ؛ إذ ينبغى أن ينشر على أنه فصل من الأمالى الكبرى ، لا على أنه كتاب مستقل .

* * *

وهـذا مثـال صارخ على ما ينبغى أن يتحلى به المحقق من الصبر والجلد ، وعدم التسرع فى اتخاذ القرار ، إلا بعد التيقن والاطمئنان إلى الحكم بنسبة مخطوطة ما إلى أحد علماء العربية ، وعدم الأخذ بالظن فى إثبات عنوان المخطوط ، حتى لو استغرق كل ذلك سنوات وسنوات .

ففى سنة ١٩٦٠ م ، قرأت فى فهرس المخطوطات ، الذى صنعه « دير نبورج » Derenbourg لمكتبة دير الإسكوريال بأسبانيا ، أن أبا هلال العسكرى ألف كتابا سماه : « النوادر فى العربية » ، ونقل بعض مقدمته ، ومنها : « الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

أحـقًّـا عبـادَ الله أنْ لسـتُ لاقـيا بثـينـة أو يلقـى الـثـريّا رقيبُـهـا

عَلَام أيهـا الأخ وقـاك الله المحـذور . ولقاك فى مقاصيدك السرور ، تضاهى النجم ورقيبه فى المقاطعة ، ولاتباهى الثريّا والعَيُّوق بالمطالعة . . . . » .

وقد أعجبنى آنذاك موضوع الكتاب ، وبراعة أبى هلال ـ زعموا ـ فى مقدمته ، وأنا من المغرمين بتحقيق التراث العربى القديم ، لكبار علماء العربية .

---

(١) انظر مقالتنا : « كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، للزجاجى ، ليس كتابا مستقلا له » فى مجلة « المكتبة » العراقية ـ فبراير ١٩٧٢ م .

ومن ميونخ بألمانيا الغربية ـ حيث كنت أحضر أطروحتي للدكتوراه ـ كتبت خطابا إلى مكتبة دير الإسكوريال ، راجيا أن يصوروا لى نسخة من هذا الكتاب النفيس : « النوادر فى العربية » ، لأبى هلال العسكرى !

وعندما وصلت إلىّ المصورة ، ووقعت عينى على الصفحات الأولى منها ، وجدت ماادعاه « ديرنبورج » فى فهرسه ، سرابا فى سراب ، فلا الكتاب كتاب « النوادر » ، ولاصاحبه « أبو هلال العسكرى » ، فليس للكتاب عنوان ، وإنما توجد على الهامش الأيسر الأعلى ، لوجه الورقة الأولى البالية منه ، هذه العبارة : « هذا الكتاب يذكر فيه فضائل فضلاء العرب ، وفيه أحسن أشعار أمْثَلِهم ، بحسب المناسبة واقتضاء المقام ، فى شأن أكثر المتداولات بينهم ، والمستعملات بين جميع الشعراء والمنشئين » .

وتحت هذا الكلام بيتان للبديع الهمذاني ، هما :

رأى الصيف مكتوبا على باب داره فصحفه ضيفا فمال إلى السيف
فقلت له خيرا فأوهم أننى أقول له خبزا فمات من الخوف

أما الوهم الذى وقع فيه « ديرنبورج » بنسبة المخطوطة إلى أبى هلال العسكرى ، فإن مبعثه أن الهامش الأعلى لظهر الورقة الأولى ، به قبل النص مباشرة طغراء ، قراءته : « صاحبه حسن بن عبد الله » ، وهو لمالك النسخة بلا شك ، ولكن « ديرنبورج » ظن أن كلمة : « صاحبه » تعنى : « مؤلفه » ، فراح يبحث فى كتب التراجم والطبقات ، عمنْ سمى بالحسن بن عبد الله ، فعثر على « أبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى » (المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ) ، فنسب الكتاب إليه !!

وهكذا ضاع العنوان ، وضاع المؤلف لهذا الكتاب القيم ، فى طرفة عين ! وعندئذ رحت أتصفح المصورة التى حصلت عليها من دير الإسكوريال بعناية ودقة ، فوجدت صاحبها يحدث عن خمسة من العلماء ، وهم :

١ ـ أبو الحسن بن طلحة الإسفراييني (٣ أ / ٩ : حدثنى أبو الحسن بن طلحة الاسفراييني وهو من ذى البيوتات القديمة فى العلم بخراسان) .

٢ ـ عبد القاهر الجرجانى (٢٠ ب / ١٣ : وأنشدنى الشيخ عبد القاهر النحوى) .

٣ - ابن أيوب البزّار (٣٢ أ / ٩ : وأخبرنا ابن أيوب البزار ، بمدينة السلام) .

٤ - فيد بن عبد الرحمن الصوفى (٣٢ أ / ١٢ : وأخبرنى فيد بن عبد الرحمن الصوفى ، بهمذان) .

٥ - أبـو الحسن على بن أحمد النسوى (٧٧ أ / ٨ : وحدثنى أبو الحسن على بن أحمد النسوى) .

كما يذكر المؤلف من مصنفاته خمسة كتب ، هى :

١ - الخيل (انظر : الكتاب التالى) .

٢ - الإبـل (١٥ ب / ١٠ : وأنـا أورد منهـا ـ أى سيوف العـرب ـ مايحسن موقعه من المنثور والمنظوم ، حسبما ذكرت فى كتابيّ : الخيل ، والإبل ، من أسمائها) .

٣ - منية الأديب (٥٥ أ / ٤ : وقد صنفت كتابا وسمته بمنية الأديب) .

٤ - الـدرّة الثمينـة (٦٧ ب / ١٥ : وقد ذكرنا فى الكتاب الموسوم بالدرة الثمينة من هذا الفن مافيه كفاية ومقنع ٧٤ ب / ٣ : وليجل ناظره فى كتابى الموسوم بالدرة الثمينة) .

٥ - الفيصل (٧٤ أ / ٢٠ : فليتصفح كتابى الذى يدعى : الفيصل) .

ولم يشتهر مِنَ العلماء الخمْسة السابقين ، سوى عبد القاهر الجرجانى النحوى البلاغى الكبير ، صاحب : الجمل فى النحو ، والمتقصد فى شرح الإيضاح ، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة وغيرها . وقد توفى سنة ٤٧١ هـ [١] .

ولاتذكر الكتب التى ترجمت لعبد القاهر الجرجانى ، فى أثناء ترجمتها له سوى تلميذين ، هما : أبو الحسن على بن محمد الفصيحى [٢] ، وأبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى [٣] .

وقد بحثت طويلا فى ترجمة كل واحد منهما ، عن الكتب الخمسة

(١) انظر ترجمته فى إنباه الرواة ٢ / ١٨٨ .

(٢) توفي سنة ٥١٦ هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢ / ١٩٧ .

(٣) توفي سنة ٥٠٢ هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢ / ٣٣٨ .

المذكورة فى المخطوطة ، فلم أجد لواحد منها أثرا فى أى كتاب ترجم لهما . وإذا كان عدم ذكر كتاب ما فى كتب التراجم والطبقات ، لايصح وحده أن يكون مؤديا إلى الشك فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، كما سبق أن ذكرنا ، فقد هممت فى ذلك التاريخ السحيق ، أن أنشر هذا الكتاب القيم ، تحت عنوان : « كتاب فى النوادر ، لتلميذ مجهول لعبد القاهر الجرجانى » . ولكن الحنبلية المتطرفة التى منيت بها فى بحوثى وتحقيقاتى ، منذ القديم ، جعلتنى أحجم بسرعة عما كنت قد هممت به .

ومضى ربع قرن من الزمان ، كنت فيه مفتوح العين ، على أيه ترجمة لعبد القاهر الجرجانى تظهر هنا أو هناك ، وعلى أى عنوان من عنوانات الكتب السابقة ، فى هذا المرجع أو ذاك .

وكان صديقى المستشرق الألمانى « رودلف زلهايم » ، قد ظن ـ وكنت تحدثت معه بشأن هذا المخطوط ـ أنه عثر على المؤلف ، وهو « الإمام أبو حامد الغزالى » (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ) ؛ لأن بعض كتّاب التراجم ذكر له كتاب : « الفيصل » ، كما أنه من معاصرى الإمام عبد القاهر الجرجانى ، والرواية عنه فى هذه الحالة أمر ممكن .

غير أن هذا الظن ذهب أدراج الرياح ؛ إذ تبيّن لى بعد البحث ، أن الاسم الكامل لكتاب الغزالى هو : « الفيصل فى التفرقة بين الإسلام والزندقة » ، وموضوعه بعيد عن سياق الموضوع الذى ذكر فيه كتاب : « الفيصل » فى المخطوطة .

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٨٥م ، كنت أقلب ذات مساء كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، بحثا عن بعض ماكنت مشغولا به آنذاك من مسائل العلم ، وإذ بعينى تلتقط فى أول سطور صفحة (٢٤٤) من الجزء السابع عشر ، عبارة « الدُّرّة الثمينة [١] » ، وهى عنوان لأحد مؤلفات أبى المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى ، الشاعر المشهور (المتوفى سنة ٥٠٧ هـ) . وقد فرحت فرحا شديدا ، وأنا أقلب ترجمة الأبيوردى فى معجم الأدباء ، إذ رأيت ياقوتا يذكر مرتين أن الأبيوردى لقى عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى ، وأخذ عنه .

---

(١) ذكره أيضا : الصفدي في الوافي بالوفيات ٢ / ٩١ والبغدادي في هدية العارفين ٢ / ٨١ .

وأخذت أبحث عن الأبيوردى فى كتب التراجم والطبقات ، حتى أكون على يقين مما ذكره صاحب معجم الأدباء ، وقد وجدت الكثير منها يذكر أنه تتلمذ على عبد القاهر الجرجانى .

وهنا لابد من التوقف أمام قضية خطيرة ، نجدها فى كتب التراجم والطبقات ، إذ تعودت هذه الكتب أن ينقل اللاحق منها عن السابق ، دون أن يقوم مؤلفوها بالتنسيق المطلوب بين المعلومات المذكورة فيها هنا وهناك .

فنجد مثلا فى كتاب : بغية الوعاة (١ / ٤٠) فى ترجمة « الأبيوردى » أنه تلقى العلم على « عبد القاهر الجرجانى » ، على حين نجد أن السيوطى قد أخلّ بهذه المعلومة فى ترجمة « عبد القاهر الجرجانى » (بغية الوعاة ٢ / ١٠٦) ، فلم يذكر « الأبيوردى » هنا من بين تلامذة هذا الإمام الجليل !

وبعدم التنسيق هذا الذى ذكرناه ، يمكن أن نفسر كيف ظهر « الأبيوردى » تلميذا للإمام « عبد القاهر الجرجانى » فى ترجمة مؤلَفٍ ما لأبى المظفر الأبيوردى على حين نجد أن هذا المؤلف قد صمت تماما عن ذكر هذه التلمذة ، وهو يترجم لعبد القاهر الجرجانى ! ؟

وعندما تيقنّا من عزو الكتاب إلى الأبيوردى ، وزال الغموض عن شخصية مؤلفه ، كان علينا أن نبحث عن عنوان الكتاب ، وعندئذ لجأت إلى قائمة المؤلفات التى يعدّها كتاب التراجم له ، حينما يتحدثون عنه ، ووقع بصري فى هذه القائمة على مجموعة من العنوانات ، التى تتناسب ـ حسبما كنا نعتقد ـ مع موضوع المخطوطة ، وهى :

١ ـ نهزة الحافظ [١] .
٢ ـ المجتبى من المجتنى [٢] .
٣ ـ زاد الرفاق فى المحاضرات [٣] .

ورجعت إلى تاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان (٥ / ٣٢) ، راجيا أن أجد واحدا من هذه الكتب ، مخطوطا أو مطبوعا ، حتى يمكننى تحديد العلاقة بينه وبين المخطوطة التى معنا .

---

(١) ذكر في : معجم الأدباء ١٧/٢٤٣ والوافي بالوفيات ٢/٩١ وهدية العارفين ٢/٨٢ .
(٢) ذكر في : الوافي بالوفيات ٢/٩١ وهدية العارفين ٢/٨٢ .
(٣) ذكر في : كشف الظنون ٢/٦٤٥ وإيضاح المكنون ١/٦٠٦ وهدية العارفين ٢/٨٢ .

وعـرفت من تاريخ الأدب العـربى أن كتاب « زاد الرفاق » للأبيوردى مخطوط ، ومنه نسخة فى دار الكتب المصرية ، فحملت مخطوطتى ويممت وجهى شطر دار الكتب ، وهناك زال الإبهام ، وانكشف الغموض ؛ إذ أثبتت المقـابلة أن مخطوطتى ، التى طلبت مصورتها من دير الإسكوريال ، قبل خمسـة وعشـرين عاما مضت ، ليست إلا نسخة أخرى من كتاب : « زاد الرفاق » للأبيوردى ، وإن كان بها خرم يصل إلى حوالى ١٩٠ ورقة ، بعد الصفحة الأولى منها . ومن الكتاب نسخة ثالثة كاملة فى مكتبة « لاله لى » فى استانبول (رقم ١٧٨٦) .

وهكـذا ، وبعـد انتـظار دام ربع قرن ، استطعت بحمد الله تعالى ، وشىء من الصبر والتأنى ، أن أعيد الهويّة إلى مخطوطة ظلت قابعة لسنوات طوال فى دير الإسكوريال ، تحت اسم مزيف ، ومؤلف لم يسلم من التزوير .

* * *

قائمـــة المصـــادر

١ - ابن السكيت اللغوي ، لمحيى الدين توفيق - بغداد ١٩٦٩ م .

٢ - اشتقاق الأسماء ، للأصمعى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادى - القاهرة ١٩٨٠ م .

٣ - الأضداد في اللغة ، لمحمد حسين آل ياسين - بغداد ١٩٧٤ م .

٤ - الأمثال ، لأبى فيد مؤرج بن عمرو السدوسى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧١ م .

٥ - إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣ م .

٦ - إيضاح المكنون ، لإسماعيل باشا البغدادي - استانبول ١٩٤٧ م .

٧ - البئر ، لأبن الأعرابى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٠ م .

٨ - بروكلمان GAL (S) =

Geschichte der Arabischen Litteratur, Bd. I-II, Leiden 1943- 1949 und suppl I-III 1937-1942.

٩ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

١٠ - البلغة فى شذور اللغة - نشر أوجست هفنر ولويس شيخو - بيروت ١٩١٤ م .

١١ - البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لأبى البركات بن الأنباري - تحقيق رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٠ م .

١٢ - تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، لصلاح الدين الصفدي - تحقيق السيد الشرقاوى ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٧ م .

١٣ - ثلاثة كتب فى الأضداد ، للأصمعى وابن السكيت وأبى حاتم السجستاني - نشر أوجست هفنر - بيروت ١٩١٣ م .

١٤ - خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي - بولاق ١٢٩٩ هـ .

١٥ - الخطب والمواعظ ، لأبى عبيد القاسم بن سلام - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٦ م .

١٦ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى - تحقيق محمد سيد جاد الحق - القاهرة ١٣٨٥ هـ .

١٧ - شرح شواهد المغني ، لعبد القادر البغدادي - تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق - دمشق ١٩٧٣ - ١٩٨١ م .

١٨ ـ فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٧ م .
١٩ ـ الفهرست ، لابن النّديم ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
٢٠ ـ قواعد الشعر ، لأبي العباس ثعلب ـ تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٦٦ م .
٢١ ـ كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ، للزجاجي ، ليس كتابا مستقلا له ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ فبراير ١٩٧٢ م .
٢٢ ـ كتاب الأضداد للأصمعي ، ليس للأصمعي ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ نوفمبر ١٩٦٦ م .
٢٣ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ـ استانبول ١٩٤٣ م .
٢٤ ـ اللغة العربية العامية ـ مقالة لعيسى إسكندر المعلوف بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الجزء الأول) سنة ١٩٣٤ م .
٢٥ ـ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ـ نشر أحمد فريد رفاعي ـ القاهرة ١٩٣٦ م .
٢٦ ـ مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، للدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٦ م .
٢٧ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ـ القاهرة ١٩٣٠ م .
٢٨ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى ـ استانبول ١٩٥٥ م .
٢٩ ـ الوافى بالوفيات ، للصفدي ـ تحقيق هلموت ريتر وآخرين ـ فيسبادن ١٩٦٢ ومابعدها .
٣٠ ـ وكتاب النخل والكرم أيضا ليس للأصمعي ـ مقالة للدكتور رمضان عبد التواب بمجلة « المكتبة » العراقية ـ مارس ١٩٦٧ م .

* * *

قصــة نشــر

تاريخ ابن قاضي شهبة

د. عدنان درويش (*)

يصدر قريباً الجزء الأول من تاريخ ابن قاضي شهبة عن المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق . وكان الجزء الثالث من الكتاب قد صدر قبل ثلاث عشرة سنة (عام ١٩٧٧) عن المعهد نفسه !

الـدكتور عدنان درويش محقق هذا التاريخ يحكي في هذا البحث المـوجـز قصة نشره ، مشيراً إلى الأسباب التي دفعتـه إلى إخـراج الثالث أولاً . ويستهل كلامه بالتعريف بالمؤلف وبعض كتبه ، والنسخ التي اعتمد عليها في التحقيق .

ويؤكـد أنـه عازم بعون الله على إخراج الجزأين الثاني والرابع على التتابع دون توان أو تراخ .

« المجـلة »

(*) مدير التراث القديم في وزارة الثقافة السورية .

هـذا التـاريخ ألفه مؤرخ عالم دمشقي ، عاش نحو الثلث الأول من عمـره في الربع الأخير من المئة الثامنة للهجرة ، يقول ابنه بدر الدين محمد بن أبى بكر بن قاضي شهبة معرفاً بأبيه في ترجمته :

« الشيخ الإمام العلاّمة ، شيخ البلاد الشامية وعالمها ومفتيها ومدرسها ، قاضي القضاة تقي الدين أبو الصدق أبو بكر بن الشيخ العالم الفقيه الفرضي المدرس شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه العالم القاضي نجم الدين عمر بن الشيخ الإمام الفقيه المصدَّر شرف الدين فخر القضاة تاج الأئمة أبي عبد الله محمد بن القاضي الإمام العالم المصدَّر كمال الدين شرف القضاة عبد الوهاب ابن القاضي الفقيه العالم القاضي جمال الدين محمد بن ذُؤيب بن مشرف ، ابن قاضي شهبة (١) الأسدي الشافعي .

ولد بدمشق في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وسبعمئة . . . وتوفي ـ رحمه الله ـ في يوم الخميس بعد العصر حادي عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمئة فجاءة » (٢) .

---

(١) « ابن قاضي شهبة » ههنا لقب المؤلف التقي أبى بكر وأبيه وأعمامه ، وجده وإخوة جده ، ثم من بعدهم أبناؤهم من هذه الأسرة الأسدية . وقد لقبوا بذلك لأن نجم الدين عمر وهو أبو جد المؤلف أبى بكر أقام قاضياً في شهبة ـ قرية فى جبل بنى هلال في حوارن من بلاد الشام ـ مدة أربعين عاماً . وبذلك لاتكون « قاضي شهبة » حسب ورودها ههنا في كلام البدر ابن قاضي شهبة لقباً لمشرف الجد الأعلى في نسب هذه الأسرة . وهذا مايريده واضع الترجمة .

(انظر الضوء اللامع للسخاوي : ١١ / ٢١ ، ومعجم البلدان لياقوت « شهبة »)

(٢) التعريف مجتزأ من ترجمة مبسوطة للمؤلف ، وضعها ابنه بدر الدين محمد بن أبي بكر ابن قاضي شهبـة المتوفى سنة : ٨٧٤ للهجرة (الضوء اللامع : ٧/١٥٥ ـ ١٥٦) وجعلها في رسالة صغيرة تقع فى خمس ورقات يضمها مجموع محفوظ في دار الكتب البرلينية وراء الرقم / ١٠١٣٠ / ووصفها ألفارت (w. Ahlwardt) في فهرسه ، وقمتُ بتحقيقها ونشرها في مقدمتي لتاريخ ابن قاضي شهبة المذكور .

وتابع ابن المؤلف في الترجمة يقول :

«ولزم الكتابة ، وكتب الكثير بخطه ، بلغ ما كتبه بخطه نحو مائة مجلدة ، منها ما هو نسخ ، ومنها ـ وهو الأكثر ـ تأليف له » .

ومضى البدر ابن قاضي شهبة يسرد أسماء مؤلفات أبيه التي تكاد تنحصر في فَنَّين : الفقه والتاريخ ، ولكن أكثرها في التاريخ ، ومنه كتب الرجال ، يقول :

« **المنتقى من تاريخ الإسكندرية** : المسمى (بكتاب الإعلام فيما جرت به الأحكام من الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية) ، تأليف محمد بن قاسم بن محمد النويري) في مجلدين في **نصف البلدي** .

- منتقى من تاريخ دمشق لابن عساكر ، في مجلدين .
- المنتقى من نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .
- المنتقى من الأنساب لابن السمعاني ، في مجلدة .
- طبقات النحاة واللغوين في مصنفين :

(أ) أحدهما على السنين .

(ب) والآخر على الحروف سماه : التبيين في طبقات النحاة واللغويين ، كل واحد في مجلدة .

- ومناقب الشافعي وطبقات أصحابه ، إلى آخر سنة أربعين وثمانمئة ، في مجلدة .

- وطبقات الفقهاء الشافعية : جمعها من تاريخ الإسلام للذهبي ، ثم ذيل عيها . في ثلاث مجلدات .

- والإعلام بتاريخ الإسلام : بدأ فيه من أول المئة الثالثة ، ووصل فيه إلى آخر المائة الثامنة .

- الذيل على تاريخ ابن كثير وغيره . . .
- ومختصر هذا الذيل . . . . . . » .

اجتزينا في هذا المقام من مؤلفات ابن قاضي شهبة الكثيرة بما ذكره ابنه من مؤلفاته في التاريخ ، وتراجم الرجال باعتبارها من التاريخ . ولعل أهمها وأكثرها حفولاً وزخارة : الإعلام بتاريخ الإسلام ، وذيله على مؤرخي عصره ابن كثير وغيره ، ثم مختصر الذيل .

هذه التواريخ الحفيلة تجعل ابن قاضي شهبة يتسنّم سدَّة الطبقة الأولى من مؤرخي القرنين الثامن والتاسع الهجريين في زمرة معاصره ورصيفه وصديقه الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة **٨٥٢** هـ ومعاصره أيضاً تقي الدين المقريزي المتوفى سنة : **٨٤٥** هـ ، ثم في كتيبة المؤرخين الكبار الذين عاشوا في المئة الثامنة كالشمس الذهبي الحافظ المؤرخ المتوفى سنة : **٧٤٨** هـ ، وعلم الدين البرزالي المتوفى عام : **٧٣٩** هـ ، وشمس الدين الحسيني المتوفى سنة : **٧٦٥** هـ ، والعماد الحافظ ابن كثير المتوفى سنة : **٧٧٤** هـ ، ثم الحافظ شهاب الدين ابن حجي شيخ التقي ابن قاضي شهبة ، وتوفي سنة ٨١٦ هـ . وعنه أخذ فن التاريخ .

كان أبو بكر بن قاضي شهبة من ثقات هذه الطبقة ومحرريهم . وعلى مقتضيات هذا المعنى في الاستقامة والتحرير وضع منهجه في تاريخه الذي ذيل به على تواريخ من تقدمه من مؤرخي الشام في المئة الثامنة : الذهبي ، والبرزالي ، وابن كثير ، والحسيني وغيرهم .

ونعود إلى كلام ابن المؤلف في ذكره لمؤلفات أبيه في ترجمته لنسمعه يقول :

« **والذيل على تاريخ ابن كثير وغيره** : كتب منه خمس مجلدات ضخمة إلى سنة عشر وثمانمئة ؛ وكتب كراريس متفرقة من ذلك نحو مجلدة إلى سنة وفاته ، لكن فُقد من ذلك كراريس لم نجدها بعد وفاته .

ثم اختصر هذا الذيل : فكتب منه مجلّدين إلى سنة ثمان وثمانمئة ، وكتب منه كراريس بعد ذلك لو تم كان مجلّدة أخرى » .

إذن فقد أخرج المؤلف من هذا المختصر مجلدتين ، بيَّضَ بعضاً منهما وغادر بعضاً في السواد ، وارتضى لهما أن يتداولا بين الناس . يقول ابنه أيضاً وكتبه في طرة المجلدة الثانية من هذا المختصر :

« وقف هذا المجلَّدَ والذي قبله كاتبه ومؤلفه الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أبو الصدق أبو بكر ابن قاضي شهبة الشافعي ، تغمده الله برحمته وأسكنه أعلى جنته بمنه وكرمه على أولاده الذكور ، وهم كاتبه وأخواه وعلى ذريتهم الذكور ، ثم على طلبة العلم الشافعية » .

حظيت بهذا المختصر ، وتورَّقْتُه فرأيته زخاراً حفيلاً عظيم الفائدة ، وقدّمته بين يدي أستاذي الكبير العلامة المؤرخ نبكيتا إيليسيف ـ له مني التحية

والاحـترام ـ فارتضـاه لي نصّاً أنهد إلى تحقيقه وإخراجه مادة للدراسة لإجازة (الـدكتوراه) ، ومضيت ؛ وحين اجتمعت لي نسخه المخطوطة بعد نصب ظفرت منها بالمجلّد الثاني بخط المؤلف ، وأيست من أن أصيب المجلد الأول بخطه ، بيد أني غنيت عنه بنسخة فيها المجلدان ؛ **الأول ، والثاني** بخط تلميذ المؤلف ، واسمه خطاب العجلوني ، وعلى هوامش الصفحات في هذه النسخة يشيع خط المؤلف مضيفاً ، أو معدلاً ، أو مستدركاً ، أو حاذفاً ، أو معدلاً ، يعزز ذلك نصوص مقابلة مثبتة بخط المؤلف أيضاً . ثم أصبت نسختين أخريين [1] .

سررت بذلـك غاية السرور إذ أصبت نسخة أماً لمجلدتي هذا الكتاب الضخم الحفيل . نهدت إلى إعداده للتحقيق ، وأنجزته نساخةً وعرضته على أستاذي ، فحين رأى ضخامة حجمه ، وبلوغَ صفحات متنة لَواذَ الألفين خلا مستلزمـاتـه من تعليق وتحشيه ، اقـترح بصائب رأيه أن نجعل كل مجلد منه جزأين ، فيستقيم بذلك للكتاب أربعة أجزاء بتجزئتنا ، وتكون على النحو التالي :

أولها : يبتدىء بأول التاريخ في سنة : ٧٤١ للهجرة حيث مقدمة المؤلف وبداية الذيل ، وينتهي في نهاية سنة : ٧٥٠ هـ .

وثـانيهـا : بدايتـه بأول حوادث سنة : ٧٥١ هـ ، وينتهي حين ينتهي المؤلف من ذكره لوفيات سنة : ٧٨٠ هـ .

---

(١) اجتلبت أربع نسخ من المختصر تتسم بخلوص الأصالة وصراحة النسب :

أولاها : وهي الأم ، بخط المؤلف ، تضم المجلد الثاني فقط من الكتاب ، وهي محفوظة في مكتبة أسعد أفندي في السليمانية باستنبول ، وراء الرقم : ٢٣٤٥ .

ثانيتها : أصيلة أم ، تعدل الأولى في الطبقة ، فعلى هوامش صفحاتها خط المؤلف كما ذكرنا في المتن . وتوعب المجلدتين للكتاب ، فأصبح الذيل فيها كاملاً ، وهي محفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس في مجلدين رقماهما : ١٥٩٨ و ١٥٩٩ .

واعتمدت النسختين الأولى والثانية أصلاً في التحقيق .

ثالثتها : تتلو الأوليين في المرتبة ، فقد كتبها ناسخها في العقد الخامس من القرن التاسع في حياة المؤلف ، تقع في مجلد واحد حفظ في دار الكتب الوطنية بباريس وراء الرقم : ١٦٠٠ .

رابعتها : تعدل الثالثة في الطبقة ، نقلها ناسخها من نسخة المؤلف ، وأنجزها نساخة في العقد الخامس أيضاً في حياة المؤلف ، إلا أن فيها خروماً . وهي محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة ، وراء الرقم : ٩٥ تاريخ .

وثالثها : أوله بداية حوادث سنة : ٧٨١ هـ ، ونهايته آخر تراجم سنة : ٨٠٠ هـ .

ورابعها : يبتدىء ببداية حوادث المئة التاسعة سنة : ٨٠١ هـ ، وينتهي في أواخر حوادث سنة : ٨٠٨ للهجرة حيث وقف المؤلف عن إكمال تبييض الكتاب كما ذكر ابنه حين حديثه عن مختصر الذيل .

وذيلنا الأجزاء الأربعة بلَحَق أسميناه (**الكشاف**) فيه **تراجم الوفيات الواردة في الأجزاء الأربعة** بعد ترتيبها على حروف المعجم ، مخرّجة مختصرة غاية الاختصار . وفى الكَشّاف أيضا **شروح للمصطلحات الحضارية** الواردة في الكتاب بعد ترتيبها على الحروف . وفيه أيضاً **تعريفات بالأماكن والمدن** الوارد ذكرها في هذا التاريخ .

وبذلك يستقيم هذا التاريخ الضخم في أربعة أجزاء متوازنة في الحجم ، ومساوية تقريباً للتجزئة التي اعتمدها مؤلف الكتاب ونساخه ، وذلك تيسيراً لنشره مطبوعاً ، وعزّزنا الأجزاء الأربعة بالكشاف المذكور .

ورأى أستاذي أيضاً أن نجتزي **بالجزء الثالث** من هذه التجزئة للكتاب ليكون مادة للدراسة وإعداد أطروحتي معتبراً فى ذلك أمرين وجيهين :

أحدهما : أن الفترة التي يؤرخ لها ابن قاضي شهبة ويشتمل عليها هذا الجزء تقع فى حياته ، فمولده في سنة : ٧٧٩ هـ ، والجزء الثالث يبتدىء ـ كما ذكرنا ـ بأول حوادث سنة : ٧٨١ هـ ، وينتهي في آخر وفيات سنة : ٨٠٠ هـ .

وثانيهما : أن هذا الجزء هو الأول من المجلد الثاني الذي كتبه المؤلف ، وذكر ابنه أنه بخطه .

ومضت في إكمال تحقيق هذا الجزء ، حتى إذا ما تم نَجَازُه اعتمده أستاذي عملاً أنال به الإجازة .

بعد ذلك نظر فيه الأستاذ العالم أندريه ريمون مدير المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق حينئذ فرشّحه ليأخذ مكاناً بين منشورات المعهد ، وله مني عظيم الشكر ، واجتمع الرأى على نشره أن أمضي في استكمال تحقيق مابقى من أجزاء الكتاب وفق ما اعتمدناه من التجزئة لتنشر بعده تباعاً دون

انقطاع ، وألزمت نفسي وعداً بذلك ، معتمداً على صدق عزمي وصحته على إخراج أجزائه متتابعة دون تراخ ، ولم أكن لأفطن أن الظروف قد لا تواتي ، وأن الرياح قد تجري بما لاتشتهي السفن .

ويصدر الجزء الثالث يسبق إخوته عام ١٩٧٧ ، وقد تجرَّد عن المقدمة التي وضعتها لأستفتح بها الكتاب ، فقد كنت أرجأتها لتكون في أول الجزء الأول . وبلغت صفحات الجزء الثالث هذا مطبوعاً أربعا وستين وثمانمئة صفحة تشتمل على المتن والفهارس والمختصر التحليلي الذي صنفته لحوادث الجزء ونشرته بالفرنسية في اللَّحق .

وتتوالى الأعوام ، وأنا أراوح في مكاني ، تكبّلني العوائق العاتية ، وتقعدني عن المضي في إنجاز الوعد بتحقيق الأجزاء : الأول ، والثاني ، والرابع ، ومن ثم الذيل وفيه الكشاف ، ولم يأل صديقي العالم المستشرق الأستاذ تيري بيانكي مدير المعهد في تلك الأيام جهداً مخلصاً في استنهاضي وحثّي على إتمام العمل ، إلا أن المعيقات كانت أقوى وأشد أيْداً من التَّوق والنية والإرادة ، فتصدني عن ذلك ، وكم أنا حزين وخجل من صديقي ، وله مني أصدق الاعتذار وأخلص الشكر ، وأرجو أن يكون الجزء الأول الذي نجزت طباعته اليوم تكفيراً عما قصرت به في الأمس .

وبقيت تلك الأجزاء في رقدتها ، حتى أخَذتْ هُوج رياح الإعاقة في السكون ، وافترّت الظروف المتجهِّمة عن ابتسامة مواتاة ، وكان ذلك من نحو ثلاثة أعوام ، كما كان صديقاي الأستاذ المستشرق الباحث جيلبرت دولانو مدير المعهد الفرنسي ، والأستاذ جان بول باسكوال أمين المعهد للشؤون العلمية حينئذ لا ينفكان يستحثانني مشكورين على إخراج الأجزاء الباقية من الكتاب ، وأتاحت لي الظروف الاستجابة ، فرحت أكمل ما كنت بدأت .

واليوم أُنْجِزَتْ طباعة متن الجزء الأول ، وهو على وشك الخروج من المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق منشوراً إلى القراء الكرام بعد أخيه الجزء الثالث الذي سبقه إلى الصدور بنحو ثلاث عشرة سنة ، يصدر مفتتحا بمقدمة مبسوطة ضافية فيها ترجمة ابن قاضي شهبة المؤلف بقلم ابنه محققة منشورة ، ومذيلاً بلَحَق يشتمل على مختصر تحليلي للحوادث والأخبار في هذا الجزء ، يتلوه ستة فهارس :

الأول : للأعلام المترجمين في هذا الجزء .

الثاني : للمصطلحات الحضارية التي تواضع عليها وتداولها أهل ذلك العصر وجاءت في الكتاب .

الثالث : فهرس للأعلام الوارد ذكرها في المتن .

الرابع : فهرس للأماكن والبلدان ومافي باب ذلك .

الخامس : فهرس للقبائل والأقوام والجماعات وما في بابها .

السادس : فهرس لأسامي الكتب الواردة فى هذا الجزء .

وسيتبع الجزء الأول هذا والجزء الثالث أخواهما الثاني والرابع ، ومن بعدهما الكشاف دون دوانٍ أو تراخ إن شاء الله وبعونه وتوفيقه .

* * *

شعر أبي وجزة السعدي
؟ - ١٣٠ هـ

وليد السراقبي (*)

أبو وجزة السعدي شاعر متقدم ، قال فيه أبو العلاء : « وكان أحد القراء والمجيدين من الشعراء » . ومما يؤسف له حقاً أن يد الزمان لم تجد علينا بديوانه ، ولم يتبق أمامنا سوى أشعاره المبثوثة في كتب اللغة والنحو والأدب .

وجاء هذا العمل ليجمع ماتفرق فكانت الحصيلة :

ستين قطعة ، مقطوعاً بنسبتها لأبي وجزة .

وخمس قطع ، غير مقطوع بنسبتها .

لعل في هذا الجهد الطيب (**) بعض الغناء عما افتقدنا ، ولعل الأيام تكشف عن نسخة من ديوانه ، لتكتمل صورة هذا الشاعر في عيون الباحثين في تراثنا الشعري واللغوي .

« المجلة »

(*) من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة البعث بحمص (سورية) .

(**) علمت المجلة أن د . عياد الثبيتي ؛ من مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي (جامعة أم القرى) قد أنجز أيضاً جمع شعر أبي وجزة ، فلعله يكتب للمجلة مافات هذا المجموع المنشور ، حتى تكتمل الجهود ، وتتحقق الغاية التي نعمل من أجلها .

هو يزيد بن عبيد . وقيل : يزيد بن أبي عبيد . ينتسب إلى بني سعد بن هوازن : ولاءً . وهو من سُلَيْم محتداً ، سُبِيَ أبوه وهو بعد ـ صغير السنّ ، وبيع في ذي المجاز لرجل من بني سعد . ولمّا كبر استعدى على مالكه الخليفة العادل عمر بن الخطاب فأجابه عمر رضي الله عنه : « لاسباء على عربي ، وهذا الرجل قد امتنَّ عليك فإن شئت فأقم عنده ، وإن شئت فالحق بقومك [1] » وقد آثر البقاء والإقامة في بني سعد لما لهم من أياد بيض عليه .

وعندما بلغ أولاده مبلغ الرجال طالبوه بالعودة إلى قومه بني سُلَيْم إلا أنه أبى ذلك وقال لهم : « لاأفعلُ ولا ألحق بهم فيعيِّروني في كل يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يكرموني ويشرّفوني ، فو الله لئن ذهبت إلى بني ظفر لا أرعى طُمّة ، ولا أرد جَمَّة ، إلا قالوا لي : ياعبد بني سعد [2] » .

وأبو وجزة واحد من التابعين ، و له روايات عن جماعة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأى عمر بن الخطاب ، وروى عن أبيه عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حديث الاستسقاء ، فقال بسنده عن أبيه : « شهدت عمر بن الخطّاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقد خرج الناس ليستقي عام الرمادة ، فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ماله لا يأخذ فيما جاء له ، ولم أعلم أن الاستغفار هو الاستسقاء ، فما برحنا حتى نشأت سحابة ، وأظلّتنا ، فسقي الناس ، وقلدتنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأرينة تأكلها صغار الإبل من وراء حِقاق العرفط [3] » .

---

(١) الأغاني ١٢ : ٢٣٩ .

(٢) الأغاني ١٢ : ٢٤٠ .

(٣) العُرْفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها .

وروى أبـو الفرج بسنده فقال : « . . . حدثني موسى بن شيبة قال : سمعت أبا وجزة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : « ليس شعر حسّان بن ثابت ولاكعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمة (٤) » .

وأبو وجزة واحد من القُرَّاء ، أخذ عنه القراءة محمد بن يحيى بن قيس ، ومحمـد بن إسحق ، وهشـام وعـروة . قال ابن الجزري في ترجمته له : « وردت عنه الرواية في حروف القرآن (٥) » ويصفه أبو العلاء قائلاً : « . . . وكان أحد القراء ، والمجيدين من الشعراء (٦) » . فمن القراءات الواردة عنه ما أورده ابن الأنباري في كتابه (الزاهر) إذ قال : « قرأ أبو وجزة السعدي : (إنّا هِدْنا إليك) بكسر الهاء ، وهي من القراءات الشاذة » (٧) .

وعقَّب الـزمخشري على قوله تعالى : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة البيت) فقال : « . . . ولابدَّ من تقدير مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية . . . وتصدِّقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي ـ وكان من القراء « سقاة الحاج وعَمَرَة المسجد الحرام (٨) » .

وقد وصفته جميع المصادر التي ترجمت له بالشاعرية المتقدِّمة ، فابن قتيبة يقول فيه : « كان شاعراً جيداً (٩) . ويصفه ابن سعد في طبقاته فيقول : « . . . . كان ثقـة قليل الحديث ، شاعراً عالماً » (١٠) . وحينما يترجم له أصحاب المعاجم أيضاً يصفونه بالشاعرية (١١) وقد تقدَّم وصف أبي العلاء له بالشاعرية الجيدة .

---

(٤) الأغانى ١٢ : ٢٤١ .
(٥) غاية النهاية في طبقات القراء : ٢ : ٣٨٢ .
(٦) رسالة الصاهل والشاحج : ١٥١ .
(٧) الزاهر ٢ : ٣١٦ .
(٨) الكشاف ٢ : ٣٢ .
(٩) الشعر الشعراء : ٤٤١ .
(١٠) عن تهذيب التهذيب ١١ : ٣٤٩ .
(١١) انظر اللسان والتاج (وجز) .

وقد امتلأت المعجمات وكتب اللغة والنحو والأدب بشواهد كثيرة من شعره ، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على صدق وصحة ماوصفه به علماؤنا . وإنه لمن المؤسف ألا نجد له ديواناً أو ذكراً لديوان ، ولعله إحدى الدرر التي عبثت بها يد الزمان ، وأتت عليها أحداثه فحرمتنا من شاعر لا يقل شأناً عن غيره من شعراء عصره . ومن هنا يجد المرء نفسه نهباً للعجز عن إعطاء أحكام شاملة ودقيقة من خلال هذا المجموع الذي منَّ الله عليَّ بإنجازه . ولعل ثغر الدهر يفتر مبشراً بالعثور على ديوانه مخطوطاً في قابل الأيام .

وعلى أية حال يحسن بنا أن نقف وقفات عابرة عند بعض موضوعاته الشعرية التي طرقها ، وأن نلامسها ملامسة جدَّ رفيقة . فهو على عادة شعراء عصره يحلو له أن يقف على الطلل واصفاً ما خلَّف الأحبَّة من آثار بعد رحيلهم مستخدماً تلك العبارات التي تعاورها كل من وقف على الطلل وناجى الأحبة . من ذلك قوله (القطعة ٩) :

يادار أسماء قد أقوت بأنشاج   كالوحي أو كإمام الكاتب الهاجي

ويناجي صاحبيه قائلاً (القطعة ٩) :

يا صاحبيّ انظرا هل تؤنسان لنا   بين العقيق وأوطاسٍ بأحداج

وإذا وقف ليمدح لم يكن يسلك سُبُل المبالغة على عادة الكثير من الشعراء . وربما أمكن لنا أن نقول فيه ماقيل في زهير بن أبي سلمى من أنه لم يكن يقدح الرجل إلا بما فيه [١٢] ففي شعره نقف على بعض المقطّعات التي مدح بها آل الزبير ، بني عطية . يروى أبو الفرج أن أبا وجزة السعدي ، وأبا زيد الأسلمي خرجا يريدان المدنية ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزومي ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير ، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال كلا ، والله ، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير ، فقدما المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : أخرج إلى هذا الأعرابيّ الجلف

---

(١٢) الأغاني ١٠ : ٢٨٩ .

فاضربه وأخرجه ، فأخرج وضُرب ، وأتى أبو وجزة أصحابه ومدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرْع أن يُعْطى منه ستين وَسْقاً من التمر فقال أبو وجزة يمدحهم ، ويذكر ما جرى لأبي زيد مع ممدوحه [١٣] (القطعة ١٤) :

راحت قلوصي رواحاً وهي حامدة   آل الزبير ولم تعدل به أحدا
راحت بستين وسقاً في حقيبتها   ما حُمِّلت حملها الأدنى ولا السددا
ذاك القرى لا كأقوام عهدتهم   يقرون ضيفهم الملويَّة الجددا [١٤]

ومن مديحه شعره الذي قاله في عبدا المالك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي وقد انقطع إليه أبو وجزة فكان مدّاحاً له ـ وفيه يقول [١٥] (القطعة ٦٠) :

فلأمدحنَّ بني عطيَّة كلّهم   مدحاً يوافي في المواسم والقرى
الأكرمين أوائلاً وأواخراً   والأحَلْمين إذا تخولجت الحبا

وقال أبو الفرج معلّقاً على هذه القصيدة : « ... وهى قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطية جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجي ، ولامعنى للإطالة بذكره » !!! [١٦] .

وقد يلامس الحبّ شغاف قلبه فيلجأ إلى رياض الحب يقطف منها بعض الأزاهير ليقدمها فى إضمامة شعرية . فها هو يتألم ويتحسَّر ويخفى زفراته في صدره فيقول : (القطعة / ١) .

كتمت الهوى يوم النوى فترفَّعت   به زفرات مابهنّ خفاء

أو يقول متغزلاً : (القطعة / ٢٦) :

ومَرْضى من دجاج الريف حمر   زواهف لاتموت ولاتطير

---

(١٣) الأغاني ١٢ : ٢٤٣ .

(١٤) الأغاني ١٢ : ٢٤٣ .

(١٥) الأغاني ١٢ : ٢٥١ . تخولجت : تنوزعت . الحبا : الجمع بين الساقين والظهر الضريك : الفقير السيّء الحال .

(١٦) الأغاني ١٢ : ٢٥٢ .

وينظر أحياناً بعين المصوِّر فيرسم لنا صورة مضحكة لزوجه فيقول فيها [١٧] : (القطعة ٥٥) .

إلى عجوزٍ رأسها مثل الإرم

وأبو وجزة في كل ماقال واضح المعنى ، دقيق الاختيار للفظة التى تخرج من القلب لتصبَّ في القلب ، عالي الكعب في الفصاحة ، غير ميَّال إلى تحقيق الشكل دون دقة المضمون ، وليس أدلَّ على ذلك من افتقادنا للقصائد الطوال في شعره ، فكل ماقاله لايعدو أن يكون مقطّعات يضيء بها لحظةً من لحظات حياته ، ويعكس بها دَخيلة نفسه ، وارتعاشات قلبه ، وموقفه حيال مايرى .

وبعد ، فهذه ثمرة من ثمار التنقيب والتنقير في كتب التراث عن شعر الشاعر ، لم أدَّخر من أجلها جهداً ، ولم أضنَّ عليها بما ينبغي لها من الصدق والأمانة عبر سنوات قضيتها فى سبيلِ أن تكون لي بعض يدٍ في إخراج هذا الشاعر وشعره إلى دنيا الناس ، محاولاً لمَّ شتات هذا الشعر لأقدِّمه إلى قراء العربية مجموعاً يصبو إلى الاقتراب من الصورة الحقيقيَّة لشعره . فإن أصبت فبفضل الله ومنّته ، وتوجيه أساتذتي الذين لقيت منهم كل تشجيع منذ أن كان العمل فكرة تجول في الذهن . وأخصّ منهم بالذكر أخويَّ وأستاذيَّ الدكتور محمد طاهر الحمصي ، والدكتور عبد الإله نبهان ، اللذَيْن لقي هذا العمل على يديهما كل الحنوّ والتقدير ففاضا عليه بعلمهما الغزير ، وتوجيهاتهما السَّديدة . وإن تعثَّر هذا العمل في بعض المواضع فالعهدة فيها على ضعفي وتقصيري . وإنني لأؤمِّل ممن يقف عليه ألا يبخل عليه بالنقد والتوجيه ، وألا يضن عليه باستدراك نقص ، وسدِّ ثغرة ليحبو العمل خطواتٍ نحو الأفضل ، والله من وراء القصد .

---

(١٧) الأغاني ١٢ : ٢٤٦ .

قافيـة الهمـــزة

(١)

قـال : (الطويل)

١ ـ كَتَمْتُ الهوى يومَ النوى فترفَّعتْ به زفـرات مابـهـنّ خفـاءُ
٢ ـ يكدْنَ يُقطِّعْنَ الحيازيم كلّما تمـطّتْ بهنَّ الـزفـرةُ الصُعَـداءُ

(٢) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو الصدر .

(٢)

قـال : (الوافر)

١ ـ تَربَّـع أنْهِيَ الـرّنقـاء حتى نفـى ونَـفَيْن ذِيْبـان الـشتـاءِ
٢ ـ وأجمعَتِ الهواجرُ كلَّ رَجْع من الأَجْمـادِ والـدَّمـثِ البَثـاءِ
٣ ـ غداةَ الخِمْس واشْتكَـرتْ حرورٌ كأن أجـيجهـا وَعهـجُ الصِّـلاءِ
٤ ـ أعـمّ ربـابُـه سَربٌ كُلاَهُ هَزيمٌ رَعْـدُه تِرعُ الـدِّلاءِ

(١) أنهي : جمع نِهْى ونَهْي ، وهو الغدير بلغة نجد . الرّنقاء : قاع لاينبت شيئاً بين دار خزاعة وسُلَيْم . ذيبان : بقيّة الوبر
(٢) أجمعت : أيبسَتْ . الرَّجْع : الغدير . الدَّمثْ : الأرض اللّيِّنة .
(٣) اشتكرت حَرُور : اشتدت الحرارة . الصلاء : الوقود ، وقيل هو النار .
(٤) أغم ربابه : سحابه كثيف لافُرْجة فيه . كُلاهُ : جمع كُلْيَة ، أي أسفل السحابة . هزيم الرعد : صَوْته . تَرِع : ملآن .

البـــاء

(٣)

وقـال :

١ ـ يكـفـي قليلُ كلامـهِ وكثيرُه ثَبْتُ (*) إذا طال النِّضـالُ مُصيبُ

(*) الثَّبْتُ : الفارس الشجاع الثابت القلب .

(٤)

وقـال : (*) (البسيط)

١ - حنّ الفؤادُ إلى سَلْمى ولم تُصب فِيمَ الـكـثـيرُ من التحنـانِ والـطرب
٢ - قالتْ سعاد : أرى من شِيبةٍ عَجَباً مَهْـلاً سعادُ فما في الشَّيْب من عجب
٣ - إمـا تَرِيْني كسـاني الـدهرُ شيبته فإن مامـرَّ منـه عنـك لم يَغـب
٤ - سَقياً لسُعْدَى على شيبٍ ألم بنا وقبـل ذلـك حينَ الـرأسُ لم يَشب
٥ - وكأنَّ ريقتَها بعد الكرى اغتبقتْ صَوْبَ الثُـريّا بمـاء الكَرْم من حلب
٦ - أُهـدِي قِلاصاً عَناجيجاً أضرَّ بها نصُّ الـوَجيفِ وتَـفـحـيمٌ من العُقَب
٧ - حَرْفٌ بعيدٌ من الحادي إذا ملأتْ شمسُ النهـار عِنان الأبْـرقِ الصَّخب
٨ - حتـى إذا طَويا والـليل مُعْـتَكـرٌ من ذي أُكَيْهفَ جزْعَ البـان والأَثَب
٩ - يقصـدْنَ سيِّدَ قيسٍ وابنَ سيِّدها والفـارسَ العـدَّ منهـا غير ذي الكذب
١٠ - محّمـدٌ وأبُـوه وابنُـه صنعوا له صَنَـائـعَ من مَجْـدٍ ومِنْ حَسَب
١١ - إني مدحتُهُمُ لما رأيتُ لهمْ فَضْلاً على غيرهم من سائر العرب
١٢- إلاّ تُثِبْني به لا يَجْزِني أحدُ ومَـنْ يُثيبُ إذا ماأنـتَ لم تُثِبِ ؟

(*) هذه القطعة والتي تليها من بحر واحد وعلى روي واحد ؛ وقد تكونان من قصيدة واحدة إلا أنني آثرت الفصل بينهما لأنني وجدت هذه القصيدة شبه كاملة في الأغاني ، وأرى أن المعنى العام لها ينتهي عند البيت الثاني عشر .

(٥) الرِّيقة : الرُّضاب . اغتبقت : شربت عند العشيّ .

(٦) القلِاص : النّوق . العناجيج : جمع عُنْجوج ، وهو النجيب من الإبل .
النصّ : السير . الوَجيف : سرعة السير . التفحيم : السير المتواصل .
العُقَب : جمع عُقْبة وهي فرسخان .

(٧) حَرْفٌ : نجيبة من الإبل شُبِّهت بحدّ السيف في مضائها ودقتها
ملأتُ عِنان فلان : بلغت منه الغاية في الجهد . الأبْرق الصخب : الجندب .

(٨) أُكَيهف : أظنّه اسم موضع . الجِزْع : منعطف الوادي وجانبه
الأثب : نوع من الشجر .

(٩) العِدّ : المعدود بين فرسان قومه .

وقـال : (البسيط)

١ ـ ولم يكنْ مَلَكٌ لِلقـوم يُنْزلهم | إلا صلاصـلُ لاتُلْوَى على حَسَبِ
٢ ـ عَسّـر الماءُ عنه واستجنَّ به | إلفـان جُنّـا من المَكْنـان والقُطُبِ
٣ ـ جُمَـادَيَيْن حُسُـوماً لا يُعـايِنُه | وَغْيٌ من النّـاس في أهْلٍ ولا غَرَبِ
٤ ـ تبيتُ جارتَـه الأفعى وسـامِرَه | رُمْـدٌ به عاذِرٌ منهـنَّ كالجـربِ
٥ ـ حتى إذا جَنَّ أغـواءُ الظلام له | من فَوْر نجمٍ منَ الجوزاء ملتهبِ
٦ ـ أخلى بلينـةَ والـرَّنقـاءِ مرتعَه | يقـرو مزاحفَ جَوْنٍ ساقطِ الـرَّببِ
٧ ـ كأن زُجَـلة صَوْبِ صابَ مِنْ بَرَدٍ | شُنَّـتْ شآبـيبُـه من رائـحٍ لجِـبِ
٨ ـ نواصـحُ من حَمَّـاوَيْن أُحْصِنَتـا | مُمنَّعـاً كهُمَـام الصَّلْج بالضَّـرَبِ
٩ ـ مَجْنوبةُ الأُنْسِ مَشْمولُ مواعِدُها | من الهِجانِ الجِمالِ الشُّطْبِ والقَصَبِ

---

(١) في اللسان مَلَك بالفتح ، وفي اللسان أيضاً (صلل) : مَلِك ، والفتح هو الصحيح . والمَلَك : المـاء الصَّلاصـل : بقـايا المـاء . لاتُلْوَى على حَسَب : يردُها الشريف والوضيع .

(٢) استجنَّ : استتَر . المَكْنان : نوع من النبات : القُطُب : ضرب من النبات أيضاً .

(٣) جُمَادَيَيْن : اسم معرفة للشهرَيْن . الحُسُوم : الأيّام الدائمة الشرّ ، وقيل المتتابعة . الـوَغْي : الصَّخَب . الغَرَب : الماء السائل بين البئر والحوض . أَهْلٍ : أظنّها مصحّفة عن أذْلٍ جمع دَلْو .

(٤) رُمْدٌ : ضَرْب من البعَوض . العاذَر : أثر الجرح .

(٥) أغواء الظلام : ماسترك بسواده . الفَوْر : أظنّها مصحفة عن غوْر وهو أوفق للمعنى ، وغَوْر النجم : غروبه .

(٦) مَزاحف الرَّبب : حيث سقطَ مَطَرُ السّحاب ، والرَّبَبُ : أرادبه الرَّباب فقَصَره .

(٧) الزَّجْلةُ : البلّة من الشيء .

(٨) في التكملة « نواضح . . . » وهو تصحيف . والنواصح : الثّنايا البيض . الحمَّاوان : الشفتان . هُمَام الثلج : ماسال من مائه . الضَّرَب : العسل .

(٩) في تهـذيب اللغـة (١١ : ٣٧٣) « مجنـوبة الأنس مشمول » ، وفي اللسان والتاج (شمـل) ، « مشمـولة الشطب مجنوب . . . . » وعجزه في التكملة (شمل) : « . . . . من الهجـان الجمـال الشـطبـة القصب » ، وفى التـاج (جنب) : « من الهجـان ذواتِ الشُّطب والقصب » . مشمولة : باردة وفسّره ابن الأعرابي فقال : يذهبُ أُنسها مع الشمال ومواعِدُها مع الجنوب . الشُّطْب : الطويل الحسن الخلق .

(٦)

وقــال :　　　　　　　　　　　　　　(البسيط)

١ ـ إذا تَرَبَّـعْـتَ مابينَ الـشُّـرَيقْ فذا　　　روضِ الـفـلاجِ وذاتِ الـسَّـرْحِ والعُبَبِ
٢ ـ واحتلَّتِ الجوَّ فالأَجْـزاعَ من مَرَخٍ　　　فمـا لهـا من مُلاحـاةٍ ولا طَلَبِ

---

(١) في مراصد الاطلاع (١٠٤٠) : « .... الشريق إلى ..... أولات ...... » . الشُّرَيْق . موضع قرب المدينة فى وادي العقيق ، وقيل : هما شريقان : جبلان أحمران ببلاد سُلَيْم . الفلاج : موضع من ناحية المدينة . العُبَب : عنب الثعلب .

(٢) في مراصد الاطلاع (١٠٤٠) : « ... فما لها من ملاقاة ... » . الجوّ : متّسع من الأرض . الأجْـزاع : ج جِزْع وهو منْقطع الوادي . مَرَخ : وادٍ كثير الشجر . وقيل : (مَرْخ) بسكون الراء .

(٧)

وقـال :　　　　　　　　　　　　　　(الرجز)

١ ـ على قَعودٍ قد وَني وقد لَغِبْ　　　بِهِ مَسـيحٌ وبـريحٌ وصَـخَـبْ

---

(١) لغب : عطش . المسيح : العَرَق . البريح : التّعب .

(٨)

وقـال :　　　　　　　　　　　　　　(الطويل)

١ ـ لو سألتْ عنّـا غَداةَ قُراقِـرٍ　　　كمـا كنتُ عنهـا سائـلاً لولقيتها(*)
٢ ـ لقـاءَ بني نِمْـر وكان لقاؤهم　　　غداةَ الحُـوالى حاجـةً فقضيتهـا

(*) لحق البيت زحاف الخرم .

(٢) قال العلاّمة (محمود شاكر) : « هكذا في الأصل ، ولم أجد مَوْضعاً بهذا الاسم ، والذي عندهم (جُوالى) بضم أوله هكذا في الأصل ، ولام مفتوحة بعدها ألف فيكون الأرجح (غداة جُوالى) بغير تعريف ، ولا أقطع منه بشيء » . الوحشيات : ص ٢٠٩ .

وقـال :   (بسيط)

١ ـ يادارَ أسماءَ قد أقوتْ بأنْشاجِ — كالوشمِ أو كإمام الكاتب الهاجي
٢ ـ ياصـاحبيَّ انـظرا هل تؤنسـان لنا — بين الـعـقـيق وأوْطـاسٍ بأحْـداجِ
٣ ـ فسـلٍ أسبـابَ شَوقٍ من لُبانتها — بـاقـل الـنـاب كالقُـرْقـور وسَّـاجِ
٤ ـ قد شفَّهـا خُلُقٌ منـه وقـد قفلتْ — على مِلاحٍ كَلَوْن الـمِـشْق أمْشـاجِ
٥ ـ وخـائـفٍ لحـمـاً شَاكـاً برائـنـه — كأنَّـه قاطِـمٌ وقْـفَـين من عَاجِ
٦ ـ مقارب حين يَحْزوزي على جَدَدٍ — رسْـلٍ بمُعْتلجـاتِ الـرَّمْلِ غوَّاجِ
٧ ـ كأنـه وشياطين المِـراح به — قِدْحٌ بكـفَّـيْ مُلقَى المـاء فلاّجِ
٨ ـ لاعٍ يكاد خفِيُّ النقْر يُفرطُه — مُسْتـربـعٌ لسُـرى الـمـوْمـاة هيّاجِ
٩ ـ كأن صَوْتَ حُداهـا والقَـرينُ بها — ترجـيعُ مُغْـتَـرب نشـوانَ لَجْـلاجِ
١٠ ـ نَعْبُ الأشاهيب في الأخبار يجمعها — والـلـيل سـاقـطةٌ أوراقُـه داجِ
١١ ـ حتـى إذا ما إيالاتٌ جَرَتْ بُرُحـاً — وقـد رَبَعْـن الشَّـوى عن ماءِ طِرْمـاحِ
١٢ ـ وهنَّ بالعين من ذي صارخٍ لَجِبٍ — هولٍ ولـوَّاحـةٍ بالـمـوْت مِرْجـاجِ
١٣ ـ مازلَن ينسُبْن وَهْنـاً كل صادقـةٍ — باتـت تبُـاشـر عُرْمـاً غيرَ أزواجِ
١٤ ـ حتى سَلكْنَ الشَّوى منهنَّ في مَسَكٍ — من نَسْـلِ جوَّابـةِ الآفـاق مِهْـداجِ
١٥ ـ شاكتْ رُغامى قَذُوفِ الطَّرْفِ خائفةٍ — هولَ الـجِـنَـانِ ومـاهـمَّتْ بإدلاجِ
١٦ ـ حرَّى موقَّعـةٌ ماجَ البنـانُ بهـا — على خضـمٍّ يُسقَّى المـاءَ عجَّـاجِ
١٧ ـ وشربةٍ من شرابٍ غير ذي نفسٍ — في صرَّة من نجـوم الـقـيظ وهّـاجِ
١٨ ـ سقيتهـا صادياً تهـوي مسـامعُه — قد ظنَّ أنْ ليس من أصحـابـه ناجي
١٩ ـ . . . . — طالـتْ عليهـن طَوْلاً غير مَجْمـاجِ

---

(١) في اللسان (هجا) : « . . . كالوحي أو . . » أنْشاج : موضع . قال ياقوت : « كأنه من نواحي المدينة » .

(٢) العقيق : وادٍ يدفع سيله في غَور تهامة . أوْطاس : وادٍ في ديار هوازن كانت فيه موقعة حنين . أحداج : لم أعرفه .

(٣) اللبانة : الغاية والمراد . باقل الناب : يريد جملاً ظهرَ نابُه . القُرْقُور : السفينة العظيمة . وسَّاج : سريع .

(٤) في اللسان (مشق) : « قد شقَّها . . . . » ولعله تصحيف . المِلاح : السترة . المشق : صبغ أحمر ، أو طين يصبغ به الثوب . الأمشاج : كل لونين اختلطا ، أي هي ذات ألوان مختلطة .

(٥) في أساس البلاغة (قطم) : « أو خائف لحماً . . . . » شاكاً : مُدْخلاً بوائنه . قاطم : قطم أي عضّ . وقفين : سوارين من العاج .

(٦) في التاج (غوج) : « مقارب . . . بمغتلجات . . . » ولعله تصحيف ، والمعتلجات : جمع مُعْتلجة وهي الأرض التي يكثر نباتها ويلتفّ . الجَدَد : ما استوى من الأرض . احزوزى : انتصب . مقارب : وسط بين الجيِّد والرديء : رِسْلٌ : فيه ليْنٌ . غوَّاج : ليِّن الأعطاف .

(٧) المَراح : المرح . فلاّج : كثير الفَوْز . القِدْح : السهم . الماء : لعل صوابها المال .

(٨) في اللسان (ربع) : « يكاد خفّي الزجر . . . » وفي اللسان (فرط) : « . . . مستريع . . . » . اللاّعي : الذي يفزعه أدنى شيء . يُفْرطِه : يملؤه رعباً . مستربع : مشتعل أو مطيق . الموماة : المفازة الواسعة .

(٩) لجلاج : مضطرب .

(١٠) نعب الأشاهيب : لعلّ المراد صوت الغربان .

(١١) في الجمل (أبل) : « . . . . . عن ماطرٍ ماجٍ » وفي التكملة (ربَع) : « من ماطر ماج » ولعلة تصحيف . الإيالات : الأودية ، والمراد العَرق الذي يسيل من قوائم الأتن . ماجٍ : ملحٌ . رَبَعْنَ : أنزلْنَ . الشّوى : الأطراف .

(١٢ ، ١٣) في عيون الأخبار (٢ : ٩٤) : « وهنّ ينسبْنَ . . . » وفي شرح الأبيات المشكِلة الإعراب ٢ : ٥١١ : « وهنّ بالعين » ينسبن : يُصَوِّتْنَ ، والمعنى أن الأتن التي وردت الماء أثْرْنَ القطا عن بيضها حتى صوَّتَتْ : قطا قطا لمّا كنَّ سببَ التسميةِ جَعل الفعلَ لهنَّ ، أي للأُتُن . صادقة : لعلّ صوابها صادية ، وهو يريد القطا المعروفة بشدّة العطش . العُرْم : بَيْض القطا فيه نقط سود .

(١٤) سَلَكْن : أَدْخَلْنَ : المَسَك : السِّوار من العاج ، والمعنى أن هذه الأُتُنَ قد أَدْخَلَت قوائمها حتى صار الماء لها كالسِّوار . جَوابَةُ الآفاق : الريح التى تستدرّ السحابَ وتلقحه فيمطر . مهداج : من الهَدْج ، وهو حنين الناقة على ولد ها ، وجعله هنا وصفاً لصوت الريح . وقد علق السري الرفّاء على هذا البيت في كتابه (المحب والمحبوب ٣ / ١٤٠) فقال : « وهو من نادر تشبيهات العرب » .

(١٥) في شرح الأبيات المشكلة الإعراب « شاكت رغامى قذوف العين » ، وفي اللسان (شوك) : « . . . وماهمّت بإدلاج » وفي اللسان (رغم) . شاكت : أصابتْ . قذوف الطرف : بعيدة النظرِ . النزور : الناقة التي لا يجيء لبنها (لا تزر قليلاً) .

(١٦) حرَّى : عطشى . موقَّعة : محدَّدة . ماج : اضطرب . الخِضَم : المِسَنّ الذي يُسَنّ به . عجّاج : كثير الجَلَبَة .
(١٧) في الأساس (نفس) : « .... في كوكب من نجوم الصيف » ، وفي اللسان (نفس) « من نجوم القيظَ وضّاح » ... غير ذي نفس : غير ذي رائحة . الصرّة : شدّة الحرّ .
(١٨) الصادي : العطشان .
(١٩) المجماج : الرجل الرّهْل المسترخي .

(١٠)

وقـال : (الكامل)

١ - تَرِعـاً يُرغْـرعـه الغـلامُ كأنّـه   صَدَعٌ ينـازع هِزَّةً ومِـراحـاً
٢ - وإذا تكـلفْتُ الـمـديحَ لغيره   عالـجـتُـهـا طُلُبـاً هنـاك نِزاحـا

(١) ترعاً : ممتلئاً . يرعرعه : يركبه ليرّوضه . صَدَعٌ لفتي الشابّ من الأوْعَال والظباء وغيرها .
(٢) طُلُب : البئر الطلوب : البعيدة القَعْر . نِزاحا : نَزَحَ ماؤها فلم يبق فيها شيء .

(١١)

وقـال :

١ - أفـرِغْ لهـا من ذي صفيحٍ أوْقحا   من هَزْمَـةٍ جابَتْ صَمُـوداً أبْـدَحـاً

(١) في التكملة (وقح) : « ... في ذي ... » الأوقح : الحَوْض المصلَّح بالصفائح . الهَزْمَة : البئر التي كُسر حبلها ففاضَ الماء الرُّواء . الصّمود : المكان الغليظ المرتفع من الأرض ولايبلغ أن يكون جبلاً ، وجمعه أصْماد وصِماد . الأبْدح : الواسع .

(١٢)

وقـال : (الطويل)

١ - وإذْ هي كالبكـر الهِجان إذا مَشَتْ   أبى لايُمَـا شيهـا القِصَـار الـدَّرادحُ
٢ - أو الأثْـأب الدَّوحِ الطِّوال فروعُه   نجَـيْـسق هزَّتْـه الـصَّبـا الـمتنـاوحُ

٣ ـ لعمرك مازاد ابن عُرْوةَ بالذي | له دون أيد القوم قَفْلٌ ومِفْتَح
٤ ـ وماظلّهِ عنهمْ يضيق وماترى | ركابُ أبي بكرٍ تُصَان وتُمسَحُ
٥ ـ وأبيضَ نهّاضٍ بكلِّ حِمالة | فلا سائلُ فيها ولا متنحنِحُ
٦ ـ فتىً قد كفانى سيبُه ما أهمَّني | ولي ، خِلْتُ ، في أعقاره متندَّحُ
٧ ـ أغرّ تنادي من يليه جِفانُه | هدايا ، وأُخْراها قواعِدُ رُزَّحُ
٨ ـ فتى الركب يكفيهم بفضلٍ ويكتفي | وفي الحيِّ فيّاض السجيّات أفيحُ

(١) الهِجان : الكريمة الأصْل : الدَّرادحْ : جمع دِرْدحة ، وهي المرأة التى طولها وعرضها سواء .
(٢) الأثْاب : ضَرْب من التين ينبت على شاطىء نهر ، واحده (أثْابه) .
(٥) متنحنح : كناية عن البخل .
(٦) أعقاره : مفردُها عُقْر وهو مؤخر الحوض . متندَّح : غنىً ومتّسع .
(٨) الأفيح : الواسع .

(١٣)

وقال : (الطويل)

١ ـ ألم تعجبا للجاريات البوارح | جرتْ ثم قَفَّتها جدود السوانح ؟
٢ ـ تخبِّرنا أن العشيرة جامعٌ | بها عقرُ دار بعد نأي مُصارحِ
٣ ـ فقلتُ وهشّ القلب للطير إذ جرتْ | عسى الله ، إن الله جمُّ الفواتحِ
٤ ـ وهيَّج أحزاناً عليَّ وعَبْرةً | مغاني ديارٍ من جديدٍ وماصحِ
٥ ـ لقومي إذ قومي جميعٌ نواهم | وإذ أنا في حيٍّ كثير الوضائحِ
٦ ـ عفت مُرٌّ من أحياءِ سعد فأصبحت | بسابس لا نار ولانَبْحُ نابحِ
٧ ـ فأجراعُ أوْسافٍ فالاعوص كلّه | فبيشة فالروضاتُ حتى المقازحِ
٨ ـ كأن لم يكن بين الثنية منهم | وتقتد حزمٍ من غريبٍ ورائحِ
٩ ـ فبحرة مسحومائهِ فضفاضحُ | فصوَّته ذات الرباد المنادحِ
١٠ ـ إذِ الحيّ والحَوْمُ المسيَّرُ وسطنا | وإذ نحن في حالٍ من العيش صالحِ
١١ ـ وذو حَلَقٍ تُقْضَى العواذيرُ بينه | يلوح بأخطار عظام اللقائحِ

١٢ - وإذ خَطَر تانا والعِلاطان حِلْية على الهَجْمة الغُلْب الطوال السُّرادحِ
١٣ - أناعيمُ محمودُ قِراها وقِيْلُها وصابحها أيامَ لا رِفْدَ صابحِ
١٤ - نكُبّ الأكاميَّ البوائكَ وسْطَنا إذا كثُرتْ في الناس دعوى الوحاوحِ
١٥ - فلم أرِ قَوماً مثل قومي إذ هم بأوطانهم أعطى وأغلى المرابحِ
١٦ - وأعبط للكوماء يرغوحُرارها وأندى أكُفًّا بيَن مُعْطٍ ومانحِ
١٧ - وأكثرَ منهم قائماً بمقالة تُفرِّجُ بين العَسْكر المتواطحِ
١٨ - كأن لم يكن عَوْف بن سعد ولم تكن بنو الحَشْر أبناءَ الطِّوال الشَّرامحِ
١٩ - وحيُّ حلالٌ من غُوَيثٍ كأنَّهم أسودُ الشَّرى في غيله المتناوحِ
٢٠ - ولم يغنَ من حيان حيٌّ وجابرٌ بهاليلُ أمثالُ السيوف الجوارحَ
٢١ - مطاعيمُ ضرّابون للهام قادةٌ معاطٍ بأرسان الجيادِ السوابحِ
٢٢ - لهم حاضرٌ لايَجْهلون وصارخٌ كسَيْلِ الفوادي ترتمي بالقوازحِ
٢٣ - فإن كان قومي أصبحوا حوَّطتهم نوى ذاتُ أشطانٍ لبعض المطارحِ
٢٤ - فما كان قومي ضارعينَ أذلَّةً ولاخُذُلاً عند الأمور الجوارحِ
٢٥ - وقد علموا ماكنتُ أهدم مابَنَوْا وما أنتحي عيدانَهم بالقوادحِ
٢٦ - وما كنت أسعى أبتغي عثراتِهم وما أغتدي فيها ولستُ برائحِ
٢٧ - وإني لعيّابٌ لمن قال عيبهم وإني لمدّاحٌ لهم قولَ مادحِ
٢٨ - فبلِّغ بني (سعد بن بكر) مُلِطَّةً رسولَ امرىء بادي المودَّة ناصحِ
٢٩ - بأن العتيق البيتِ أمسى مكانه وقبرُ رسول الله ليس ببارحِ
٣٠ - مقيمين حتى ينفخَ الصورُ نفخةً وأخرى فيجُزى كدحه كلُّ كادحِ
٣١ - فإني لعمري لاأبيعهما غداً بشعبٍ ولا شيبان بيعَ المسامحِ
٣٢ - ولاأشتري يوماً جوارَ قبيلةٍ بجيران صدقٍ من قريش الأباطحِ
٣٣ - هلمَّ إلى الأثرَين قيسٍ وخِنْدفٍ وساحة نجد والصدور الصحائحِ
٣٤ - ولا تقذفوا في قضاعة عاجزتْ قضاعةُ واستولتْ حطاط المجامحِ
٣٥ - أبوا أن يكونوا من (معدٌّ) قريحةً حديثاً فإنّا علم تلك القرائحِ
٣٦ - لعمري لئن كانت قضاعة فارقتْ على غير جُدّاد من القول واضحِ
٣٧ - لأغن بنا عن صاحب متقلِّب وعن كلِّ ذوّاقٍ وملِّ مراوحِ

٣٨ - فإنَّــا ومــولانــا ربيعــةَ معشــرٌ نعـيش على الشحنــاء من كل كاشـحِ
٣٩ - بنــو عِلَّة ما نحـن ، فينــا جلادةٌ زَبنّــون صمّــاحــون رُكْنَ المصــامحِ

---

(١) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، واحدها بارح . قَفَتْها : تبعتها . السوانح : جمع سانح وهو الظبي .

(٢) عقر دار : فناء الدار . مصارح : صريح .

(٣) هشّ : فرح وُسُر .

(٤) ماصح : بالٍ .

(٥) الوضائح : واحد تها وضيحة ، وهي النّعم .

(٦) عفت : درست . مرّ : وادٍ في بطن إضم . البسابس : القفراء الجرداء .

(٧) أجراع : ج جَرَع ، وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل . أوساف : لم أدر ماهو . الأعـوص : موضـع قرب المدينة . بيشة : موضع كثير الشجر من عمل مكة مما يلي اليمن . الـرّوْضـات : ج روضـة وهي الأرض ذات الماء والنبات الكثيرين . المقازح : منبت الأشجار المقزّحة وهي التي تشبه شجر التين .

(٨) الثنيّة : موضع انثناء الوادي . تقتد : موضعَ في الحجاز .

(٩) بحرة مسحومائه : لاأدري ماهي . ضفاضغ : جبل صغير وعنده حبس كبير يجتمع فيه الماء قرب الحديبية . الصوّة : ماغلظ من الأرض وارتفع . المنادح : المفاوز ، والمراد هنا السعة والفسحة .

(١٠) فى التكملة (عذر) : « إذا الحي الجوم المسيِّر . . . » الحُوْم : القطعة الضخمة من الإبل . الميسر : الذي كثر لبنه .

(١١) في اللسان « تقضي . . » بالبناء للمعلوم ، وفيه أيضاً « . . . . . تروح . . . . » بدلاً من « يلوح » . ذو حلق : يعني إبلاً ميسمها الحلق . العواذير : ج عاذَر ، وهو أن يكون بنو الأب ميسمهم واحـداً ، فإذا اقتسموا مالهم قال بعضهم لبعض : اعذر عني ، فيخبط في الميسم خطًّا أو غيره لتعرف بذلك سمة بعضهم من بعض . الأخطار : ج خِطْر ، وهي الإبل الكثيرة . اللقائح : ج لقوح ، وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(١٢) الخَطْرة : من سمات الإبل . العلاطان : سمةٌ فى عُرْض عنق البعير والناقة بالطول أو ربما كان خطًّا ، وربما كان خطّين ، وربما كان خطوطاً . الهجمة : الإبل الكثيرة . الغُلْب : ج أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

(١٣) أناعيم : هي الإبل والشاء . القَيْل : اللبن الذي يشرب وقت القيلولة . الصابح اللبن الذي يشرب وقت الصباح .

(١٤) الأكـامي : الضخم المأكمة ، وهي مابين المتن والوركين . البوائك : ج بائكة ، وهي الناقات الفتية السمينة الحسنة الكريمة . الوحاوح : ح وحواح وهو السيد في قومه .

(١٦) أعبط : عَبَط الذبيحة ، نحرها من غير عِلّة من داء أو كسر . الكَوْماء : الناقة العظيمة السنام . الحِرار : ج حرّ ، وهو ولد الناقة .

(١٧) في تهذيب اللغة « . . . بمقالة . . . » وفي اللسان والتاج (وطح) : « وأكبر منهم قائلاً بمقالة » . التواطح : التقابل .

(١٨) الشرامح : الأقوياء الطوال .

(١٩) الشّرى : موضع تنسب إليه الأسود . المتناوح : الذي تهب عليه الريح من كل جانب .

(٢٠) بهاليل : ج بُهْلول ، وهو السيد الشريف .

(٢٢) القوازح : نفّاخات الماء تظهر وتذهب .

(٢٣) حوّطتهم : أحاطت بهم ، أي أبعدتهم . . النوى الشطون : البعيدة الشاقة .

(٢٥) القوادح : الدودة التي تأكل الشجر ، والمعنى : لايذمهم ولايقدح فيهم كما تفعل تلك الدودة .

(٢٧) عيَّاب : كثير العيب . عيبهم : الأولى أن تكون عِبْهم .

(٢٨) فى اللسان : (لظظ) : « . . . رُكْزُ المصامح » . رسول امرىء : رسالة امرىء . ملظّة : ملحّة . سعد بن بكر : القوم الذين ينتسب إليهم الشاعر .

(٣٢) قريش الأباطح : هم الذي ينزلون أباطح مكة وبطحاءها .

(٣٤) حطاط المجامح : أدنى ماتصبو إليه النفس .

(٣٦) الجُدَّاد من القول : القول الواضح .

(٣٧) الملّ : الرجل الملول . مراوح : هو الذي يراوح بين رجليه ، وهو يكني به عن عدم الثبات على شيء واضح .

(٣٨) الكاشح : المبغض .

(٣٩) في اللسان والتاج (لظظ) : « ركز المصامح » ـ الجلادة : القسوة والصلابة.زَبَنُون صمَّاحون : أي من شادّهم شادّوه وغلبوه . المصامح : الذي يتشدّد في المساءلة .

قافيـــة الدال

(١٤)

وقال يمدح آل الزبير : (الكامل)

١ ـ راحتْ رواحاً قلوصي وهي جامدة آل الـزبَـيْر ولـم يَعْـدلْ بهـم بلدا
٢ ـ راحتْ بستين وَسْقـاً في حقيبتها ماحُمِّلتْ حَمْلهـا الأدنى ولا السَّددا
٣ ـ ما إنْ رأيت قلوصـاً قبلها حَمَلَتْ ستينَ وَسْقـاً ولاجـابـتْ بهـم بلدا

٤ ـ ذاك القِرى لاقِرى قومٍ رأيتهُمُ يَقْرون ضيفهمُ المَلويَّة الجُدُدا

---

(١) في الأغاني (١٢ ـ ٢٤٣) : « راحت قلوصي رواحاً . . . » .

(٢) الوَسْق : وزن معروف ويساوي ستين صاعاً . السُّدد : اللبن القليل ييبس في ضرع الناقة .

(٣) جابت : طافت .

(٤) في الأغاني (١٢ ـ ٢٤٣) : « . . . لا كأقوامٍ عهدتهم . . . » ، وفي الصاحبي في فقه اللغة (٢٥٥) : « ولم يكونوا كأقوامٍ علمتهم . . . » ، الملويّة الجدد : السياط .

(١٥)

وقال : (البسيط)

١ ـ تأبَّدَ القاعُ من ذي العُشِّ فالبيدُ فتَغْلمان فأشداخُ فعبُّودُ

---

(١) في مراصد الاطلاع (٨١) : « . . . من ذي العُسّ » ولعله تصحيف . ذو العش : من أودية العقيق في نواحي المدينة . تغلمان : قال ياقوت في معجمه : تَغْلمان : موضع في شعر كثير ، ولم يزد على ذلك . أشداخ : موضع في عقيق المدينة . عبّود : جبل بين المدينة والسيالة ويقابله جبل اسمه (صَغَر) وقيل : هو البريد الثاني من مكة في طريق المدينة .

(١٦)

وقال :

١ ـ أعيَّرتموني أن دَعَتني أخاهم سُلَيْم وأعطتني بأيمانها سَعْدُ

٢ ـ فكنتُ وسيطاً فى سُلَيْم معاقِداً لسعْدٍ وسَعْدُ ما يُحَلُّ لها عَقْدُ

٣ ـ صَبَبْتُ عليكمُ حاصبي فتركتكم كأصرام عادٍ حين جلَّلها الرِّمْدُ

---

(١) سُلَيم : قبيلة والد أبي وجزة . سعد : القبيلة التى ينتسب إليها الشاعر .

(٢) وسيطاً : حسيباً في قومه .

(٣) في كتاب الأفعال (رمد) : « كأضرام عاد » ولعله تصحيف . الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحَصْباء . أصرام عاد : الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس . الرِّمْد ، الهلاك ، ويقال رَمِدَ القوم : هلكوا .

(١٧)

وقال : (الطويل)

١ - دَلَنْظى يَزِلّ القَطْر عن صَهَواتِه هو الليثُ في الجُمّازةِ المتورِّد

(١) الدّلَنْظى : الجمل السريع ، وهو هنا الفرس السريع ، لأن الجمل لايقال لظهره صهوة . الجُمَّازة : دُرّاعة من الصوف ، المتورِّد : المصبوغ بالدم .

(١٨)

وقال : (الطويل)

١ - وما أنت أمْ ما أمّ عثمان بعدما حَبالُكَ من رملِ الغِناء خُدُودُ ؟

(١) في معجم البلدان (أمّا أم . . .) وأظن الصواب ما أثبتّ . خدود : مقطَّعة . الغَناء : قال ياقوت : الغَنَاء بالفتح ، والمد . . . . . ورمل الغَنَا ، مفتوح الأول ممدود ، في شعر الراعي رواية ثعلب ، وبكسر الغين قال ذو الرمة :

تنطّقن من رمل الغِناء وعُلّقت بأعباق أدمان الظباء القلائد

(١٩)

وقال يرتجز : (الرجز)

١ - والماء لاقَسَمٌ ولا أقلادُ
٢ - هُزاهِزٌ أرجاؤها أجْلادُ
٣ - لاهُنَّ أملاحٌ ولاثِمادُ
٤ - أفرغْ لجوفٍ وِرْدُها أفرادُ
٥ - عَباهِلٌ عَبْهلها الوُرّادُ
٦ - يحبو قَصاها مُلْبَدٌ سِنادُ

٧ - أحمرُ من ضنئضئها ميّادُ

(١) قَسَم : مفرّق . أقلاد : مجموع .
(٢) هزاهز : كثير الاهتزاز من صفائه . أجلاد : مفرد جَلَد وهي الأرض المستوية المتن الغليطة .
(٣) ثِماد : قليل لامادّ له .

(٥) في اللسان (عهل) : « عياهلٌ عيهلها الذوّاد » . وفي التكملة : « عرامسٍ عبهلها الذوّاد » . . . عياهل : متروكة غير ممنوعة من شيء .
(٦) في اللسان (حبا) : « قَصاها مخدِرٌ سنادُ » . يحبو : يحوط . قصاها : ناحيتها . المُلْبَد : المتلبد الشعر . السِّناد : المشرق .
(٧) الضنئضىء والضؤضؤ : كثرة النسل وبركته . ميّاد : يجيء ويذهب .

(٢٠)

وقال : (الكامل)

١ - وهواكَ مَجْنوبٌ بأمِّ عُوَيْمِرٍ أنّى نَقُدْه بالصَّبابة ينقَدِ
٢ - وإذا خبرتهم خَبِرْتَ سماحةً وسُراعةً تحت الوشيج المورَدِ
٣ - صُدُقٍ إذا وَعَدَ الرجالُ وأوْعدوا بأحبِّ بادرةٍ وأوفى مَوْعِدِ

(١) في المستقصى (٢ : ١٠٨) : « . . . تنقد » ولعله تصحيف ، وكذلك هـ بعض النسخ الخطية للكتاب ، مجنوب ، مقود .
(٢) الشّراعة : الجُرْأة . الوشيج : غابة الرماح ، واحدتها وشيجة . المورَد : المصبوغ بالدم .

(٢١)

وقال : (الكامل)

١ - أنمي فأعقِلُ في ضَبيسٍ مَعْقلاً ضغماً مناكبُه تميمَ الهادي
٢ - والعَقْد في مَلّانَ غيرُ مزلّجٍ بقُوَى متيناتِ الحبال شِدادِ

٣ ـ وأرى كريمك لاكريمةَ دونَه   وأرى بلادَك مَنْقَعاً لجوادي
٤ ـ قَشَمتْ فجرٌ برجلها أصحابها   وحشَوا على خَفصٍ لها وعِمادِ

(١) أنمي : نسبه . عَقَل . لجأ إلى معقِل . الهادي . العُنُق . التميم : التام .
(٢) المزلّج : كل مابالغت فيه ولم تحكمه .
(٣) قشمتْ : ماتت . الخَفْص : البيت الصغير .

(٢٢)

وقال : (البسيط)

١ ـ فيهم جيادٌ وأخطارٌ مؤبَّلةٌ   من هنْدَ هِنْدَ وإرباءٌ على الهِنَدِ

(١) فى التكملة (هند) : « . . . وأزياد . . . » ، وفي اللسان (هند) : « . . . مؤبّلة ـ من هنْدِ هندٍ . . . » وفي التاج (هند) كما في التكملة ـ الأخطار : جمع خِطْر ، وهو الجماعة الضخمة من الإبل . المؤبّلة : الإبل الكثيرة . الإرباء : الزيادة .

(٢٣)

وقال : (البسيط)

١ ـ طاف الخيالُ بنا وَهْناً فأرّقنا   من آلِ سُعْدى فباتَ النومُ مشتجرا
٢ ـ حَنَّتْ بأبواب عَمّانَ القطاةُ وقد   قضى به صحبُها الحاجات والوطرا
٣ ـ يسعى مساعي آباء له سلفوا   من آل قينٍ على مطمارهم طمرا

(١) مشتجراً : متجافيا عنه ، ومنه شجرَ الشيء : إذا نحّاه ، وشجره عن الأمر : صرفه .
(٣) في الأساس واللسان والتاج (طمر) : « . . . سلفت » ، وفي اللسان والتاج (طمر) : « . . . من آل قير . . . » وفي الأساس واللسان والتاج (طمر) : « . . . طمروا » . المطمار : المَسْلك ، يقال : جاء الرجل على مطمار أبيه ، أي يشبهه .

(٢٤)

وقال : (البسيط)

١ - قرّبْن كل صَلَخْدى محنقٍ قطمٍ عِهْوٍ له ثَبَجٌ بالنِّيِّ مضبورُ
٢ - فإن تبدَّلْتَ أو كلأْتَ من رجلٍ فلا يغرَّنْك ذو ألْفين مغمورُ
٣ - حتى إذا أنْجدتْ أرواقُه انهزمتْ (واعتقّ منبعجٌ بالوَبْل مبقورُ)
٤ - وكَرْكَرَتْه الصَّبا سبعين تحسبه كأنَّه بحيال الفَوْر مَعْقور

---

(١) في اللسان (عها) : « . . . فَطِم . . . » . العِهْو : الجحش ، وقيل هو جِمْلٌ عِهْو : نبيل وهو قَويٌّ مع ذلك . الثَّبَج : مابين الكاهل إلى الظهر ، وجمعه أثباج وثبوج . الصلخدى : الجمل المسن الشديد الطويل . النّيّ : الشحم . المضبور : بعير مضبور الظهر ، ومضبّر الخَلق : ملززه .

(٢) كلأ : يقال : كَلأت في أمرك تكليئاً أي تأمّلت فيه ، وكلأت في فلان : نظرت إليه متأملاً فأعجبني . ذو ألفين : مَنْ له ألفان من المال .

(٣) في التكملة (عقق) : « . . . . أوراقه » ولعله تحريف - اعتقّ : اندفع ماؤه ، والمثبت رواية التاج . منبعج : تبعّج السحاب وانبعج بالمطر : انفرج من الوَرَق والوَبْل الشديد .

(٤) الفَوْر : بقية حُمْرة الشفَق في الأفق الغربي ، سُمي فَوْراً لسطوعه .

(٢٥)

وقال : (الطويل)

١ - به من نجاء الغيث بيضٌ أَمَرَّها جِبارٌ لصُمِّ الصخرْ فيها قُراقِرُ

---

(١) النَّجاء : السُّرْعة . الجِبار : الذي لادية لما أصاب ، يعني السيل . أقرّها : أي مرّ هذا السيل بهذه الغدران فأقرّها بهذا البلد وذهب عنها .

(٢٦)

وقال يصف عهون الهودج : (الوافر)

١ - كأنَّ النَّقْد العَلَسيَّ أجنى ونعمٌ نبته وادٍ مطيرُ
٢ - ومَرْضى من دجاج الرِّيف حمرٍ زواهفَ لاتموت ولاتطير

٣ ـ وثامر كربلٍ وعميمُ دِفْلى عليها والندى سَبطٌ يمورُ
٤ ـ فإني لا وأُمِّك لا أُساري لِقاح الجار ماسَمَرَ السميرُ
٥ ـ لقد ماجتْ عليك مؤبّداتٌ يلوح لهنّ أنداب سفورُ

---

(١) النُّقْد : بالفتح والضم شجر نَوْر يشبه العُصْفر . العَلَسيّ : نبت له نَوْر وحسن . أجنى : أدرك ثمره .

(٢) مرضى من دجاج الريف حمر : يريد راكبات الهودج . الزواهف : القريبة من الموت .

(٣) الثامر : نور أحمر اللون . وكذلك الكربل . الدِفلى : شجر سيء . سَبِط : متدارك سَحٌ .

(٤) أساري : أي يطرق إبل جاره ليحتلبها دون صاحبها .

(٥) ماجت : مَشْي حسن كمشي البطة . مؤبّدات : يعني إبلاً توحشت ونفرت من الأنس . أنداب : جمع نَدَب وهو الجرح . سُفُور : الأثر يبقى على جلد الإنسان وغيره .

(٢٧)

وقال : (البسيط)

١ ـ ترى العِلافيَّ منها مُوفِداً فَطِعاً إذا احزألّ به من ظهرها فِقَرُ

---

(١) العِلافيّ : أعظمُ مايكون من الرجال أَخِرَةً وَوَسطاً ، وليس بمنسوب إلا لفظاً . الفَطِع : الملآن . الموفد : المشرف . احزألّ : ارتفع في سيره .

(٢٨)

وقال : (الكامل)

١ ـ أدماءُ في وَضَحٍ يكاد إزارها يُقْوي ويشبع ما أحبَّ إزارُها
٢ ـ وانغسَّ في كدر الطِّمال دُعامِصٌ حُمْرُ البطونِ قصيرةٌ أعمارُها
٣ ـ خُطَباء لاخُرْقٌ ولاغُلَلٌ إذا خطباءُ غيرهم أغلَّ شِرارُها
٤ ـ وغداً نوائحُ معولات بالضحى وُرْقٌ تلوح فكلهنَّ قصارُها

---

(١) الأدماء : السمراء . الوضَحُ : البياض من كل شيء .

(٢) انغس : غسسته في الماء فانغس أي انغط ، وانغسّ : لغة خاصة تميم . الدعامص : جمع دُعموص ، وهي دويبّة تغوص في الماء . الطِّمال : الماء الكدر .

(٣) خُرْق : مجانين ، مفردها أخرق . غُلَل : أغلَّ الخطيب : لم يصب في كلامه .

(٢٩)

وقال : (الوافر)

١ - بأجـمـاد الـعـقيق إلـى مُرَاخٍ فَنَـعْـف سُوَيْقَـةٍ فنـعـافِ نَسْـرِ

---

(١) العقيق : وادٍ في المدينة . مراخ : موضع قريب من المزدلفة . نعف سويقة : موضع . قال كثيّر :

ومـا تركـتْ أيام نعـف سُوَيْقَـةٍ لقـلبـك من سلمـاك صداً ولا عزمـا

والنعف : المكان المرتفع في اعتراض . سويقة : قال ياقوت : وهي مواضع كثيرة في البلاد ، وهي تصغير ساق . . . . ففي بلاد العرب سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل علي ابن أبى طالب . . . » انظر معجم البلدان (سويقة) . نَسْر : قال ياقوت : « موضع في شعر الحطيئة من نواحي المدينة ذكره الزبير في كتاب (العقيق) ، وأنشد لأبي وجزة : (البيت) » انظر معجم البلدان (نسر) .

(٣٠)

وقال : (الكامل)

١ - يُهْـدي قلائصَ خُضَّعـاً يَلْنُفْنـه صُعْـر الـخـدود نوافـقَ الأوبـارِ

---

(١) قلائص : مفردها قلوص ، وهي الناقة ، صعر الخدود : أي مترفعات . نوافق الأوبار : أي نَسِلتْ أوبارها من السِّمَن .

(٣١)

وقال : (الرجز)

١ - أشكـو إلى الله العـزيز الجبَّارْ
٢ - ثمّ إليك اليومَ بُعْـدَ المُسْتَارْ
٣ - وحـاجـة الحيِّ وقطَّ الأسعـارْ

---

(١) في الصحاح واللسان (قطط) : « . . . . العزيز الغفّار » .
(٢) المُسْتار : المفتعل ، واستار : امتار ، أي أتى بالميرة .
(٣) قطّ الأسعار : ارتفاعها .

(٣٢)

وقال : (الرجز)

١ - تُرْبي على قِدٍّ يغْـريه الغـارْ

٢ - مَسْـكَ شبـوبّيْن لهـا أصبارْ

---

(١) القِدّ : إناء من جلد . يفريه : يقطعه . الفار : لعله الفار ، وهو عضل الإنسان ، أما الفار فهو الحبل المفتول .

(٢) المَسْك : الجلد . شبوبين : يعني ثورين مسنين . الأصبار : جمع صِبْر وصُبْر ، وهو ناحية الشيء وحرفه .

(٣٣)

وقال : (الطويل)

١ - تزور بي القَـرْم الحـواريَّ إنَّهم مناهِـلُ أعـدادٌ إذا القوم أقـطعـوا

٢ - وإن لبسوا العُصْبَ اليمانيَّ وانتدَوا فبـالـجـود أيديهـم سِبـاط تريَّعُ

٣ - نَشِيْعٌ بمـاء البقـل بين طرائقٍ من الـخَـلْق مامنهـنَّ شيء مُضيَّعُ

٤ - توسَّـطهـا غالٍ عتيقٌ وزانَهـا معـرَّسُ مَهْـريٍّ به الـذُّيْل يلمـعُ

٥ - فقلت : أتبكي ذاتُ طَوْقٍ تذكّرتْ هديلاً ، وقـد أُودى ، ومـاكـان تُبَّـعُ

٦ - عيونٌ تراقتْ بالـرعـاف كأنَّهـا من الـسَّـوْق صِرْدانٌ تَدِفّ وتـلمـعُ

٧ - وفي الـركب إلا أنَّ عَيْناً ورِقْبَةً عقـائـلُ قومٍ ليس فيهـنَّ مَطْمـعُ

٨ - تعـلَّقَ هذا الـقلبُ مني علاقـةً تضـرّ ، فلو كانـت مع الضـرِّ تنفـعُ

---

(١) القَرْم : السيِّد . الحواريّ : النقيّ . أعداد : جمع عِدّ . وهو البئر الذي يخرج على وجه الملاح ، والمقصود أنه مَعين من العطاء لاينضب . أقطعوا : أقطع القوم ؛ إذا انقطعت مياه السماء فرجعوا إلى أعداد المياه .

(٢) تريَّع : تجود بسيبٍ بعد سيبٍ .

(٣) النَّشيع : المولَع .

(٤) توسَّطها غالٍ : توسطها شحم عتيق في سنامها . معرّس مَهْري : حِمْلها الذي أجنّته في رحمها من ضراب جَمَلٍ مَهْريٍّ .

(٥) في تهذيب اللغة (٦ : ١٩٩) : « قال الأموي : أنشدني ابن أبي وجزة هذا البيت لنُصَيْب . . . » . صِرْدان : جمع صُرَدٍ ، وهو طائر فوق العصفور . تدِفّ : الدَّفيف مرور الطائر فوق الأرض .

(٣٤)

وقال : (البسيط)

١ ـ كأنّمـا طَرَقَتْ ليلى معهَّـدةً من الـرِّياض ولاهـا عارضٌ تَرِعُ
٢ ـ طافَتْ بهـا ذاتُ ألـوان مشبَّهـةٌ ذريعـةُ الـجن لاتُـعْـطي ولاتـدعُ
٣ ـ والخائع الجَوْنُ آتٍ عن شمائلهم ونـايع النـعْـف عن أيمـانهم يَفَـعُ
٤ ـ فمـا أردنـا بهـا من خلَّةٍ بدلاً ولابـهـا رَمَصُ الـواشين نستَمـعُ

---

(١) المعَّهـدة : الرَّوْضة التي تصيبها النَّفْضة من المطر . والنَّفضة : المطْرة التي تصيب القطعة من الأرض وتخطىء القطعة . ولاَها : أصابها الوَلْي ، وهو المطر . العارِض التَّرِع : السحاب الكثير المطر .

(٢) ذريعة الجهد : كأنها جنيَّة ، والذريعة : الوسيلة . النَّعْف : المكان المرتفع من الأرض .

(٣) يَفَع : مرتفع .

(٤) رقص الواشين : إسراع الواشين في هتّ النمائم ، وهـو من رَقَصَ البعير رقصاً ، إذا أسرع في سيره .

(٣٥)

وقال : (البسيط)

١ ـ كأنَّهم يومَ ذي الغَرَّاء حين غدتْ نُكبـاً جمـالـهـم للبَيْنِ فانـدفعـوا
٢ ـ لم يصبح القوم جيراناً ، فكلّ نوىً بالنـاس لاصَدْعَ فيهـا سوف تنصدعُ

---

(١) ذو الغراء : موضع في عقيق المدينة .

(٣٦)

وقال يمدح آل الزبير :

١ ـ آلُ (*) الزُّبَيْر بنو حرَّة — مروا بالسيوف صدوراً خِنافا
٢ ـ سلِ الجُرْد عنهم وأيّامها — إذا امتعطوا المرهفاتِ الخفافا
٣ ـ يموتون والقتْلُ داءٌ لهم — ويصْلَوْن يومَ السِّياف السِّيافا
٤ ـ إذا فرَّج القتلُ عن عيصهم — أبى ذلك العيصُ إلا التفافا
٥ ـ مطاعيمُ تُحْمَدُ أبياتُهم — إذا قُنِّع الشاهقات الطخافا
٦ ـ وأجبنُ من صافرٍ كلبُهم — إذا قَرَعَتْه حصاة أضافا

(*) أصاب البيت زحاف الخرم .

(١) في أمالي المرتضى (٢ : ١١١) : « ..... بنو مرّة ... الصدور الجنافا » .
مروا : استخرجوا الدماء وأسالوها . الخناف . المتعالية .

(٢) الجُرْد : الخيل السريعة . امتعطوا : سَلّوا ، ومنه ذئب أمعط : منسلٌ من شعره .
السِّيَاف : الضرب بالسيف .

(٣) في أمالي المرتضى (٢ : ١١١) : « ... والقتل من دأبهم ..... ويغشون يوم السيوف .... » .

(٤) العيص : الأصل ، وأصل العيص : منبت خيار الشجر ، وفلان في عيصٍ أشب : أي في عزٍّ ومنعة .

(٥) مطاعيم : كرماء . الطخاف : السحاب المرتفع .

(٦) في أمالي المرتضى (٢ : ١١١) ، والتكملة (جبن) : « .... وإن قذفته حصاة ... » وفي التكملة (جبن) : « ... أضافا » . الصافر : طائر يتعلق في الشجر برجليه وينكّس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليله . أضاف : خاف وأشفق وحذر .

(٣٧)

وقال : (البسيط)

١ ـ يُعرى هواكَ إلى أسماء واحتظَرتْ — بالنأْي والبخل فيما كان قد سلفا
٢ ـ وحدَّثَ الدُّهن والدّخلى خبيركم — وسال تحتكمُ سيلٌ فما نَشِفا
٣ ـ والكبشُ هِرْجٌ إذا نَبَّ العَتودُ له — زَوْزَى بإلْيته للذُّلِّ واعترفا

٤ ـ رَمٌّ رَغُـولٌ إذا غبَّـرتْ موارِدهُ ولا ينـام له جارٌ إذا اختـرفـا
٥ ـ قد شاع في الناس فيما يُذكرانِ به وَهْيُ الأديمِ ، وأنَّ الحـوص قد لُقِفـا

(١) احتظرت : امتنعتْ . يُعرْى : يَحنّ إليه .
(٢) الدّهْن : شجرة سوء كالدفلى .
(٣) الهِرْج : الضعيف من كل شيء . نَبَّ : النبُّ : صياح الكَبْش عند الهياج . العتود : الجَدْى الذي استكرش .
(٤) الرمّ الرَّغول : الذي يغتنم كل شيء ويأكله .
(٥) لُقِفا : التلقيف : ضرب حائط الحوض بالطين .

(٣٨)

وقال : (البسيط)

١ ـ حلَّتْ به حلَّةً أسمـاءُ وانتجعَتْ ثُم استـمـرَّ بعُـقـر من نوىً قذفِ

(١) عُقْر النوى : صرفها حالاً بعد حال .

(٣٩)

وقال : (الرجز)

١ ـ قام إليـهـا رجـلٌ فيه عُنُفْ
٢ ـ له ذراع ذاتُ نِيرَيْن وكَـفْ
٣ ـ فقـذَّهـا بين قَفَـاهـا والكتِفْ
٤ ـ فيهـا كسورُ رَعِمـاتٌ وسُدُفْ
٥ ـ واستيقنتْ أن الصَّليف مُنْعَسِفْ
٦ ـ كأنهـا غَلْثَى من الرَّحْمِ تَدِفْ

(٢) ذات نِيرَيْن : أي قوّته وشدّته ضعف شدة صاحبه .
(٣) القَذ : الضرب على المقذ ، أي القفا .
(٤) رعمات : كِسْر رَعِم : أي ذو شحم . والرَّعم : الشحم . سدف : جمع سديف وهو السِّنام المقطَّع .
(٥) الصّليف : عُرْض العنق ، وهما صليفان من الجانب . مُنْعَسِف : مشرف على الموت .
(٦) الغلثى : نوع من الطير .

(٤٠)

وقال :

١ - فمـا المـالَ إلا سؤرُ حقِّك كلِّه ولـكـنّـه عمـا سوى الـحقِّ مُخْـرِقُ

(١) في التكملة واللسان (خرق) : « ... مخرِق » بالكسر ، والصواب ما أثبت . الخَرْق : المنْع . السُّؤْر : بقية الشيء .

(٤١)

وقال : (الكامل)

١ - والضَّـرْبُ قَرْطَبـةٌ بكـل مهنَّدٍ تركَ الـمـداوسُ متـنـه مصـقـولا

٢ - وبـجلْهتَيْ عمّـانَ يومٌ لم يكن لكـمُ إذا عُدَّ الـعُـلا مغـمـولا

(١) القَرْطَبة : الصَّرْعُ ، وقرطَبَة وقحْطَبَه إذا صرَعَه . المداوس : أي الصيقل الذي يدوس السيف دياساً ، أي يسنّه .

(٢) الجَلْهتـان : جانبـا الوادي . يوم مَغْمول : قال الزمخشري في الأساس (غمل) : « ومن المجاز يوم مغمول : ليومٍ من أيام العرب لم يكن مذكوراً » . عَمّان : مدينة معروفة مشهورة .

(٤٢)

وقال :

١ - قلبُ عقيلةُ أقـوامٍ ذوي حَسَبٍ يرمـي الـمـقـانبَ عنهـا والأراجيلُ

٢ - من كل بيضـاءَ مِخماصٍ لها بَشَرٌ كأنّـه بذكـيِّ الـمسـك مغسـولُ

٣ - فالخـدُّ من ذَهَبٍ والثَّغـر من بَرَدٍ مفـلَّجٌ واضـحُ الأنـياب مصـقـولُ

٤ - كأنـه حين يستسقي الضجيعُ به بَعْـد الكـرى بمدام الـراح مشمـولُ

٥ - ونَشْـرهـا مثل ربـا رَوْضـةٍ أُنُفٍ لهـا بفـيحـانَ أنـوارٌ أكـالـيلُ

٦ - فهـزَّ روقـيْ رمـالـي كأنّـهمـا عودا مَداوسَ يَأصـولٌ و يأصـولُ

٧ - صافي الأديم هِجان غيرَ مذْبحه كأنّـه بدم الـمَـكْـنـانِ مَمْـهـولُ

٨ ـ عَزْبُ المـراتـع نظّارٌ أطـاعَ له — من كلّ رابـيةٍ مكـرٌ وتـأويلُ
٩ ـ طَوْراً وطَـوْراً يجوبُ العقر من نقح — كالسـنـد أكـبـادُه هِيْمٌ هَراكـيلُ
١٠ ـ حَرْف مليكية كالفَحْـلِ تابَعهـا — فى خِصْب عامَيْن إفـراقٌ وتـهـميلُ
١١ ـ كأنمـا اقورٌ من أنسـاعهـا لهقٌ — مزمّـعٌ بسـوادِ الـليل مكـمـولُ
١٢ ـ حتى إذا مادنت منـه سَوابقهـا — ولـلّغـامِ بعِـطْفَـيه شعَـالـيلُ

---

(١) في الأسـاس (قلب) : « . . . ترمي . . . والأراجيل » ، وفي اللسـان (قلب) : « ترمى . . . المراجيل » وقلب : خالصة النسب . المقانب : جماعة الفرسان .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان (فَيْحان) : « وقال أبو وجزة الحسين بن مطير الأسدي : (الأبيات) وهذا تحريف . مِخماص : ضامرة البطن .

(٣) مفلّج : منفرج الأسنان .

(٥) روضة أنف : لم يرعها أحد . فيحان : موضع في بلاد بني سعد .

(٦) في اللسان (وصل) : « . . . يهزّ . . . » المداوس : الذي يسن السيف فيدوسه دياساً . اليأصول : الأصل ، أي أصلٌ وأصل .

(٧) الهجان : البيض الكرام من الإبل . المكْنان : نبات له نَوْر أحمر . ممهول : مطليّ .

(٨) عَزْب المراتع : بعيد . نظّر : شَهْم طامح الطرف . أطاع له : نشب له . التأويل : اسم بقلة تولع بقر الوحش تنبت في الرمل . المكر : نبات .

(٩) في تهـذيب اللغـة (. . . المعقـر) ولعله تصحيف ـ والعفـر : البيض . النقح : الخـالص من الرمل . السند : ثياب بيض . الهراكيل : ج هِرْكوله : وهي الضخمة الجسم . الهيم : الإبل ـ المراض التي تمص الماء مصاً .

وعلق عبـد السلام هارون على رواية العُقْـر فقـال : « صوابـه العُفْـر » بالفـاء ، كما في المخطوطة ، والأعفر : الأبيض ، وجاء في التفسير بعده : « أراد بها البيض من حبات الرمل » .

(١١) في اللسـان : (مرمّـع) ـ اقورّ : ضَمُرَ وتغير . الأنساع : ج نسع وهو بين الكف والساعد . اللهق : الشديد البياض . المزمّع :

(١٢) في اللسان (شعل) : « . . . وللغمام . . . » .

(٤٣)

وقال : (الطويل)

١ ـ ألا طرقتْ سُعْدى فكيف تأفّقتْ بنـا وَهْي مِيْسَـان الليالي كَسـولهـا
٢ ـ تُبـاري بأجـواز الـعـقيق غُدَيَّةً على هاجـراتٍ حان منهـا نزولـهـا

---

(١) ميسان : بكسر الميم ، مِفْعال من الوسن ، وهو النُّعاس . تأفّقت : ألمَّتْ .

(٢) في الباب (هجر) : « . . . بأجماد العقيق » ، وفي اللسان والتاج (هجر) : « بأجياد العقيق . . . » العقيق : واد في المدينة . الهاجرات : جمع هاجرة ، وهي الناقة الفائقة الفاضلة .

(٤٤)

وقال : (الطويل)

١ ـ ظَعائنُ من قيس بن عَيْلانَ أشْحصتْ بهنَّ النَّوى ، إنَّ النَّـوى ذاتُ مِغْـوَلِ
٢ ـ يُحيّونَ فيَّاضَ النَّـدى مُتَفَضِّـلاً إذا التَّـرِحُ المـنَّـاعُ لم يتـفـضَّـلِ
٣ ـ فعـادَ زمـانٌ بعـد ذاك مفـرِّقٌ وأشعـلَ وَلْيٌ من نوىً كل مَشْعـلِ
٤ ـ وتَسْبغـةٍ يفش المنـاكبَ ريْعُهـا لداودَ كانـتْ ، نَسْجُهـا لم يُهَلْهَـلِ
٥ ـ . . . . كفحـلِ الهجـان الـمـاطليِّ المرفَّـلِ
٦ ـ فذي حَلِفٍ فالرَّوضِ روضِ فلاجةٍ فأجـزاعـه مِنْ كلِّ عِيْصٍ وغَـيْطَلِ

---

(١) أشحصت : أبعدتْ . المِغْوَل : سيف دقيق له قفا يكون غمده كالسوط .

(٢) التَّرِح : القليل الخير .

(٣) أشعل الجمع : فرَّقه ، والشُّغلول : الفرقة بين الناس وغيرهم .

(٤) التسبغة : أسفل البَيْضة يقي بها الرجل عنقه .

(٥) الهجان : البيض الكرام من الإبل . الماطليّ : فحل من كرام الإبل إليه تنسب الإبل الماطلية . المرفّل : الطويل الذيل .

(٦) ذو حَلِف : قال عنه ياقوت : موضع . العِيص : منبت الشجر . الغَيطل : الشجر الكثير .

(٤٥)

وقال : (الطويل)

١ ـ كأن حريقـاً ثاقـبـاً في أَبـاءَةٍ هَديرُهـمـا بالـسَّبْسَب المتمـاحِـلِ
٢ ـ فرابيةِ التّـأويل فى كلّ نُهْـزَةٍ إلى بَحَـرات الحبْـلِ منه الغياطـلِ

(١) الأبَـاءَة : أَجمـة القصب . السَّبْسبُ المتمـاحـل : المفـازة المتبَـاعِـدةُ الأطراف . والمعنى : كأنّ هدير ذينك الفحلَيْن من الإبل في المفازة المترامية الأطراف ، صوت حريق في أجمة من قصب .

(٢) التأويل : لم أعرف ماهو . النُهْزَة : الفُرْصة تجدها من صاحبك . بَحَرات الحبل : لعله الموضع الذي ذكره ياقوت عند عرفة وقال : هو اسم موضع عند البصرة .

(٤٦)

وقال مادحاً : (الوافر)

١ ـ وجـدنا المحْضَ الابيضَ من قريشٍ فتـىً بين الـخـليفـةِ والـرسـولِ
٢ ـ أتـاكَ المجـدُ من هَنّـا وهَنّـا وكـنـتَ له بمـقـبـلح الـسيولِ
٣ ـ فمـا للمحبّ دونـكَ من مبيتٍ ومـا للمـجـد دونـك من مقيلِ
٤ ـ فدىً لك من يصـدّ الحق عنه ومـن يُرضـي أخـاه بالـقـليلِ
٥ ـ فلولا أنـت مارحـلتْ ركـابـي مؤثّـلةً ولاحـمـدتْ رحـيلي

(١) المحض : الصافي .

(٤٧)

وقال : (الرجز)

١ ـ بعـانسـاتٍ هَرِمـاتِ الأزْمَـلِ
٢ ـ جُشٍّ كبحريِّ السحابِ المُخْيلِ

(١) عانسات : سِمان تامات الخلْق . الأزْمَل : الصوت المختلط .
(٢) الجشّ : شدة الصوْت وغلظه . المخيل : الخادع ، الّذي يحسبه الرائي ممطراً .

(٤٨)

(الرجز)

١ - فاسمعْ ولاتسمعْ بشيءٍ ذي مَقَلْ

---

(١) المقْل : الرمي .

(٤٩)

وقال : (الطويل)

١ - دعـتـنـا لمـسْـرى ليلةٍ رجبيَّةٍ جلا برقُـهـا جَوْنَ الصنـاديدِ مُظلمـا
٢ - يزيفُ يمـانيه لأجـزاعِ بيشـةٍ ويعـلو شآمـيه شَرَوْرى وأظـلمـا
٣ - تنـادوا بأغباش السّـواد فقربَتْ علافـيفُ قد ظاهـرنْ نيّاً معـوّمـا
٤ - يقْرمْن سَعْدان الأباهرِ في النّدى وعِـذْقَ الخزامى والنصيّ المجمَّمـا

---

(١) في الأساس والتكملة والتاج (صند) : « . . . بمسرى . . . » . الرجبيّة : منسوبة إلى شهر رجب ، أي ليلة عظيمة . صناديد السحاب : ماكثُر وَبْلُه .

(٢) في اللسان (ظلم) : « يزيف يمانيه لأجراع بيشةٍ . . . » بيشة : اسم قرية غنّاء في وادٍ كثير الأهل من بلاد اليمن . شَرَوْرَى : جبل في أرض بني سُلَيْم .

(٣) أغباش السواد : الغَبَش : شدّة الظلمة . العلافيفُ : جمع عُلْفوف ، والعلفوف هو الذي فيه غِرّة وتضييع ، والمراد هنا نساء فتيّات . النّيّ : الشّحْم . . المعوَّم : شحمُ عام بعد عام .

(٤) يقرمْن : يأكلن . السّعْدان : نبتٌ ذو شوك يُرى شوكُه كالحلَمِ إذا يبس والإبل تسمن عليه وتطيب . الأباهر : ما اتسع من الأرض ، مفردها : بُهْرَة . العِذْق : العرجون بما فيه من الشماريخ وجمعه عِذاق . الخزامى : نبت طيب الرائحة . النصيّ : نبت معروف يقال له : نصّي مادام رَطْباً فإذا ابيضّ فهو الطّريفة . فإذا ضخم ويبس فهو الحكي . المجمّم : الكثيف ، وقد لحق البيت زحاف الخرم ، وهو سقوط متحرك من الوتد المجموع فى أول البيت .

(٥٠)

وقال : (الرجز)

١ - وجَبَّبَتْ أسقيةً عواكما
٢ - وفرَّغتْ أخرى لها خُماخِما
٣ - لو أنَّ جمع الروم والجراجِما
٤ - ويَرْجعون المُرد والعَراهما
٥ - وفارقتْ ذا لِبَدٍ عَراهما

---

(١) جَبَّبَتْ : قطَّعت . الأَسْقِيَة : أوعية اللبن . العواكم : المربوطة .
(٢) الخماخم : الضَّرع الخماخم : الكثير اللبن .
(٣) العراهم : الشيخ العظيم .
(٤) الجراجم : قوم من العجم بالجزيرة . ويقال : الجراجمة : نبط الشام .
(٥) العراهم : العظيم من الإبل .

(٥١)

وقال : (الطويل)

١ - دعِ الأعفثَ المِهْذارَ يهذي بشتمنا فنحن بأنواع الشتيمة أعلمُ

---

(١) الرجل الأَعْفث : الكثير التكشّف الذي لايواري سوءته . المِهْذار : الكثير الكلام .

(٥٢)

وقال : (الكامل)

١ - لَجَّتْ لأبناء الزبَيْر مآثرٌ في المكرماتِ ونَغْرةٌ لاتُنجمُ
٢ - فإلى ذَرا آل الزبير بفضلهم نِعْمَ الذَّرا في النائبات لنا هُمُ
٣ - وهم الحواريّون قد قسمتْ لهم إن المداعيَ والمساعيَ تُقْسَمُ
٤ - والعاطفون تحينَ مامنْ عاطفٍ والمطعمون يداً إذا ماأنعموا
٥ - واللاحقون جفانَهم قَمَع الذرا والمطعمون زمان أين المطعِمُ

٦ - والمانعون من الهضيمة جارَهم والحاملون إذا العشيرة تُغْرَم
٧ - الجودُ غالبهم وفيهم نَجْدَةٌ وفضيلةٌ عند الخطاب ومِيسَمُ
٨ - وإذا قَطَمْتَهم قطمْتَ علاقماً وقواضيَ الذِّيفان فيما تقضِمُ

(١) في التاج (بغر) : « قال أبو وجْرَة . . . » وهو تصحيف . وفي اللسان والتاج (بغر) : « شحّت لأبناء . . . » . البَغْرة من العطاء : الدائم . تنجم : تنقطع .

(٢) في الخزانة (٤ : ٧٩) : « إلى ذرا . . . » الذَّرا : كل ما يستتر به المرء ويلتجىء إليه .

(٣) المداعي : فلان يدّعي بكرم فعاله ، أي يخبر عن نفسه بذلك ، والمداعي نحو المساعي والمكارم ، يقال : إنه لذو مَداعٍ ومساعٍ .

(٤) في غريب الحديث (٤ : ٢٥٠) : « . . . زمانَ ما من مطعم » ، وفي الغريب المصنّف (٢٠٨) : « . . . والمطعمون تحين مامن مَطعم » ، وفي رصف المباني (١٦٣) ، والتكملة (حين) وهمع الهوامع (١ : ٢٦١) : « والمسبغون يداً إذا ما أنعموا » . وفي اللسان (ليت) : « . . . والمطعمون . . . » وفي اللسان (ما) و (عطف) : « والمفضلون » ، وفي اللسان (أين) : « زمان مامن مطعم . . . » وفي الصحاح (حين) : « والمسبغون » ، وفي حاشية الدسوقي (١ : ٢٦٤) : « تحين مامِن مطعم » .

(٥) في التكملة (حين) : « واللاحفون . . . » ، وإنشاده بعد البيت السادس . الجفان : أكبر ما يكون من القصاع .

(٦) الهضيمة : الظلم . تغرم : تصبح مدينة .

(٧) مِيْسَم : وسامة .

(٨) في اللسان (ذيف) : « . . . فمن تقطم » ـ تعضّه بأطراف أسنانها . عَلاقم : جمع عَلْقم وهو شجر الحنْظَل . الذِّيفان : السمّ .

(٥٣)

وقال : (الكامل)

١ - أجراعُ لينةَ ، فالقُلاخُ فبرقُها فشواحطُ ، فرياضُه ، فالمقْسِمِ

(١) لينة ، والقلاخ ، وشواحط ، والمقسم : كلها أسماء مواضع .

(٥٤)

وقال :

١ ـ . . . . أشـرُ بمـأُقَـتـه مُدِلٌ ملحِـمُ

(١) الأَشِر : البَطر . المأقة : الحِقْدُ . المُدِلّ : الذي يأخذ أقرانه من فوق ، ومنه : أدلّ البازي على صيده . ملحم . مطعم للحم .

(٥٥)

وقال يخاطب ولده عُبَيْداً :

١ ـ ياراكـبَ العَنْسِ كمِـرْادة العَلَمْ
٢ ـ أصـلحـكَ الله وأدنـى ورحـمْ
٣ ـ إن أنـتَ أبـلغـتَ وأدَّيْت الـكلمْ
٤ ـ عنـي عبـيد بن يزيد لو علمْ
٥ ـ قد علم الأقـوام أنْ سينـتـقـمْ
٦ ـ منـكَ ومـن أمٍّ تَلَقَّـتْـك وعَـمْ
٧ ـ ربٌّ يُجـازي السيِّئات مَنْ ظلمْ
٨ ـ أنـذرتـك الشـدَّة من لَيْث أَضِمْ
٩ ـ عادٍ أبـي شبـلَيْن فرفـارٍ لَحِـمْ
١٠ـ فارجـع إلى أمِّـكَ مَفْـرشكَ ونمْ
١١ـ إلى عجـوزٍ رأسُهـا مثلُ الإِرَمْ
١٢ـ واطـعَـمْ فإن الله رزّاقُ الـطَّعـمْ

(١) العَنْس : الناقة الضخمة . المِرْداة : الحجر الضخم . . العلم : الجبل .
(٨) الشدَّة : الحملة . أضِمْ : غضوب .
(٩) فرفار : كسَّار لكل شيء . لَحِمْ : كثير لحم الجسد .
(١٠) أفرشه : فرش له .
(١١) الإِرَم : الحجارة .

(٥٦)

وقال : (الوافر)

١ - كأن النّـاصعـاتِ الغُـرَّ منهـا إذا صَرَفـتْ وقـطّعـتِ الـلَّجينـا

(١) في اللسان (لجن) : « . . . إذا صرمت . . . » الناصعاتُ الغرّ : أنيابها . اللَّجين : زبد أفواه الإبل ، شبّه لعابها بلجين الخطميّ ، وهو ورق الشجرِ يُخبَط ثم يخلط بدقيق أو شعير للإبل (اللسان - لجن) .

(٥٧)

وقال : (الوافر)

١ - لولا غَيْره لكَـشـفـت عنـه وعـن نُمَّـيِّه الـطبـع الـلّعـين

٢ - تركْن زهـاءَ ذي سَمُـرٍ شمـالاً وذا نِهْـيا ، ونِـهْـيا عن يمـين

(٢) سَمُـر : من نواحي العقيق في المـدينة . نِهْيا : ماء لبني كلب في طريق الشام قال ياقوت : رأيت أنا بين الرّصافة والقريتين من طريق دمشق على البرية بلدةً ذات آثار وفيها صهاريج كثيرة وليس عندها عين ولا نهر يقال لها : نِهْيا . انظر معجم البلدان (نهيا) .

(٥٨)

وقال : (الكامل)

١ - ونفَضْتُ عنِّي نوْمَهـا فَسَـرَيْتُهـا بالـقَـوم من تَهِـمٍ وألْـعـث وانِ

٢ - ثمَّ اعتمـدْتُ إلى ابنِ يحيى تَخْتَوي من دونـه متـبـاعـد الـبـلدان

٣ - وممـدَّحٍ بالمكـرمـات مدحتُـه فاهْـتـَّز واسـتـودَى به فحـبـاني

(١) في التكملة واللسان (لعث) : « نفَضت . . . . » ، وفي التاج كما في التهذيب التّهم والتّهِن : الذي أثقله النعاس . الألْعث : الثَّقيل البطيء من الرجال .

(٢) تختوي : تَقْطَعُ .

(٣) في اللسان (ودى) : « . . . وقال أبو خيرة » وهو تحريف . استودى فلان بحقّي : أقرَّ به وعرفه . حباني : خصّني ومنحني .

(٥٩)

وقال : (الرجز)

١ ـ غَيْسانةُ ذلك من غَيْسانها
٢ ـ وخاوذَتْ عنه فلم يعانها

(١) الغَيْسانة : الناعمة .

(٢) خاوذ عنه : تنحىّ عنه . يعانها : يقاسيها . والمعاناة : المداراة .

(٦٠)

وقال : (الكامل)

١ ـ طاف الخيالُ من ابن شيبة فاعترى ... والقومُ من سِنَة نشاوى بالكرى
٢ ـ طافتْ بخوصٍ كالقسيِّ وفتيةٍ ... هجعوا قليلاً بعد ماملّوا السّرى
٣ ـ حتى إذا هجدوا ألمَّ حيالها ... شَراً ، ألا بلمامه كانَ المنى
٤ ـ طرقتْ بريّا من عالجٍ ... وَسْمّيةٍ عَذُبَتْ وبيَّتها النّدى
٥ ـ يأمّ شيبةَ أيّ ساعةِ مطرقٍ ... نبَّهتنا أينَ المدينةُ من (بُدا)
٦ ـ إنى متى أَقضِ اللّبانةَ أجتهدْ ... عَنَقَ العِتاق الناجياتِ على الوجى
٧ ـ حتى أزورك ـ إن تيسَّر طائري ـ ... وسلمت من رَيب الحَوادث والرَّدى
٨ ـ فلأَ مْدَحَنَّ بني عطيَّة كلَّهم ... مَدْحاً يوافي في المواسم والقرى
٩ ـ الأَكْرمين أوائلاً وأواخراً ... والأَحْلَمين إذا تُخولجت الحُبا
١٠ ـ والمانعين من الهضيمة جارَهم ... والجامعين الرّاقعين لماوهى
١١ ـ والعاطفين على الضَّريك بفضلهم ... والسابقين إلى المّكارم مَنْ سعى
١٢ ـ قد قلت والعيسُ النجائبِ تَغْتلي ... بالقوم عاصفةً خوانفَ في البُرى

(٢) الخُوْصُ : الغائرة العينين .

(٤) الريَّا : الرائحة . عالج : موضع في البادية . وَسْمية : مُطِرت مطر الربيع الأول .

(٥) بُدا : موضع بالشام .

(٦) العَنَق : نوع من سير الإبل : الناجياتُ : المسرعات . الوجى : الحفا .

(٩) تخولجت : تنوزعت . الحبا : جمع حَبْوة ، وهي الجمع بين الساقين والظهر ، وتنازع الحُبا يكون عند الخصومة ، والمعنى : هم يحلمون حين يجهل الآخرون .

(١٠) الهضيمة : الظلم .

(١١) الضّريكُ : الفقير .

(١٢) الخوانف : ج خانف ، وهو البعير الذي يميل رأسه إلى الزّمام من نشاطه .

ما نسب إلى أبي وجزة وإلى غيره من الشعراء

(١)

(الرجز)

١ ـ ظلَّتْ بذاك القَهر من سَوائها
٢ ـ بين أقَيْبَيْن إلى رنقائها
٣ ـ فيما أقرَّ العِين من أكلائها
٤ ـ من عُشبِ الأرض ومن ثَمْرائها
٥ ـ حتى إذا ماتمَّ من أظمائها
٦ ـ وعَتكَ البولُ على أنْسائها
٧ ـ وحازَها الأضعفُ من رِعائها
٨ ـ حَوْزَ الكَعابِ الثني من ردائها
٩ ـ تذكرتْ (تقتدَ) بَرْدَ مائها
١٠ـ والقَصبَ العاديَّ من أطوائها
١١ـ فبذَّت العاجزَ من رعائها
١٢ـ وصبَّحتْ أشعثَ من إبلائها
١٣ـ يبارِكُ النَّزْعَ على ظِمائها
١٤ـ طِلْحاً يبيتُ الليلَ في ذَرائها
١٥ـ كأنّها ـ إذْ حضرتْ لمائها
١٦ـ نَتيبةٌ فاءتْ إلى لوائها
١٧ـ قد هزَّها الأعداءُ من لقائها

١٨ـ تكادُ في الزَّحْمِ وفى اعتدائها

١٩ـ تقــطِّر الجْلعَـد من أثنـائهـا

٢٠ـ إذا عوى الصيفيّ من غذائها

٢١ـ ألَـجَّ مثـلَ الـرّعد من غِنائها

(١) القَهْر : موضع ببلاد بني جَعْدة . السَّواء : الوسط .
(٢) الأَقْيَبان : لم أعرف ماهما . الرَّنْقاء : قاع لاينبت شيئاً بين دار خزاعة ودار سليم .
(٣) أَكْلاء : الكَلأ يقع على العشب والشجر .
(٥) أظْماء : ج ظمء ، وهو مابين الوِردَيْن تُحبس فيه الإبل عن الماء إلى غاية الوِرْد .
(٦) عَتِكَ البولُ : يبس . قال ابن السيرافي : « أراد بأَنْسائها موضع أنسائها وعبَّر عن نِسْأَيْها وهما اثنان بلفظ الجمع ومثل هذا يفعل كثيراً شرح أبيات سيبويه ٢٨٧ ـ ١ .
(٩) تقتد : ركيَّة في شق الحجاز من مياه سعد بن بكر من هوازن .
(١٠) الأَطْواء : طرائق الشحم .
(١١) بذَّت : دَفعت . الرِّعاء : الرعاة .
(١٢) الأشعث : المتلبِّد . الإبلاء : يريد الإبل .
(١٣) النزع : نزع الماء من البئر .
(١٤) طِلْحاً : مُتْعباً . يبيت في ذَرائها : يبيت مستتراً بها .
(١٨) الزَّحْم : زمام الإبل على الماء .
(١٩) الجَلْعد : القويّ الشديد . تقطّر : من قولهم : قطَّره إذا ألقاه على قِطْره ، أي على الماء تطرح الرجل القوي الشديد لقوتها وعنفها .
(٢٠) ، (٢١) المعنى أن هذه الإبل يكثر منها الإرغاء المعبّر عن راحتها حين يذوي نبت الصيف لأنها تهشّ له يابساً .

(٢)

وقال :

١ ـ فلستُ لإنسيٍّ ولكن لمَلأَكٍ تَنـزَّلَ من جوِّ السمـاء يصـوبُ

(١) في حاشية الصحاح : « . . . . هو لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير ، قاله ابن السيرافي ، وفي المشوف المعلم : « قال لبيد . . . » وهو غير موجود في ديوانه . وفي كتاب الأفعال للسرقسطي : « فليس بإنسيٍّ ولكنّ ملأكاً » . الملأك : الملك وأصل (المَلَك) مَألَك من الأُلوكة وهي الرسالة ، وهو مقلوب من (ألك) إلى لأك) ثم حُذِفت الهمزة من مألك ، فقيل : ملك . يصوب : ينزل .

(٣)

وقال :

١ - ألا علِّلاني والمعلَّل أروحُ   وينطق ماشاء اللسان المسرَّحُ
٢ - بإجَّانةٍ لوأنَّه خرَّ بازلٌ   من البُختِ فيها ظَلّ للشقِّ يسبحُ

(٢) الإجّانة ، المِرْكن . . البازل : الجمل الذي ظهر نابه . البخت : كلمة دخيلة معربة ، وتعني الإبل الخراسانية .

(٤)

وقال :   (الطويل)

١ - هل الحبّ إلا زَفْرَةٌ بعدَ زفرةٍ   وحرٌّ على الأَحْشاء ليس له بَرْدُ
٢ - وفيضُ دموعِ العَيْن ياميّ كلّما   بدا عَلَمٌ من أرضكِم لم يكن يبدو

علم : جبل .

(٥)

وقال يمدح آل الزبير :   (الكامل)

١ - أمِرون ولاّدون كلّ مباركٍ   طَرِفون لايرثون سهم القُعْددِ

(١) في شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف : ٤٢٠ « طَرفون لايرثونهم بالقُعْدد ، وفي أساس البلاغة (قعد) : « . . . كل سُمَيْدع . . . ، وفي زيادات ديوان الأعشى :

أَمِرون كسَّابون كلَّ رغيبة   طَرِفون لا يرثون سَهْم القُعْدد

أَمِرون : كثيرون . طرفون : كثيرو الآباء إلى الجدّ الأعلى . القُعْدد : القصير النّسب .

أولاً : تخريج الشعر المنسوب إلى أبي وجزة

(١)

(١ ، ٢) في حماسة ابن الشجري ١ : ٥٣ .

(٢)

(١) في اللسان (ذيب) .

(٢) في تهذيب اللغة ١ : ٣٩٨ ، والتكملة واللسان والتاج (جمع) .

(٣) في تهذيب اللغة ١٠ : ١٥ بلا نسبة وكذلك في اللسان . وهو في التاج (شكر) منسوباً إليه .

(٤) في الأساس واللسان (غمم) .

(٣)

(١) البيان والتبيين ١ : ١٤٩ .

(٤)

(١ - ٦) في الأغاني ١٢ : ٢٥٠ .

(٧) في الأساس واللسان (عنن) وهو في اللسان بلا نسبة .

(٨) في تهذيب اللغة ٦ : ٢٨ .

(٩ - ١٢) في الأغاني ١٢ : ٢٥٠ .

(٥)

(١) في إصلاح المنطق : ٧٠ ، وتهذيب اللغة ١٠ ، ٢٧٢ ، والصحاح (ملك) وفصل المقال ٥١٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق : ١٨٨ ، واللسان (ملك ، صلل) ، والمشوف المعلم ٧٣٥ .

(٢ ، ٣) في اللسان (مكن) .

(٤) في الحيوان ٤ : ٢١٦ ، ٥ : ٤٠٥ ، والمجمل والمقاييس (رمد) وفي محاضرات الأدباء ٢ : ٣٠٦ ، والأساس واللسان (رمد) .

(٥) في اللسان (غوي) .

(٦) في اللسان (زحف ، ربب) .

(٧ ، ٨) في تهذيب اللغة ١٠ : ٦١٨ ، والتكملة واللسان (زجل) بلا نسبة .

(٨) في تهذيب اللغة ٥ : ٣٨٣ ، والتكملة واللسان (همم) ، وشطره الثاني في التاج (همم) .

(٩) في إصلاح المنطق : ٧٢ ، وشرح ديوان زهير : ٥٥ وتهذيب اللغة ١١ : ٣٧٣ ، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب ٢ : ٣٥٣ والتكملة واللسان والتاج (جنب) ، واللسان والتاج (شمل) .

(٦)

(١) في معجم البلدان (شريق) ٣ : ٣٤١ .

(٢) في معجم البلدان (مرخ) ٥ : ١٠٣ .

(١ ، ٢) في مراصد الاطلاع : ١٠٤٠ .

(٧)

(١ ، ٢) في مقاييس اللغة (برح) .

(٨)

(١ ، ٢) في الوحشّيات : ٢٠٩ .

(٩)

(١) في معجم البلدان (أنشاص) ، ولسان العرب (هجا) .

(٢) في معجم البلدان (أوطاس) .

(٣) في أساس البلاغة (بقل) .

(٤) في مجالس ثعلب ١ : ٢١٦ ، واللسان (شق) .

(٥) في إصلاح المنطق : ٦٢ ، والمعاني الكبير : ٢٨٥ ، وتهذيب اللغة ٩ : ١٤ ، والأساس (قطم) ، وتهذيب إصلاح المنطق : ١٧١ ، واللسان (قطم) .

(٦) في اللسان والتاج (غوج) .

(٨) في المحكم (لعو) ، والأساس والتكملة والعباب واللسان والتاج (ربع) واللسان (فرط) .

(٩ ، ١٠ ، ١١) في معجم البلدان (طرماج) .

(١١) في المجمل (أيل) ، وتهذيب اللغة ٢ : ٣٧٥ .

(١٢) في شرح الأبيات المشكلة الإعراب ٢ : ١١١ ، وتهذيب اللغة ٨ : ١٣٣ ، ١٠ : ٣٠٣ ، والمخصص (١٠ : ٩٩) .

(١٣) في الصحاح (قطا) ، وشرح مقامات الحريري ١ : ٩٤ ، ومراصد الاطلاع : ١٠٤٠ ، واللسان (ربع ، زوج ، عرم) واللسان والتاج (قطا) وعجزه في تهذيب اللغة ٢ : ٣٩٤ . وفي الحيوان : ٥٧٣ ، والخصائص ٢ : ١٤٧ . واللسان (عرم) .

(١٤) في تفسير غريب القرآن : ٢٣٧ ، وتهذيب اللغة ٤ : ٥٦ ، ٦ : ٢٤٠ ، والصحاح (هدج) والمحكم (هدج) واللسان (عرم ، مسك ، هدج) .

(١٥) في تهذيب اللغة ٨ : ١٣٣ ، ١٠ : ٣٠٣ ، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب : ٥١١ والمخصص ١٠ : ٩٩ ، واللسان والتاج (شوك) .

(١٦) في الغريب المصنّف : ٢٠٨ ، والمقاييس (خضم) وعجزه في المجمل (خضم) والبيت في تهذيب اللغة ٣ : ٣٧ ، ٧ : ١١٨ ، والصحاح والتكملة واللسان (خضم) .

(١٧) البيت في الأساس والتكملة ، ونسب في الأساس إلى الراعي النميري ، وفي اللسان (نفس) بلا نسبة .

(١٨) في العباب والتاج (نفس) .

(١٩) في تهذيب اللغة (١ : ٥٠٣) ، واللسان (مجج) ولم أجد صدره في مصادري .

(١٠)

(١) في تهذيب اللغة ١ : ١٠٤ ، واللسان (رع ع) .
(٢) في اللسان (طلب) .

(١١)

(١) في تهذيب اللغة ٥ : ١٢٧ .
(٢) في التكملة واللسان والتاج (وقح) .

(١٢)

(١) في التكملة واللسان والتاج (دردح) .
(٢) في التكملة (خسق) بلا نسبة ، وفي التاج نسب إلى أبي وجزة .
(١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في جمهرة نسب قريش ١ : ٢٦٨ .

(١٣)

(١ - ٣٩) في منتهى الطلب ج ٨ ورقة ١١٧ (نقلاً عن مجلة المورد) .
(٥) في تهذيب اللغة ٥ : ١٥٧ ، واللسان والتاج (وضح) .
(١٠) في اللسان (عذر) .
(١٠ ، ١١) في تهذيب اللغة ٢ : ٢١٣ ، والتكملة (عذر) .
(١١) في الصحاح واللسان (حلق) ، واللسان (عذر) .
(١٧) في تهذيب اللغة ٥ : ١٨٦ ، واللسان والتاج (وطح) .
(٢٢) في تهذيب اللغة ، والتكملة واللسان والتاج (قزح) .
(٢٨) في التكملة والعباب واللسان والتاج (لظظ) .
(٣٩) في التكملة (صمح) ، وعجزه في اللسان والتاج (صمح) .

(١٤)

(١ - ٤) في الأغاني ١٢ : ٢٤٣ ، والكامل ١ : ١٠٩ .

(١٥)

(١) في معجم البلدان (أشداخ) ١ / ١٩٧ ، ومراصد الاطلاع : ٨١ .

(١٦)

(١ ، ٢) في الأغاني ١٢ : ٢٤٧ .
(٣) في إصلاح المنطق : ٤٨ ، ١٩٦ ، وتهذيب الألفاظ : ٤٤٩ ، وجمهرة اللغة ٢ : ٢٦ وعجزه في مقاييس اللغة (رمد) والبيت في الصحاح (رمد) وتهذيب إصلاح المنطق : ١٣٤ ، والمشوف المعلم : ٣٠٢ ، واللسان (رمد) ، وكتاب الأفعال لابن القطاع (رمد) .

(١٧)

(١) في تهذيب اللغة ٦ : ٢٠٤ ، واللسان والتاج (جمز) .

(١٨)

(١) في معجم البلدان (الغَناء) ٤ : ٢١٥ .

(١٩)

(١ ، ٢ ، ٣) في العباب واللسان والتاج (هزز) .
(٤) في اللسان (حبا) .
(٤ ، ٥) في الصحاح والمحكم والتكملة (عبهل) .
(٥) في غريب الحديث ٢ : ٢١٢ بلا نسبة ، وهو في الصحاح والتكملة واللسان : (عبهل ، عيهل ، حبا) بلا نسبة ، وفي الفائق ١ : ٥٦ (٦ ، ٧) في التكملة واللسان (حبا) .

(٢٠)

(١) في المستقصى : ٢ : ١٠٨ .
(٢) في تهذيب اللغة ١ : ٤٢٨ ، والتكملة والعباب واللسان والتاج (شرع) .
(٣) البصائر والذخائر ١ : ٢١٢ .

(٢١)

(١ ، ٢ ، ٤) في الأغاني ١٢ : ٢٤١ .
(٣) في التكملة واللسان والتاج (كرم) .

(٢٢)

في تهذيب اللغة ٦ : ٢٠٤ ، والتكملة واللسان والتاج (هند) .

(٢٣)

(١) في تهذيب اللغة ١ : ٥٣٢ ، والتكملة واللسان (شجر) .
(٢) في مقاييس اللغة ٢ : ١٨ .

(٢٤)

(١) في تهذيب اللغة ٣ : ٢٢٨ ، واللسان والتاج (عها) .
(٢) في اللسان (كلأ) .
(٣) في اللسان (عقق) .
(٤) في اللسان (سبع) .

(٢٥)

في معاني الشعر : ٩٢ .

(٢٦)

(١) في تهذيب اللغة ٢ : ٩٧ ، والتكملة والعباب واللسان والتاج (علس) .

(٢) في تهذيب اللغة ٦ : ١٥٨ ، واللسان والتاج (زهف) .

(٣) في تهذيب اللغة ١٠ : ٤٣٩ ، ومعجم البلدان ٤ : ٤٤٥ ، واللسان (كربل) .

(٤) في التكملة واللسان (سرا) .

(٥) في تهذيب اللغة ١٢ : ٤٠٣ ، واللسان (سفر) .

(٢٧)

(١) في الأساس واللسان (فظع) .

(٢٨)

(١) في أمالي المرتضى ١ : ٤٦١ .

(٢) في التكملة واللسان (عسس . غسس) .

(٣) في اللسان (غلل) .

(٤) في تهذيب اللغة ٨ : ٣٦٣ .

(٢٩)

(١) في معجم البلدان (نسر) ٥ : ٢٨٤ ، ومراصد الاطلاع : ١٣٧ .

(٣٠)

في تهذيب اللغة ٩ : ١٩٣ ، والتكملة واللسان (نفق) .

(٣١)

(١ ، ٢ ، ٣) في إصلاح المنطق ٦٩ ، وتهذيب اللغة ٨ : ٢٦٦ ، والصحاح وأساس البلاغة والعباب واللسان والتاج (قط) .

(٣٢)

(١ ، ٢) : في سمط اللآلىء ٦٨٧ .

(٣٣)

(١) في تهذيب اللغة ١ : ١٩٠ ، واللسان (قطع) .

(٢) في الأساس (ريع) .

(٣) في تهذيب اللغة ٨ : ١٩٢ ، والأساس (نشع) .

(٤) في تهذيب اللغة ٨ : ١٩٢ ، والتكملة واللسان والتاج (غلا) .

(٥) في أدب الكاتب ٢١١ ، وفي مقاييس اللغة ١ : ٤٩٢ بلا نسبة ، وتهذيب اللغة ٦ : ١٩٩ بلا نسبة ، وهو في الأساس (هدل) منسوباً إلى أبي وجزة ، وفي اللسان (هدل) منسوباً إلى نصيب .

(٣٤)

(١) فى تهذيب اللغة ٢ : ٢٦٧ ، واللسان والتاج (ترع) .

(٢) فى تهذيب اللغة ٢ : ٣١٧ ، واللسان (ذرع) .

(٣) فى تهذيب اللغة ٢ : ٢٥ ، والتكملة واللسان (خوع) ، ومراصد الاطلاع ٤٤٨ .

(٤) فى تهذيب اللغة ٨ : ٣٦٨ ، والأساس واللسان والتاج (رقص) .

(٣٥)

(١ ، ٢) في معجم البلدان (٤ : ١٨٩) ، ومراصد الاطلاع ٩٨٦ .

(٣٦)

(١ - ٦) في الأغاني ١٢ : ٢٥٢ .

(١ ، ٢) في أمالي المرتضى ٢ : ١١١ .

(٦) في التكملة (جبن) .

(٣٧)

(١) فى تهذيب اللغة ٣ : ١٥٨ ، واللسان (عرا) .

(٢) في اللسان (دهن) .

(٣) في تهذيب اللغة ٦ : ٤٨ والتكملة واللسان والتاج (مزج) .

(٤) في المجمل والمقاييس واللسان (رغل) .

(٥) في تهذيب اللغة ٩ : ١٥٦ .

(٣٨)

(١) في تهذيب اللغة ١ : ٢٢٠ .

(٣٩)

(١ ، ٢ ، ٣) في التكملة والتاج (قذذ) .

(١ ، ٢) في اللسان (قذذ) .

(١ ، ٣) في تهذيب اللغة ٨ : ٢٧٥ .

(٤) فى تهذيب اللغة ٢ : ٢٩ ، واللسان (رعم) .

(٥) فى تهذيب اللغة ٢ : ١٠٧ ، واللسان (عسف) .

(٦) في اللسان (غلث) .

(٤٠)

(١) في تهذيب اللغة ٤ : ٢٧ ، والتكملة واللسان (حزق) .

(٤١)

في تهذيب اللغة ٤ : ٤٠٧ ، واللسان والتاج (قرطب) .

(٢) في الأساس واللسان (غمل) .

(٤٢)

(١) في تهذيب اللغة ٩ : ١٧٦ ، والأساس واللسان والتاج (قلب) .
(٢ ـ ٥) فى معجم البلدان (فيحان) .
(٦) في التكملة واللسان (وصل) .
(٧) في تهذيب اللغة ٦ : ٣٢٣ ، والتكملة واللسان (مهل) .
(٨) في اللسان (أول) .
(٩) في التكملة واللسان والتاج (نقح) .
(١٠) في تهذيب اللغة ٢ : ٢٨٥ ، والأساس واللسان والتاج (تبع) .
(١١) في تهذيب اللغة ٩ : ٢٧٩ .
(١٢) في تهذيب اللغة ١ : ٤٣١ ، والأساس واللسان والتاج (شعل) .

(٤٣)

(١) في تهذيب اللغة ٩ : ٣٤٤ ، واللسان (أفق) .
(٢) في تهذيب اللغة ٦ : ٤٦ ، والعباب واللسان والتاج (هجر) .

(٤٤)

(١) في تهذيب اللغة ٤ : ١٧٢ ، والتكملة والعباب واللسان والتاج (شحص) .
(٢) في تهذيب اللغة ٤ : ٤٣٨ ، والأساس والتكملة واللسان والتاج (ترح) .
(٣) في تهذيب اللغة ١ : ٤٣٠ ، واللسان (شعل) .
(٤) في تهذيب اللغة ٨ : ٤٠ ، واللسان والتاج ، (سبغ) .
(٥) في اللسان (مطل) .
(٦) في معجم البلدان (حَلِف) ٢ : ٢٩٠ ، ومراصد الاطلاع ٤١٨ .

(٤٥)

(١) في اللسان (محل) .
(٢) في معجم ما استعجم ١ : ٣٠٠ .

(٤٦)

(١ ـ ٥) في الممتع في صنعة الشعر : ١٣٧ .
(٢) في ديوان المعاني ١ : ٥٩ ، ودلائل الإعجاز : ٥٠٣ .

(٤٧)

(١ ، ٢) في اللسان (عنس) .

(٤٨)

(١) فى تهذيب اللغة ٩ : ١٨٦ .

(٤٩)

(١) في تهذيب اللغة ١٢ : ١٤٤ ، ٤٠٣ ، والتكملة والأساس واللسان والتاج (صند) .

(٢) فى معجم ماا ستعجم ١ : [illegible] .

(٣) في تهذيب اللغة ٣ : ١٥٢ ، والتكملة واللسان والتاج (عوم) .

(٤) في اللسان والتاج (جمم) .

(٥٠)

(١ ، ٢) في التكملة واللسان (خمم) .

(٣ ، ٥) في التكملة واللسان (عرهم) .

(٤) في اللسان (جرجم) .

(٥١)

في اللسان (عفث) .

(٥٢)

(١) في تهذيب اللغة : ١٢٥ ، واللسان والتاج (بغر) .

(٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦) في الخزانة ٤ : ٧٩ .

(٢ ، ٤ ، ٥) في الصحاح (حين) .

(٣) في الأساس (دعا) .

(٤) في غريب الحديث ٤ : ٢٥٠ ، ومجالس ثعلب ١ : ٣٧٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ : ٨٠ ، ٨١ ، والصحاح (حين ، عطف ، ليت) ، والأزهية ٢٧٣ ، ٣٦٤ ، والمخصص ١٦ : ١١٩ ، والإنصاف ١ : ١٠٨ ، والممتع ١ : ٢٧٣ ، ورصف المباني ١٦٣ ، واللسان (ليت ، ما ، عطف ، أين ، حين) والجنى الداني : ٤٨٧ ، وشرح الأشموني ٤ : ٣٣٩ ، وحاشية الدسوقي ١ : ٢٦٤ ، وهمع الهوامع ١ : ٢٦١ .

(٧ ، ٨) في تهذيب إصلاح المنطق : ١٧٣ ، واللسان والتاج (قطم ، ذيف) .

(٨) في إصلاح المنطق ٦٢ ، والصحاح (قصم) .

(٥٣)

(١) في معجم البلدان (برقة القلاخ) ١ : ٣٩٧ .

(٥٤)

الشطر في كتاب الأفعال ٤ : ١٦٧ ولم أجد له صدراً .

(٥٥)

(١ - ١٢) في الأغاني ١٢ : ٢٤٦ .

(٥٦)

(١) في تهذيب اللغة ١١ : ٨ ، والتكملة واللسان والتاج (لحن) .

(٥٧)

(١) في التكملة (نما) ، وفي اللسان (نمم) .

(٢) في معجم البلدان (سمر) ٣ : ٢٤٦ ، ومراصد الاطلاع (٧٣٥) .

(٥٨)

(١) في تهذيب اللغة ٢ : ٣٣ ، والتكملة واللسان (ل ث) ، والتاج (لعث) .

(٢) في التكملة واللسان (خوا) .

(٣) في التكملة واللسان (ودى) .

(٥٩)

(١) في تهذيب اللغة ٨ : ٣٨ ، ٩ : ١٨٦ ، وفي اللسان والتاج (غسس) .

(٢) في تهذيب اللغة ٩ : ١٨٦ ، واللسان (خوذ) .

(٦٠)

(١ ، ٢) في الأغاني ١٢ : ٢٣٨ .

(٣ : ١١) في الأغاني ١٢ : ٢٥٢ .

(١٢) في اللسان (خنف) .

ثانياً : تخريج المنسوب إلى أبي وجزة وإلى غيره

(١)

(١ - ٢١) في فُرحة الأديب (٧٢) .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١١) في معجم البلدان (تقتد) ٢ : ٣٧ .

(٦ ، ٩) في شرح أبيات سيبويه ١ : ٢٨٥ .

(٢)

نسب البيت إلى علقمة وإلى أبي وجزة السعدي ، وإلى رجل من عبد القيس ، وهو في الكتاب ٤ ، ٣٨ ، والمنصف ٢ / ١٠٢ ، والصحاح (صوب ، ملك) واللسان والتاج ، (صوب ، ملك ، ألك) وشرح بانت سعاد لابن هشام ٥٢٠ ، وشرح شواهد الشافية ٢٨٧ - ٢٩٠ . انظر تخريجه في هامش سفر السعادة ص ٩٢١ ، وتفسير أرجوزة أبي نواس ص ١٦٠ ، وشرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي ص ١٥٩٠ ورسالة الملائكة ص : ٦ .

(٣)

(١ ، ٢) في عيار الشعر (٤٧) .

(٤)

(١) في الفاضل : ٢٦ .

(٥)

في إصلاح المنطق ١٠٢ ، والصحاح (قعد) ، وعجزه في شره مايقع فيه التصحيف والتحريف : ٤٢٠ بلا نسبة ، وهو في الأساس (طرف) منسوباً إلى أبي وجزة ، والبيت في اللسان والتاج (قعد) منسوباً إلى الأعشى ، وهو في زيادات ديوانه . وزاد صاحب اللسان نسبته إلى أبي وجزة فقال : « رأيت بخط بعض الفضلاء أن هذا البيت أنشده المرزباني في معجم الشعراء لأبي وجزة السعدي يمدح آل الزبير .

* * *

مصادر التحقيق

١ ـ أدب الكاتب : ابن قتيبة الدينوري ، نسخة مصورة ، بيروت ١٩٦٧ .

٢ ـ الأزمنة والأمكنة : المرزوقي ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

٣ ـ الأزهية في علم الحروف : علي بن محمد الهروي ، تحقيق : عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .

٤ ـ أساس البلاغة : الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ .

٥ ـ الاشتقاق : ابن دريد ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ٢ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٦ ـ إصلاح المنطق : ابن السكيت ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ .

٧ ـ الأعلام : الزركلي ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ .

٨ ـ الأغـاني : الأصفهاني ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، مؤسسة جمال الدين للطباعة والنشر ، بيروت .

٩ ـ الأفعال : السرقسطي ، تحقيق : د . محمد محمد شرف ، مراجعة محمد مهدي علّام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

١٠ ـ الأمالي : القالي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

١١ ـ الأمالي الشجرية : ابن الشجري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٢ ـ أمـالي المرتضى : الشريف المرتضي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧ .

١٣ ـ الإنصاف : ابن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

١٤ ـ البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض .

١٥ ـ البديع : ابن المعتز ، نشره وعلّق عليه : أغناطيوس كراتشكو فسكي ، دار الحكمة ، دمشق .

١٦ ـ البصـائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي ، تحقيق د . إبراهيم كيلاني ، ط ١ ، مطبعة الإنشاء ، دمشق ، ١٩٦٤ .

١٧ ـ البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق هارون ، مكتبة الخانجي بمصر .

١٨ ـ تاج العروس : المرتضى الزبيدي ، مطابع حكومة الكويت .

١٩ ـ التاريخ الكبير : البخاري ، حيدر آباد ، ١٣٦٠ هـ .

٢٠ ـ التبصير : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : البجاوي ، المؤسسة المصرية ، القاهرة .

٢١ ـ تجريد الأغاني : ابن واصل الحموي ، تحقيق د . طه حسين ، وإبراهيم الأبياري ، مطبعة مصر ، ١٩٥٥ .
٢٢ ـ تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب . عبد السلام هارون ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، مكة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ .
٢٣ ـ تزيين الأسواق : داود الأنطاكي ، دار أحمد ومحيو ، بيروت .
٢٤ ـ تفسير أرجوزة أبي نواس ؛ ابن جني ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، ط ٢ . مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٩ .
٢٥ ـ تفسير الطبري : ابن جرير الطبري ، ط ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٢٦ ـ تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
٢٧ ـ تقريب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، حققه : عبد الوهاب عبد اللطيف .
٢٨ ـ التكملة والذيل والصلة : الصاغاني ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
٢٩ ـ التنبيه على أمالي القالي : أبو عبيد البكري ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٣٠ ـ تهذيب إصلاح المنطق : الخطيب التبريزي ، تحقيق د . قباوة ، ط ١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣ .
٣١ ـ تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
٣٢ ـ تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، جيدر آباد ، طبعة مصورة .
٣٣ ـ الجرح والتعديل : ابن حاتم الرازي ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨١ هـ .
٣٤ ـ الجمل : للزجاجي ، تحقيق د . علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٣٥ ـ جمهرة نسب قريش : الزبير بن بكار .
٣٦ ـ جمهرة اللغة : ابن دريد ، حيدر آباد ، ١٣٤٤ .
٣٧ ـ الجنى الداني : الحسن بن القاسم المرادي ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة وزميله ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٣ .
٣٨ ـ حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : مصطفى الدسوقي ، مطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة .
٣٩ ـ حروف المعاني : الزجاجي ، تحقيق د . علي توفيق الحمد ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٤ .
٤٠ ـ الحلل في شرح أبيات الجمل : ابن السيد البطليوسي : تحقيق د . مصطفى إمام ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٤١ ـ الحماسة البصرية : البصري ، تحقيق د . مختار الدين أحمد ، حيدر آباد ، ١٩٦٤ ، نسخة مصورة .
٤٢ ـ الحماسة الشجرية : ابن الشجري ، تحقيق أسماء الحمصي ، عبد المعين الملوحي ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٦ .
٤٣ ـ الحيوان : الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٤ ـ خزانة الأدب : البغدادي ، تحقيق هارون ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨ .
٤٥ ـ خلاصة تهذيب الكمال : الخزرجي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ .
٤٦ ـ دلائل الإعجاز : الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
٤٧ ـ ديوان ابن الدمينة : صنعة ثعلب ، تحقيق شيخ العربية أحمد راتب النفاخ ، المؤسسة السعودية بمصر ، ١٣٧٩ هـ .
٤٨ ـ ديوان الأعشى : شرح د . محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٨ .
٤٩ ـ ديوان الراعي النميري : جمعة رانيهرت فايبرت ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت .
٥٠ ـ ديوان العجاج : الأصمعي ، تحقيق أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط ١ ، المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٧١ .
٥١ ـ ديوان علقمة الفحل : شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، حلب ، ١٩٦٩ .
٥٢ ـ ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، نشر مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .
٥٣ ـ ديوان النابغة : صنعة ابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الفكر ، بيروت .
٥٤ ـ ديوان هدبة بن الخشرم : تحقيق د . يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٦ .
٥٥ ـ ديوان الهذليين : نسخة مصورة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٥٦ ـ رسالة الملائكة : المعري ، تحقيق لجنة من العلماء ، ط ٢ ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٧٧ .
٥٧ ـ ذيل الأمالي : القالي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٥٨ ـ رصف المباني : المالقي ، تحقيق : أحمد الخراط ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٧٥ .
٥٩ ـ الروض الأنف : السهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨ .
٦٠ ـ الزاهر : ابن الأنباري ، تحقيق د . حاتم الضامن ، بغداد ، ١٩٧٩ .
٦١ ـ الزهرة : الأصفهاني ، بيروت ، ١٩٣٢ م .
٦٢ ـ سر صناعة الإعراب : ابن جني ، تحقيق مصطفى السقا ، ج ١ ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
٦٣ ـ سفر السعادة : علي بن محمد السخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٣ .
٦٤ ـ سمط اللآلىء : البكري ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٩٣٦ .
٦٥ ـ شرح شواهد الشافية ، البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٦٦ - شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي ، ط ٢ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٦٧ - شرح أبيات سيبويه : ابن النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، ط ١ ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٤ .
٦٨ - شرح أبيات سيبويه : ابن السيرافي ، تحقيق د . محمد علي سلطاني ، دار المأمون ، دمشق ، ١٩٧٩ .
٦٩ - شرح الأبيات المشكلة الإعراب : أبو علي الفارسي ، تحقيق د . محمود الطناحي ، ط ١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
٧٠ - شرح الأشموني : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ .
٧١ - شرح ديوان الحماسة : التبريزي ، عالم الكتب ، بيروت .
٧٢ - شرح ديوان زهير : ثعلب ، تحقيق د . فخر الدين قباوة ، دار الآفاق ، بيروت .
٧٣ - شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ، القسم الأول ، تحقيق د . السيد محمد يوسف ، مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨١ .
٧٤ - شرح المفضليات : التبريزي ، تحقيق د . قباوة ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٥ .
٧٥ - شرح مقامات الحريري : الشريشي ، نسخة مصوّرة بدار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٧٦ - شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٧٧ - الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .
٨٨ - شواهد الكشاف : محب الدين أفندي (مع الكشاف) .
٧٩ - الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ، تحقيق د . مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران ، ١٩٦٤ .
٨٠ - الصاهل والشاحج : المصري ، تحقيق د . عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥ .
٨١ - الصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ .
٨٢ - الطبقات الكبرى : ابن سعد ، دار صادر ، بيروت .
٨٣ - عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي ، تحقيق د . طه الحاجري ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
٨٤ - عيون الأخبار : ابن قتيبة ، دار الكتاب العربي ، نسخة مصورة .
٨٥ - غاية النهاية في طبقات القراء : الجزري ، نشرة برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠ .
٨٦ - غريب الحديث : الهروي ، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤ .
٨٧ - الفاضل ، المبرد ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

٨٨ ـ الفائق : الزمخشري ، تحقيق : علي البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٨٩ ـ فرحة الأديب : الأسود الغندجاني ، تحقيق : محمد علي سلطاني . مطبعة دار الكتاب ، دمشق ١٩٨١ .
٩٠ ـ فصل المقال : أبو عبيد البكري ، تحقيق د . إحسان عباس ، دار الأمانة ، بيروت ، ١٩٧١ .
٩١ ـ القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٩٢ ـ قراضة الذهب : ابن رشيق ، الدار التونسية ، ١٩٧٩ .
٩٣ ـ الكامل : المبرد ، تحقيق : د . محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٩٤ ـ الكتاب : سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
٩٥ ـ الكشاف : الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .
٩٦ ـ كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ : التبريزي ، جمعه وضبطه الأب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٥ .
٩٧ ـ الكنى والأسماء : أبو بشر الدولابي ، حيدر آباد ، ١٣٢٢ هـ .
٩٨ ـ لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .
٩٩ ـ لهجة تميم : غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة ، بغداد ، ١٩٧٨ .
١٠٠ـ مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق د . فؤاد سزكين ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .
١٠١ـ مجالس ثعلب : ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ١٩٦٢ .
١٠٢ـ مجمع الأمثال : الميداني ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار النصر ، بيروت .
١٠٣ـ المجمل ؛ ابن فارس ، تحقيق د . زهير عبد المحسن سلطان ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ .
١٠٤ـ محاضرات الأدباء : الراغب الأصفهاني : هذّبه واختصره ابراهيم زيدان ، دار الإرشاد ، بيروت .
١٠٥ـ المحكم : ابن سيده ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، مطبعة البابي الحلبي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
١٠٦ـ المختار من شعر بشار : الخالديان ، شرح أبي طاهر البرقي ، صححه محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة ، بيروت .
١٠٧ـ مختصر تهذيب الألفاظ : ابن السكيت ، بيروت ، ١٨٩٧ .
١٠٨ـ مختصر في شواذ القراءات : ابن خالويه ، نشره برجستراسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٣٤ .
١٠٩ـ المخصص : ابن سيده ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت .
١١٠ـ مراصد الاطلاع : صفي الدين البغدادي ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت .

١١١- المستقصى : الزمخشري ، ط ٢ ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٧٧ .
١١٢- المشوف المعلم : أبو البقاء العكبري ، تحقيق ياسين محمد السواس ، جامعة أم القرى ، السعودية .
١١٣- مطلع الفوائد ومجمع الفرائد : ابن نباتة المصري ، تحقيق د . عمر موسى باشا ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
١١٤- معاني الشعر : الأشنانداني ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، ١٩٦٩ .
١١٥- المعاني الكبير : ابن قتيبة ، حيدر آباد ، ١٩٤٩ .
١١٦- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩ .
١١٧- معجم الشعراء في لسان العرب : د . ياسين الأيوبي ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .
١١٨- معجم شواهد العربية : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٧٣ .
١١٩- المعجم العربي : د . حسين نصّار ، مكتبة مصر .
١٢٠- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨ .
١٢١- معجم ماستعجم : البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ .
١٢٢- المغرب في ترتيب المعرب : المطرزي ، تحقيق محمد فاخوري ، ط ١ ، مكتبة أسامة ابن زيد ،حلب ، ١٩٧٥ .
١٢٣- مقاييس اللغة : ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
١٢٤- المقصور والممدود : ابن ولاد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٠٨ .
١٢٥- الممتع في التصريف : ابن عصفور ، تحقيق د . قباوة ، ط ١ ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٠ .
١٢٦- الممتع في صنعة الشعر : القيرواني ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة دار المعارف ، القاهرة .
١٢٧- المنازل والديار : أسامة بن منقذ ، تحقيق مصطفى حجازي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
١٢٨- المنصف : ابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة البابي الحلبي ، ١٩٥٤ .
١٢٩- المنقوص والممدود : الفراء ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .
١٣٠- الموشّح : المرزباني ، شرح محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٤٣ .
١٣١- الموشى : الوشاء ، دار صادر ، بيروت .
١٣٢- ميزان الاعتدال : الذهبي ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٢٥ .
١٣٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : ابن الأنباري ، تحقيق د . إبراهيم السامرائي ، دار الأندلس ، بغداد .

١٣٤- النوادر : القالي ، دار الآفاق - بيروت .
١٣٥- الوحشيات : أبو تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مراجعة محمود شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
١٣٦- الوساطة : الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
١٣٧- همع الهوامع : السيوطي ، صححه بدر الدين النعساني ، نسخة مصورة ، دار الفكر ، بيروت .

المجـــلات

- مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن ، العدد الثالث ، ١٩٧٩ .

* * *

استــدراك على
شعر ابن فرج الجيّاني

عبد العزيز الساوري (*)

تاهت كثير من دواوين شعـرائنا وسط زحمة الزمن ، وفـرقت السنون الطويلة ما قاله هؤلاء في بطون الكتب . وحتى تكتمـلِ الصـورة وتتضح معالمها عن شخصية كل شاعر لا بد أولاً من جمع نتاجه .

لقد تنبه الباحثون إلى ذلك ، وقاموا بجهود مشكورة في هذا الميدان ، والشعر المجموع هنا لشاعر من القرن الـرابـع الهجري . . ابن فرج الجياني يكمل عملاً سابقاً قامت به باحثة ، فلم تطل يدها كل النتاج . ومن هنا تأتي قيمة الاتصال بين الباحثين وتكامل الجهود ، لتصب جميعاً في خدمة هذا التراث وإزالة غبار الزمن عنه .

« المجـلة »

---

* باحث من المملكـة الغـربية مختص في التـراث المغـربي ـ الأنـدلسي من أعماله : المستدرك على صناع الدواوين الأندلسية . صدر في بغداد ١٩٨٩ .

فى العدد السادس عشر ، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، (ص ٢٠٣ - ٢٣٨) ، من مجلة (آداب المستنصرية) ، نشرت صديقتنا الأستاذة نزهة جعفر حسن من (كلية التربية - جامعة الموصل) بحثاً بعنوان : « أحمد بن فرج الجياني : حياته وشعره ، جمع وتحقيق ودراسة فنية » ضمّت ما استطاعت جمعه من أشعار أحمد بن فرج ، فكانت حصيلة ذلك ٨٣ بيتاً مما صحت نسبته للجياني ، و١٤ بيتاً من الشعر المُدافَع بين الجياني وغيره .

والجياني هو صاحب كتاب الحدائق [(١)] الذي ذكره العمري في مسالك الأبصار وسجع له فقال [(٢)] : « ومنهم ابن فرجٍ الجياني صاحب كتاب الحدائق التي يرتعُ فيها البصر ، ويرقع بها فرج الغُصُون إذا هصَر ، ويجمع أطراف المحاسن إذ أكب عليها واقتصر ، ماست به معاطف جيان [(٣)] في حريرها ، ومالت قضبها طرباً بالأصوات مياهه وخريرها » .

ولِمَا اتصف به شعر هذا الشاعر من جودة وإحسان وبلاغة ، فقد عُنِيتُ بجمع هذا المستدرك [(*)] على شعره المنشور في (آداب المستنصرية) ، ومن الله التوفيق ، ولصديقتنا أوفى التقدير لجهدها الرائد .

---

(١) انظر : كتاب الحدائق لابن فرج الجياني في ضوء ماوصل إلينا منه - ص ٧١ - ٩٨ .

(٢) جـ ١١ ق ١ ص ١٩٥ .

(٣) مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً . انظر : الروض المعطار ص ١٨٣ .

* الإهداء : إلى المرحوم الأستاذ محمد محمود يونس تحية متواضعة لجهوده في حقل الدراسات الأندلسية .

ـ الهمــزة ـ

(١)

(المجتث)

١ ـ [. . . .] [٤] بكْــراً عليهــا من الــزجــاج رداءُ
٢ ـ فوجــهُ يومــك فيهِ من الــمــلاحــةِ ماءُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٦ .

(٢)

(البسيط)

١ ـ قمْ فانحــرِ الرَّاحَ يوم النَّحْر بالماءِ ولا تُضَــحِّ ضُحــىً إلاَّ لصَــهْبَــاءِ
٢ ـ أدركْ حَجيجَ النَّدامى قبل نَفْرهِمُ إلــى منًــى . . . مَعْ كلِّ هَيْفَــاءِ
٣ ـ وَعُــجْ على مكة الروحاءِ مبتكراً وطُفْ بهـا حول ركن العود والناءِ [٥]

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٦ .

ـ البـــاء ـ

(٣)

(مجزوء الكامل)

١ ـ جلّ [٦] الــتــي ما مثــلُهَــا شيءٌ سوى الــذهــب الـمــذابْ
٢ ـ ما دام دِرْعُ الــمــاءِ قد حُفَّــتْ به زَرَدُ الــحَــبَــابْ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

---

(٤) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته .
(٥) في الأصل : « الناي » .
(٦) في الأصل : « أجل » .
(٧) في الأصل : (خرد) .

(٤)

(السـريع)

١ ـ لا تَلْحَـظَنْ من أنت مُسْتَهْتَرٌ ... به إذا كان عليه رقـيبْ
٢ ـ وغطِّ بالأشـواق وجـه الهوى ... فليس تخفى لحـظات المـريبْ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٦ .

(٥)

(الكامل)

١ ـ قم هَاتِـهـا ورديّة ذهـبـيَّة ... تبـدو فتـحـسبُهـا عقيقـاً ذابـا
٢ ـ أوَ ما ترى حسن الهلال كأنه ... لمـا تبـدَّى حَاجـبٌ قد شابَـا

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(٦)

(الكامل)

١ ـ يا من يُدَلِّسُ بالـخضـاب مشيبـه ... إن الـمـدَلّس لا يزال مُريبـاً
٢ ـ هَبْ ياسمين الشيب عاد بنفسجـاً ... أيعـود عُرجـون الـقَـوَام قضيبَـا ! ؟

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(٧)

(المنسرح)

١ ـ وبِـرْكَـة قد أفـادنـا عجبـاً ... مائـجٌ (٨) من مائهـا ومـاانسكَبَا
٢ ـ من حول فَوَّارَة مزكـية ... قد انـحـنـى ظهـر مائهـا تعبَـا

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

---

(٨) في الأصل : « ماج » .

(٨)

(الطويل)

١ - حبيبٌ تَجَنَّى فاعتذَرْنَا فما انْثَنى فصَدَّ فواصلنا فما لانَ جانِبُهُ
٢ - فحتى متى يُسْرَى إليه بمُنْصُلِي [٩] وهِجْرانُهُ ماتستقل ركائبُهُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

(٩)

(البسيط)

١ - اشرَبْ عن شَفَقٍ من تحتِهِ لَهَبُ كأنَّهُ سَبَجٌ من تحتِهِ ذَهَبُ
٢ - من قبل يَضْحَى خَلوقاً مِسْكُهُ ويرى شقيقُهُ ياسمينا حين ينثقبُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٦ .

(١٠)

(الطويل)

١ - إذا خَفَقَتْ أعْلامُه خفقَتْ لها قُلوبُ ذوي الإلْحادِ تَحتَ التَّرائِب

الدر الفريد جـ ١ ق ٢ ص ١٧٤ أ .

(١١)

(الوافر)

١ - ولَمّا أقلعتْ سُفنُ المطايا بريحِ الوَجْدِ في لُجَجِ السَّرَاب
٢ - جرى نظري وراءهُمُ إلى أن تكسَّر بين أمواجِ الهضابِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(١٢)

(الوافر)

١ - وَهَاتِ زواهر الكاسَات ملأى إلى الحافات بالذهب المذابِ
٢ - فكيرُ الجوِّ يوقدُ نار برْق إذا خَمَدَتْ يدخّن بالضبابِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(٩) في الأصل : « تنصلي » ، وأثبتنا « بمنصلي » ليستقيم الوزن .

(١٣)

(مجزوء الكامل)

١ ـ اشْرَبْ على ذهبيةٍ صفراء كالذهب المذابِ
٢ ـ فالجلّنار[١٠] خَلُوقهُ قد غاب في مسك الضبابِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(١٤)

(السريع)

١ ـ يامسكة العشاق مسْكَ الدُّجى قد رُدَّ في نافجة العُرْبِ
٢ ـ وجُونَةُ الشرقِ لكافورها بَاتِرُهَا في عنْبرِ التُّرْبِ
٣ ـ فَأَذْهَبَ الهمَّ بمشمولهِ كمثل ذوب الذهب الرُّطْبِ
٤ ـ فالماءُ قَدْ جَدَّدَ بِلَّوْرَهُ مانثرتْهُ فضةُ السُّحْبِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٧ .

(١٥)

(المجتث)

١ ـ عرائسُ القُضْبِ تُجْلَى على كراسي الرَّوَابي
٢ ـ ومجلس الروض فيه فرْش من العُنَّابي

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

التاء

(١٦)

(الطويل)

١ ـ هي الريح يسري الشوق فيّ إذا سَرَتْ ويجري لها دمعي ببَحْرٍ إذا جرَتْ

---

(١٠) في الأصل : « فالجلنا » .

٢ ـ كأن الصبا مشتقّةٌ من صَبابتي   فأهتـاجُ ماهاجَتْ وأهْدَا إذا هَدَتْ

المختار من شعر بشار ص ٨٨ .

(الجيم)

(١٧)

(مخلع البسيط)

١ ـ أعْـتِـق من الـهَـمِّ رِقَّ قلبي   بعـاتِـقٍ ثوبُـهَـا الـزجـاجُ

٢ ـ بين رياض [. . . .] [12]   للمـاء في خُلْجِـهَـا اختـلاجُ

٣ ـ فليس يَرْنُـو إلـيك غصـنٌ   بمَـفـرقٍ ليس فيه تاجُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨

(١٨)

(الكامل)

١ ـ الـروض من أنهـاره وبَهـارُهُ   في المُصْمَتِ الفِضِّيِّ والـديبـاجِ

٢ ـ تعلو رعيّتـه ملوكَ غُصُـونـهِ   هذا بإكـليلٍ وذاك بتـاجِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

الحـــاء

(١٩)

(مخلع البسيط)

١ ـ جسـمُ زجـاجٍ وراحُ راحِ   كأنـهـا الـشمس في الـصبـاحِ

---

(١١) العنوان الحقيقي لهذا الكتاب هو : « الرائق بأزهار الحدائق » . . انظر تحقيق ذلك في : النقد الأدبي في القيروان ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(١٢) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته .

(١٣) في الأصل : « يدنو » .

٢ ـ إن خَجِل الجُلَّنَارُ منها   أراك ثَغْراً من الأقاحي
مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

الدال

(٢٠)

(المجتث)

١ ـ الغرب بالليل مِسْكٌ   والشرقُ بالفجر نَدُّ
٢ ـ وروضةُ الجَامِ فيها   من زهرة الراح وَردُ
٣ ـ فاشْرَبْ على وجد روْض   له من الماء خدُّ
٤ ـ لم تُلْقِه (١٤) الريحُ سَبْطاً   إلا انثنى وهْوَ جَعْدُ
مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩

(٢١)

(السريع)

١ ـ ياذا الذي يبْسِمُ عن مثل ما   شبيهُهُ يلمع في عِقْدِهِ
٢ ـ اثْنِ عِنان الهَجْر عن عَاشقٍ   قد طال رَكْضُ الدّمعِ في خَدِّهِ
مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٨ .

الراء

(٢٢)

(السريع)

١ ـ [. . . .] (١٥) بالوترْ
٢ ـ [. . . .] المطرْ
مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩ .

---

(١٤) في الأصل : « يلقِه » .

(١٥) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته

(٢٣)

(الخفيف)

١ ـ فتبلَّهْتُ لَستُ أدرِي أحَقٌّ مابدا لي أم لي [١٦] من الحُسنِ ساحِرْ

المختار من شعر بشار ص ٤٠ .

(٢٤)

(الوافر)

١ ـ سوالفُ سَوْسَن وخدودُ وردٍ وأعينُ نرجسٍ وَجِباهُ غُدْرِ

٢ ـ محاسنُ ليس يُرضى عن نديم إذا لم يقض واجبها بشُكْرِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩ .

السين

(٢٥)

(السريع)

١ ـ قد وَقدَ الزَّهْرُ مصابيحه وَصيَّر القُضْبَ فوانيسَا [١٧]

٢ ـ فَأغْنِ بالرَّاح نَدَامى غدَوْا من المسرات مَغاليسَا

٣ ـ مادامَ قد صار نعام البرى من نِعَمِ السُّحْبِ طوَاويسَا

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩ .

---

(١٦) في الأصل : « أم » والصواب ماأشار إليه المرحوم الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي في حاشية ص ٤٠ .

(١٧) في الأصل : « فوانينا » .

الضـــاد

(٢٦)

(الطويل)

١ - [. . . .] [١٨] الغَضِّ

٢ - فإن كنت تخشى من لسان بكائه فمـا الرأي إلا أن يُبَطَّل بالغَمْضِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

الفـــاء

(٢٧)

(السـريع)

١ - [. . . .] [١٩] انطفى

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩ .

القــاف

(٢٨)

(مجزوء الكامل)

١ - الأقــحـوان غصـونُـهُ بيض الـنّـواصِـي والـمفَـارِقْ

٢ - ومَـرَاودُ الأمـطار قد كُحِـلَتْ بهـا حَدَقُ الـحَـدائـقْ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩ .

---

(١٨) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته .

(١٩) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته .

(٢٩)

(السريع)

١ ـ سَتائِرُ الأوراقِ منصوبة فبابُها من خلفها الوَرَقُ
٢ ـ فأشربْ على ألحانها واسْقِني شمساً لها من كأسِها سَرَقُ
٣ ـ فالجو في عاتق نفّاطةٍ زرّافةٍ نيرانُها البَرقُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ١٩٩

الكاف

(٣٠)

(البسيط)

١ ـ [............... ....] [٢٠] ضحكُ
٢ ـ وأنجمُ النَّبْتِ تُجلي في ملابسها جيدَ السَّماءِ التي أقمارها البِرَكُ
٣ ـ والوردُ مابين أنهارٍ مدرَّجةٍ كأنَّهُ شَفَقٌ من حولهِ حَبَكُ
٤ ـ فَسَقِّنا مِنْ عصيرِ الكرْمِ صافية كأنها الذهبُ الإبريزُ مُنسَبِكُ
٥ ـ تُبْدِي المِراح على حَافاتها حَبَباً كأنَّهُ مِنْ حريرٍ أبيضٍ شَبَكُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

اللام

(٣١)

(البسيط)

١ ـ ياطاعناً بعتاب [٢١] كاد يَنْفُذُني لو لم أكن لابساً درعاً من الأملِ
٢ ـ اخْلَعْ عَليَّ جديداً من رضاك فقد رقَّعْتُ بالعُذْرِ ماخرَّقْتُ بالزَّلَلِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

---

(٢٠) مابين المعقوفين لم أتبين وجه قراءته .

(٢١) في الأصل : « بعتابي » .

الميـــم

(٣٢)

(الطويل)

١ ـ علامَ يَنال الشوقُ منك وفيما إذا بارقٌ من نحــو أرِضـك شِيمَـا

٢ ـ ألا حبَّـذا برق يلُوح مُخَالِساً وريحٌ إذا هبَّــت تَهُــبُّ نسـيمَــا

المختار من شعر بشار ص ٨٧ .

(٣٣)

(الرمل)

١ ـ لاأُرَوِّي غُلَّة من ظمَــإٍ أو يكُــون الــوِردُ ثغْـراً أو فمَــا

٢ ـ قل لمن يخبطُ في عشوائـِهِ هل بعـينيك عن الـفَجْـرِ عَمَــا

٣ ـ أتــظنّ اللهَ يَرْضَـى حَكَمــاً للورَى إلا الإمــام الـحـكَمَــا (٢٢)

السحر والشعر ص ١١٨ رقم ٥٤ .

(٣٤)

(الطويل)

١ ـ أرَى عارضـاً بالغَوْر لو أنّه يَهْمِي لعَـمَّ بنُـعْـمــاه الـمَعــاهـدَ من نُعُمِ

٢ ـ تألّقَ واُحْمومَى فقلْت : مغاضبٌ تبسَّم عن وجــهٍ بغير الــرضــا جَهْمِ

٣ ـ فإنَّ نسيمــا منـه هبّتْ به الصَّبَـا ليَسْرِي إلى نفسي سُرى البُرْء في السَّقْمِ

المختار من شعر بشار ص ٨٦ .

---

(٢٢) يعني الحكم المستنصر بالله الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ هـ .

النـــون

(٣٥)

(الكامل)

١ - خَلِّصْ بجاه الوصلِ قلبَ مُتَيَّمٍ غَمَـزَ الصُّـدُودُ عليه أعوانَ الضَّنَى

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

(٣٦)

(مخلع البسيط)

١ - قُمْ فَأَقْبِلِ الكأس فَهْيَ حُبْلَى للرَّاحِ في بطْنِـهَـا جَنـيـنُ

٢ - ومن مُهُـود نباتِ (. . . .) [٢٣] من كل وجـه لهَـا عيونُ

٣ - وانـعـمْ بإسـقـاطِ كل هَمٍّ من قبـل أن تسـقط الـغُـصـونُ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

(٣٧)

قال أبو عبد الله الحُميدي : أنشدني أبو عبد الله بن المعلَم في مجلس أبي محمد عليّ بن أحمد ، قال : أنشدني الأديب أبو الحسن بن فَرَجُون الطُّلَيْطِلي لأحمد بن فرج الجَيَّاني ، في ابن إدريس الأمير من أبيات :

(الوافر)

١ - وحَسبي إن سكتُّ فقالَ عنّي وطَـالَـتْنِي العــداةُ فكـان رُكْنِي

٢ - وَرَامــوه ليغْـرُوه [٢٤] بِضَـيْـمـي [٢٥] فأغرَوه [٢٦] بدفع [٢٧] الضَّيْم عَنِّي

جذوة المقتبس ص ٣٧٠ وبغية الملتمس ص ٥٠٥ .

---

(٢٣) بياض في الأصل .

(٢٤) بغية الملتمس : « ليعروه » .

(٢٥) المصدر السابق : « يصيمني » .

(٢٦) المصدر السابق : « فاعروه » .

(٢٧) المصدر السابق : « برفع » .

الهـــاء

(٣٨)

(البسيط)

١ ـ نحن المحاسنُ للدنيا إذَا سَفَرَتْ   حتى إذا ابتسمَتْ كنّـا ثنـايَاهَـا
٢ ـ عصابةٌ مارأى جيدُ الزمانِ له   قلائـداً هي أبهى من سجـايَاهَـا
٣ ـ لمْ يخلقِ اللهُ شيئاً قطُّ أكثرَ منْ   حاجـاتِ قُصَّـادِهَـا إلا عطايَاهَـا

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

اليـاء

(٣٩)

(الخفيف)

١ ـ جُعِلَتْ مُهْجَتِي الفداءَ لغصن   إن تَثَـنَّـى ثَنَـى الـقـلُوبَ لديْهِ
٢ ـ كلمـا لاح وجهُـهُ في مكـانٍ   كثـرتْ رحـمـةُ الـعـيونِ عليْهِ

مسالك الأبصار جـ ١١ ق ١ ص ٢٠٠ .

* * *

المصـــادر والمراجــع

١ ـ أحمد بن فرج الجياني : حياته وشعره ، جمع وتحقيق ودراسة فنية ـ نزهة جعفر حسن ـ مستلة من مجلة آداب المستنصرية ـ العدد السادس عشر سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م (ص ٢٠٣ ـ ٢٣٨) .

٢ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تأليف أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ـ مطبعة روخس مجريط ١٨٨٤ .

٣ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، تأليف أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ـ سلسلة من تراث الأندلس رقم (١) ـ مكتب نشر الثقافة الإسلامية ـ مطبعة السعادة مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢م .

٤ ـ الدر الفريد وبيت القصيد ، تأليف محمد بن سيف الدين أيدمر ٦٣٩ ـ ٧٠٦ هـ ـ الجزء الأول القسم الثاني . مخطوط بمكتبة الفاتح ـ إستانبول (تركيا) برقم ٣٧٦١ . . . منه نسخة مصورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية ـ القاهرة تحت رقم ٢١٧ أدب .

٥ ـ الرائق بأزهار الحدائق = المختار من شعر بشار .

٦ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) ، تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (؟) تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٧ ـ السحر والشعر ، تأليف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ـ تحقيق ودراسة قدور إبراهيم عمار بن محمد ، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور لطفي عبد البديع ، كلية الآداب جامعة عين شمس . القاهرة ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ، مكتبة جامعة القاهرة ـ قسم الرسائل الجامعية رقم ١٤١٦ .

* * *

الإمـام السـيوطي
وفـن السـيرة الذاتية

د . عبد الإله نبهان (*)

ما أكثر الدعاوى التي تنطلق من هنا أو من هناك ، فما تلبث أن تؤخذ على أنها قضايا مسلَّمة ، وسرعان ما يجرى الكثيرون وراءها ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء إلقاء نظرة ولو خاطفة على الماضي لتبيُّن الحقيقة .

قالوا إن السيرة الذاتية فن أدبى حديث ! فنفوا بذلك وجوده لدى الأمم القديمة ، ومنها أمة العرب .

والحقيقة أن تراثنا عرف هذا الفن ، وحفظ لنا منه آثاراً رائعة بحق ؛ كتابات أبي حيان التوحيدي ، والحجة الغزالي ، وابن منقذ ، وابن خلدون . . وغيرهم .

هذا البحث يعرض بالتفصيل سيرة واحد من علمائنا الكبار في القرن التاسع الهجري ، الإمام السيوطي ، الذي سجل سيرته في كتاب أسماه : « التحدث بنعمة الله » .

قد تكون ملامح الصورة القديمة مختلفة عن الصورة الحديثة ، لكن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً ، حقيقة أن هذا الفن ليس حديثاً ، وأن تراث العرب فيه يكشف عن نضج في الرؤية ووضوح في المقاصد ورقي في التناول .

« المجلة »

---

* عضو هيئة تدريس كلية الآداب بجامعة البعث ـ سورية . درس وحقق جزءاً من « الأشباه والنظائر » للسيوطي في رسالته للماجستير . نشر المعهد له « غوامض الصحاح » للصفدي . حقق مجموعة من كتب التراث في اللغة والنحو ، وله عدد كبير من المقالات في اللغة والبلاغة والأدب ، نُشرت في مجلات المجامع اللغوية والدوريات الصادرة في البلاد العربية .

يعـد فنّ السيرة الذاتية من الفنون الأدبية الضاربة إلى القِدم بعرق ، ولها في رحم الزمان أصل وجذر ، ثم اكتسى في العصر الحديث لبوساً جديداً ، وارتدى ثوباً قشيباً ، وبرز للعيان وكأنه لم يكن من قبل ، وادُّعي اكتشافه وكأنّ الناس ما عرفوه ولا شهدوه ، فلا عجب بعد هذا كله أن رأينا J.A. Cuddon يزعم في كتابه : معجم مصطلحات الأدب » : A Dictionary of LITERARY TERMS أنّ أول من استـعـمـل كلمـة Autobigraphy [1] « أي كتـابة الحياة الذاتية » على أنها مصطلح يدل على رواية الإنسان لسيرته بقلمه هو سوزي Southey عام ١٨٠٩ .

وعقب الدكتور جونسون Dr. Johnson آنذاك بما معناه أن أفضل سيرة للإنسان هي تلك التي يدوّنها بقلمه .

وعقب J.A. Cuddon على قول الـدكتـور جونسـون بقـوله : إن كلام جونسون فيه نظر ، فالذاكرة ـ وهي المعّول عليها في المذكرات ـ غير جديرة بالثقة ، وقليل من الناس فقط يستطيعون أن يحتفظوا بتفاصيل واضحة عن مراحـل حياتهم الأولى . زد على ذلك أنّ الإنسان بطبيعته ينزع إلى تذكر ما يريده ، ويحلو له تذكره ، عن عمد أو عن غير عمد » ويقول : « فالكريه والقبيح قد يمـوّهـان ، والحقيقة قد تسخّر لتدبيج الحجج المقنعة وإيجاد المسوّغات التى تبرىء صاحبها ، وأخيراً فإن توالي الأيام ربما طمس من هذا العالم بقدر ما يكشفه » .

وما قدمناه يبرز التصور الغربيّ الأوروبيّ لفن السيرة الذاتية ، واعتماداً على هذا التصـور ، أو ما هو منه قريب ، تم بناء السير الذاتية في الأدب العربي الحديث بدءاً من « الأيام » للدكتور طه حسين ، ومروراً بما تلاه من السير الـذاتية « قصـة حياتي » للأستـاذ أحمـد أمين و« سبعـون » للأديب ميخائيل نعيمة و« السيرة الذاتية » للأستاذ خليل هنداوي .

ولا ريب في أن أدبـاءنـا الكبار هؤلاء قد أطلعوا على نماذج من فنون السيرة الذاتية في الآداب الغربية ، إمّا في لغاتها الأصلية ، وإما مترجمة إلى

---

(١) معجم مصطلحات الأدب ـ بالإنكليزية : المادة : Autobigraphy

العربية . ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه السير ترجم مرتين أو أكثر إلى العربية كاعترافات جان جاك روسو التي نشرت بعد وفاته بين عامي ١٧٨١ ـ ١٧٨٨ .

ولا يخفى على الدارس الفاحص أن قبول كلام J.A. Cuddon على عواهنه لا يجوز ، لأنه يوحي للقارىء بأن فن السيرة الذاتية فن أدبي حديث ، مع أن آداب الأمم القديمة عرفت ضرباً من هذا الفن ، فالتراث العربي القديم عرف التراجم الذاتية ، ولكن من منظور آخر ، يلتقي المنظور الغربي في مواضع لكنه يختلف عنه في مواضع أخر ، وكذلك التراث اليوناني القديم عرف شيئاً من ذلك ، فيكون ما ذهب إليه J.A. Cuddon من أن سوزي Southey هو أول من استعمل كلمة "Autobiography" بمعنى الذاتية ، إنما هو مذهب يخصّ ولا يعّم ، بمعنى أنه يخصّ الآداب الأوروبية ولا يعّم آداب الأمم كافة .

التراث العربي ـ كما ذكرنا ـ عرف هذا الفن ، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في « طبقات الأطباء » نبذة عن ابن سينا « وجدته بقلم ابن سينا نفسه »[٢] ، وذكر مثلهما لمحمد بن الحسن بن الهيثم[٣] ، ولعلي بن رضوان الطبيب[٤] ولعبد اللطيف البغدادي[٥] . أما كتابات أبي حيان التوحيدي فإنها لو استقرئت ، واستُخرج ما فيها مما تحّدث به أبو حيان عن نفسه وحياته ، لاستقامت لنا منها سيرة ذاتية أو شبه سيرة ، فيها من الروعة ما فيها . ويُعّد « المنقذ من الضلال » لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي سيرة روحية لها امتيازها وخصوصيتها في تصويرها تلك الرحلة النفسية الشاقّة من الشك إلى اليقين ، وإن ما ذكره الأمير أسامة بن منقذ عن حياته ونشأته ومغامراته في كتابه « الاعتبار » ليعد سيرة ذاتية فيها من الفنّ ما فيها ، ومن أبرز ذلك تلك اللغة البسيطة الواقعية التي دوّنت فيها تلك المذكرات .

---

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ٢ : ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ٢ : ٩٠ .

(٤) المرجع السابق ٢ : ٩٩ .

(٥) المرجع السابق ٢ : ٢٠١ .

وسار الخالفون من علماء العرب على سنن السالفين ، فدونوا سيرة حيواتهم وذكروا شيوخهم وأسفارهم . . ولن نقف عند كل واحدٍ منهم ، لأننا لم نقصد إلى هذا ، وحسبنا أن نشير إلى ابن خلدون الذي صنف « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » وإلى هبة الله بن داود الذي صنف مذكرات سمّاها « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » لتدل على اتساع هذا الفن ورسوخه في التراث العربي . .

التحدث بنعمة الله

قدّمنا كل ما قدمناه لنصل إلى القرن التاسع ، إلى جلال الدين السيوطي . ومعروف أن الجلال كان مولعاً بالتأليف ، وأنه خلّف عدة مئات من المؤلفات ، وأنه كانت تحت يده مكتبة هائلة هي المكتبة المحمودية ، وفي القاهرة آنئذ غيرها من المكتبات الكبيرة ، وقد اطلع على ما اطلع عليه ، وألف ما ألف ، وكان من جملة مؤلفاته كتاب « التحدث بنعمة الله » وهو السيرة الذاتية للسيوطي .

وقبل أن أبدأ الحديث عن هذه السيرة ، لابد أن أذكر أن ما كان معروفاً حتى عام ١٩٧٥ م هو أن سيرة السيوطي الذاتية إنما هي صفحات دوّنها السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة [٦] » ذكر فيها نسبه وبعض شيوخه ثم عدّد مؤلفاته . ومع أن هذه الترجمة جاءت موجزة فقد تصحف على محققها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم لفظ واحد أدّى إلى وهْمٍ انداح واستفاض وما يزال معظم محققي كتب السيوطي في عصرنا يقعون ضحيته حتى يومنا هذا . ويتصل هذا الوهم بقضية سفر السيوطي إلى الشام والهند والمغرب والتكرور وغيرها ، وهذا الأمر سنعرض له في موضع آخر من هذا البحث .

وفي عام ١٩٧٥ ظهر كتاب « التحدث بنعمة الله » للسيوطي بتحقيق اليزابيث ماري سارتين E.M. SARTAIN مشفوعاً بكتاب آخر باللغة الإنكليزية بعنوان « جلال الدين السيوطي » من تأليف إليزابيث أيضاً . وكنت آنذاك منصرفاً إلى كتابة ترجمة موجزة موثقة للسيوطي لتقديمها بين يدي كتاب الأشباه والنظائر النحوية ، وأعياني أمر الحصول على الكتابين ، وكان سروري عظيماً عندما أسعفني أخي وصديقي الدكتور إلياس جورجي بيطار

---

(٦) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٦ وكتاب جلال الدين السيوطي : ٣٨ .

مدرس اللغات السامية بجامعة دمشق الآن ، بمصوَّرتين للكتابين ، وكانت سعادتي عظيمة عندما رأيت أن ما توصلت إليه من استنتاجات وبرهنت عليه بالأدلة ، قد جاء منصوصاً عليه في كلا الكتابين . . على أن المهم في الأمر أنني اكتشفت أن ترجمة السيوطي التي دونها بقلمه ليس تلك الصفحات القليلة التي اشتمل عليها كتاب « حسن المحاضرة » وإنما هي تلك الصفحات الكثيرة التي سرد فيها ما أحبّ عن حياته ومؤلفاته في كتابه « التحدث بنعمة الله » .

وواضح من العنوان أن منطلق المؤلف في تأليف كتابه إنما هو قوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربّك فحدث [٧] ﴾ . ومن هنا راح جلال الدين يحدّثنا بما أنعم الله عليه ، لأن « التحدث بنعمة الله يورث المزيد منها ، لأنها شكر كما ثبت ذلك بالأدلّة » .

ولما كان حديثه عن نفسه قصدياً وله هدف محدد مسبقاً ، فإنه فصّل في ذكر الأسباب الداعية إلى كتابة الترجمة الشخصية ، فالعلماء برأيه ما زالوا « قديماً وحديثاً يكتبون لأنفسهم تراجم ، ولهم في ذلك مقاصد حميدة منها : التحدث بنعمة الله شكراً ، ومنها التعريف بأحوالهم لِيُقْتَدى بهم فيها ويستفيدها من لا يعرفها ، ويعتمد عليها مَنْ أراد ذكرهم في تاريخ أو طبقات [٨] » .

ولكي لا يكون السيوطي مبتدعاً في كتابته عن نفسه ، ولكي لا يخالط عمله شبهة رياء ذكر بعضَ مَنْ ترجم لنفسه من المحدِّثين والفقهاء ممن عرفوا بورعهم واتقائهم الشبهات ، فذكر منهم عبد الغافر الفارسي أحد حفّاظ الحديث والكاتب عماد الدين الإصبهاني والفقيه عمارة اليمني ولسان الدين ابن الخطيب وأبا شامة المقدسي والحافظ تقيّ الدين الفاسي والحافظ ابن حجر والإمام أبا حيّان . . هؤلاء جميعاً ذكرهم السيوطي بين يدي كتابه ، وصرّح باقتدائه بهم بقوله : « وقد اقتديت بهم في ذلك فوضعت هذا الكتاب تحدّثاً بنعمة الله وشكراً ، لا رياء ولا سمعة ولا فخراً [٩] » .

---

(٧) سورة الضحى ٩٣/ ١١ .
(٨) التحدث بنعمة الله : ٣ .
(٩) المرجع السابق : ٤ .

والسيوطي الـذي قضّى حياته يطلب العلم ويعلّم ، ويقرأ ويصنّف ، وكانت مؤلفاته منهجية منظمة ، بل صارمة في منهجيتها ، ما كان له أن يخرج من جلده ليغدو في سيرته الذاتية رجلاً آخر ، فهذا الإمام الذى اختصر كتب الأنساب وترجم لعلماء عصره ، ما كان له أن يحيد عن السنن المتبع في كتابة التراجم عندما يترجم لنفسه .

بدأ السيوطي ترجمته بذكر أبيه وسلسلة أجداده ، أي بدأ بالنسب ، ولم يكن الرجل ـ والحقّ يقال ـ متعنّتاً ولا مدّعياً في باب سهل فيه الادّعاء ، فهو لم يرفع نسبه إلى الأشراف ، بل اعترف ببساطة أنه لا يعرف سبب تلقيب جدّهم الأعلى الهمام بالخضيري ، ولم يتحقق ما تكون إليه هذه النسبة ، ثم عقّب على ذلك بتعقيب بديع بقوله : « وهذا من بدائع قدرة الله أن يعجز العلماء بأنساب الناس عن معرفة أنسابهم ، ليقفوا عند حدّهم ويعترفوا بالعجز والقصور ، ويقولوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا [١٠] . ومن طريف ما ذكّره ههنا أن الحافظ الكبير الإمام أبا سعد عبد الكريم بن السمعاني صنّف كتاباً حافلاً في الأنساب في ثلاث مجلدات ضخمة ، بيّن فيه أنساب العلماء : لماذا هي ؟ لقبيلة أو جدّ أو بلدٍ أو غير ذلك ، وعجز في نسب نفسه ، فلم يدر « السمعاني » نسبةً لماذا ؟

وسار السيوطي على النهج المتبع في ترجمة أبيه ، فذكر ولادته ونشأته وما تركه من آثار علمية ، ثم تحدّث عن وفاته ، ووقف مع كلمة الأسيوطي والسيوطي ، وانتهى إلى القول بأن السيوطي والأسيوطي شيء واحد ، وبسبب من هذه النسبة صنف مجلداً لطيفاً في تاريخ أسيوط مع أنه لم يرها ولم يسافر إليها البتة ، وإنما فعل ما فعل لأنها أرض الآباء والأجداد ، وأتبع ذلك بذكر جريدة اشتملت على أسماء المحدّثين الذين خصّوا بلدهم بتاريخ خاص بها ، ليدلّ على أنه فعل ما فعله على سبيل الاقتداء بهم ، وختمها بقول الحاكم : « اعلم بأن خراسان وما وراء النهر لكلّ بلدة تاريخ صنّفه عالم منها [١١] » .

ولما كان والده من أهل العلم ، فإنه وقف لدى فتوى من فتاوى والده ،

---

(١٠) المرجع السابق : ٦ والآية من سورة ٢ / ٣٢ .

(١١) المرجع السابق : ١٢ .

وهي فتـوى تبحث في قضية العمـر ، هل يزيد وينقص من الـولادة إلى الموت ، ومن الموت إلى البعث ، وكان جواب والده بأن الأجل مقدّر من الأزل لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر ، وقدّم عدداً من الأدلة النقلية ، لكنّ السيوطي لم ير ما رآه والده وإنما اتّجه إلى القول بزيادة العمر ونقصه « بالنسبة إلى ما كتب في اللوح المحفوظ أو برز إلى الملائكة ، لا بالنسبة إلى علم الله الأزلّي (١٢) » .

وكانت هذه مناسبة هامة اغتنمها السيوطي ليحشد عدداً من الأحاديث النبوية ومن آراء المفسرين تدعم ما ذهب إليه في نقض فتوى والده ، ولم يكن الهدف في حقيقة الأمر أن ينقض رأي الوالد ، فهذا أهون وأقلّ من أن يكون هدفاً . لقد كان جلال الدين مشتجرا في خصومات مع طائفةٍ من علماء عصـره ، ومنهم مَنْ يرميه بالتشبث برأيه والتعصب له ، ومنهم من يدفع عنه دعـوى الاجتهاد التى ما طفق يرددها في شتّى كتبه ، فكان ردّه على والده المتوفى دليلاً ـ من وجهة نظره ـ على أنه لا يتعصب إلا للحق ، وأنه لا يردّ على أحدٍ حبًّا في الملاحاة ، وإلحاحاً في الخصومة ، ورغبة فى الفلج وجرياً وراء الـظهـور . . ولمتكن هذه المعـاني غائبـة عنـه ، فقـد كانت نفسـه وخفـاياها ، أو ما يدل على تلك الخفايا ، على طرف قلمه دائماً ، قال : « فصـلٌ في ذكر فتوى من فتاوى الوالد ، رأينا فيها مخالف لما أفتى به ، وذكرْنا ذلك لأمرين ، أحدهما : إفادة العلم : فإنا لا نستجيز كتْم ما يظهر لنا من العلم مخالفاً لما عليه غيرنا ، بل نبديه وننشره ؛ كيف ؟ وقد أقامنا الله بفضله جلّ جلاله في منصب الاجتهاد لنبيّن للناس في هذا العصر ما أدّانا إليه الاجتهاد تجديداً للدين . والثاني : ليقيم الناس عذرنا في مخالفة أهل عصرنا ، ويعلموا أنه ليس غرضنا المعاداة ولا التعصب ، بل غرضنا اتباعُ الحقّ وتـركُ المحـابـاة في الـدين ، فإنّـا لو حابينا أحداً لكانَ أحقَّ الناس بالمحاباة والدنا ، ولكننا لا نحابي في الدين والعلم والداً ولا غيره (١٣) » .

ويتّضح لنا من النص المتقدم ذكره امتلاء نفسه وعقله بما ادّعاه لنفسه من كونـه مجتهد العصر ومجدّد الدين ، كلُّ هذا قدّمه السيوطي ولمّا يبدأ بترجمة نفسه بعدُ .

---

(١٢) انظر المسألة بتمامها في المرجع السابق ٢٠ ـ ٣١ .

(١٣) المرجع السابق : ٢٠ .

وبدأت السيرة منذ الولادة ، وكان ذلك بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة ، وسمّاه والده عبد الرحمن ، وكان لابّد عندئذ للسيوطي من أن يذكر اللطائف المرتبطة باسم « عبد الرحمن » ويستنبط ما يمكن استنباطه ويستعرض مَنْ سمّي بعبد الرحمن من الصحابة وأولادهم .

ويبدو أن المخطوط الذي نشر عنه الكتاب ـ وهو بخط السيوطي ـ أصيب بخرم ههنا (١٤) ، لأن الانتقال كان مفاجئاً ، فإنه انتقل من الولادة إلى ذكر مسموعاته ، والمسموعات لا يمكن ذكرها إلا بعد ذلك . . وكتاب التحدث بنعمة الله مليء بالفجوات ، فقد اخترقه البياض في مواضع عدّة ، لكن هذا الموضع الذي سقط هنا يمكن استدراكه من كلام السيوطي نفسه فيما نقله عنه تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتابه « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » ، فقد نقل الشاذلي من نسخة من كتاب التحدث بنعمة الله أتم من النسخة التي اعتمد عليها في النشر ، وكان من ذلك هذه المرحلة من مراحل حياة السيوطي ، فماذا ذكر السيوطي عن مرحلة النشأة ؟

ذكر أن والده لقبه بجلال الدين ، وأنه حُمل وهو صغير إلى الشيخ محمد المجذوب ، فدعا له بالبركة ، ولما مات والده وكان مدرساً بالمدرسة الشيخونية ، قُرر ابنه عبد الرحمن جلال الدين مكانه ، وأنيب موضعه مَنْ يصلح للتدريس .

وبدأت السيرة العلمية للسيوطي ، وليست له سيرة غيرها ، فقد حفظ القرآن وختمه وعمره دون ثماني سنين ، ثم حفظ عمدة الأحكام والمنهاج للنووي وألفيه ابن مالك ومنهاج البيضاوي ، وعَرض الثلاثة الأُول في صفر سنة أربع وستين ـ أي وهو ابن خمس عشرة سنة ـ على شيخ الإسلام علم الدين البلقيني وشيخ الإسلام شرف الدين المناوي ، وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي وشيخ الشيوخ أمين الدين الأقصرائي . وذكر جملةً من قراءاته ، وعرض جريدة تامّة اشتملت على إجازاته من ثلاث طبقات من الشيوخ بلغ تعدادها حوالي مائة وثلاثين شيخاً وشيخة ، ولم يذكر الطبقة

(١٤) المرجع السابق : ٣٨ .

الـرابعة لأنه في غالب الروايات مساوٍ لشيوخها في الدرجة ، ولأنه استوفى ذكرها في معجم شيوخه ، ثم استطرد إلى ذكر ثلاثة أحاديث عشارية وقعت له .

وتوجّه السيوطي في ربيع الآخر عام تسعة وستين وثمانمائةإلى الحجاز لأداء فريضـة الحج ، واختصر الكلام عنها في سيرته ، لأنه جمع فوائدها وما وقع له فيها وما ألفه أو طالعه أو نظمه وذكر مَنْ لقيه فيها من الشيوخ في كتـاب سّماه « النحلة الزكية في الرحلة المكية » ولم يحدثنا السيوطي بأي تفصيل عن رحلته وسفينته وعلاقاته برفاق السفر ، فقد منصرفاً وهو في السفينة إلى اختصار الألفية نظماً ، واختتم مختصره بالقرب من « تاران » بقوله :

نظمتهـا في نحـو ثلثي أصلهـا ... ولـن ترى مختـصـراً كمثـلهـا
ختـمـتـهـا بظهـر بحـر القلزم ... مسـافـراً للبـلـد الـمـحـرّم
وفـي ربـيع لاح زهـر نظمـهـا ... وفي جمـادى فاح مسك ختمها
من عام تسـعـةٍ وسـتين الـتي ... بعـد ثمـان مائـةٍ للهـجـرةِ

ومن الأمـور الهامّة في رحلته أنه ألف خلالها كرّاسة على نمط كتاب « عنوان الشرف الوافي [١٥] » ، وهو كتاب عجيب ، يحتاج تأليفه إلى مقدرة فذّة ، وسمّى كتابه « النفحة المسكية والتحفة المكية » وهو يحتوي على نحوٍ ومعانٍ وبديعٍ وعروض وتاريخ ، ولا يغيبنّ عن أذهاننا أن سنّ جلال الدين آنذاك لم يكن تجاوز العشرين بعد [١٦] .

---

(١٥) عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي ، ألفه إسماعيل ابن أبي بكر المقري . طبع أولاً باسم الشرف الوافي . . . وقام بمراجعته الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري ، ونشر عام ١٣٩٦ هـ في طبعة أنيقة ولم يذكر مكان الطبع ثم طبع بعد ذلك ، وقد صحح عنوانه وأصبح « عنوان الشرف الوافي » والنفحة المسكية المشار إليها إنما هي وريقات قليلة ، منها نسخة في الظاهرية بدمشق . وأبيات السيوطي المذكورة في التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(١٦) لأن ولادته كانت عام ٨٤٩ هـ ورحلته إلى مكة عام ٨٦٩ . انظر الضوء اللامع ٤ : ٦٦ والتحدث بنعمة الله ٧٩ .

بعد عودته مِن الحجاز قام برحلة أخرى إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما ، وتحدث عن ذلك في كتابه « قطف الزهر في رحلة شهر » .

والسيوطي لا يهتم في رحلته بمجمل ما يهتمّ به الرحالون عادةً من ذكر العادات الاجتماعية ووصف الطرق ، وطباع الناس . . وكل ما ذكره لنا عن رحلته هذه أنه حدّث بعشارياته ، وأنشد الذين لقيهم من العلماء بعض ما نظمه من الشعر ، وأنّ فلاناً استجازه أو كتب عنه أو قرأ عليه أو مدحه . ومن ذلك مثلاً أن الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن علي العطائي سمع عشاريات السيوطي وكتبها ، ومدح السيوطي وكتب له :

رأيت شاباً ما أرى مثله — في العلم والدين معاً والصلاح
تبسّم الثغر به ضاحكاً — وافتّر عن درّ وشهدٍ وراح
شبّهته لما بدا مقبلاً — بالشيخ محيي الدين وابن الصلاح [١٧]

وحدثنا السيوطي بهذه المناسبة عن لغز صنعه في القاضي شعبان ، قاضي الإسكندرية ، وذكر عجز الشيوخ عن حلّه ، ثم أوردَ حلّه منظوماً . .

وعاد جلال الدين إلى القاهرة ، وملكَ العملُ أوقاته كلها ، فقد نصب للتدريس بعد عودته من رحلة الإسكندرية ودمياط ، وكان تنصيبه في شوال عام سبعين وثمانمائة . ومنذ عام واحدٍ وسبعين وثمانمائة توافد عليه الفضلاء وقرأوا عليه تصانيفه ، ومنهم مَنْ لزمه عشر سنوات . . وفي يوم الجمعة مستهل عام اثنين وسبعين وثمانمائة ابتدأ إملاء الحديث الشريف بالجامع الطولوني ، فجدّد بذلك ما كان قد انقطع عشرين سنة ، أي منذ وفاة حافظ العصر ابن حجر . . وكان السيوطي جعل مجلس الإملاء بعد صلاة الجمعة [١٨] . .

ووقع الطاعون بالديار المصرية ، فقطع الإملاء في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، ثم عاد إلى الإملاء سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، فأملى ثلاثين مجلساً ثم قطع الإملاء . .

وكان تصدّيه للإفتاء ابتداءً من سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وقد ذكر أنه جمع مقداراً كبيراً من فتاواه ، ثم انتقى غرائبها وجمعها في مجلد ، وأفرد

---

(١٧) التحدث بنعمة الله : ٨٤ .
(١٨) المرجع السابق : ٨٨ ـ ٨٩ .

فتاواه التى خالف بها أهل عصره فجعلها في خمسين مؤلفاً وجمعها في مجلدين ، فبلغ مجموع فتاواه ثلاث مجلدات [١٩] .

أما مذهبه في الإفتاء فهو مذهب الإمام الشافعي ، لم يخرج عليه حتى بعد أن بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق ، فإنه كان يأخذ من أقوال الشافعي جديدها وقديمها ، أو من بعض أصحاب الشافعي ، ولم يخرج في كل ما أفتى به عن حدود المذهب . .

وولي السيوطي سنة سبع وسبعين وثمانمائة تدريس الحديث الشريف بالمدرسة الشيخونية بشرط واقفها . وفي رجب من هذه السنة نفسها ألقى تصديراً لدن توليه التدريس بحضرة الشيخ محيي الدين الكافيجي وجماعة المدرسة أظهر فيه براعته في حفظ الحديث والكلام على أسانيده وما يتعلق به من علم مصطلح الحديث . .

مؤلفات السيوطي

ووقف السيوطي وقفة مطّولة مع مؤلفاته . وكانت وقفته مجرد تعداد لتلك المؤلفات ، فنحن لا نجد حديثاً ذاتياً حميماً حول أي مؤلف من مؤلفاته . . كل ما فعله أنه قدّم بمقدمة ذات طابع ذاتي فحواها أن القسم الأول من مؤلفاته هو ما يدّعي فيه التفرد ، ومعنى ذلك حسب تعبيره « أنّه لم يؤلف له نظير فى الدنيا فيما علمت ، وليس ذلك لعجز المتقدّمين عنه ـ معاذ الله ـ ولكن لم يتفق أنهم تصدّوا لمثله ، وأمّا أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد » [٢٠] .

وعدد السيوطي ثمانية عشر مؤلفاً مما تنطبق عليه فى رأيه المواصفات السابق ذكرها ، ومن هذه المؤلفات : الإتقان في علوم القرآن ، والدرّ المنثور فى التفسير بالمأثور ، والأشباه والنظائر النحوية وهمع الهوامع وشرح شواهد المغني وبغية الوعاة وغيرها . . . ونجد أنه عدّد في هذا القسم كتباً هامة حقاً ككتاب « الهمع » و « الدر المنثور » . . لكننا نجد إلى جانب ذلك كتباً غير

---

(١٩) المرجع السابق : ٩٠ .
(٢٠) المرجع السابق : ١٠٥ .

جديرة بالقسم الذي وضعت فيه ككتاب شرح شواهد المغني وككتاب « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » فهذه الكتب لا يمكن أن تقاس بما تقدّم ذكره من كتبه ، ثم إن ما ادعاه من تفرد في كتبه تلك لا يُسلّم له وإنما يحتاج إلى مناقشة ، وسنفرد له موضعاً في هذا المقال .

ثم عدّد السيوطي القسم الثاني من مؤلفاته وهي التي يمكن للعلامة أن يأتي بها ، وعدّد خمسين مؤلفا ، منها على سبيل المثال : المعجزات والخصائص النبوية ، ولباب النقول في أسباب النزول ، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، وتاريخ الخلفاء ، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

ثم ذكر القسم الثالث من مؤلفاته وهو ماتم من الكتب المعتبرة ذات الحجم الصغير التي هي من كرّاسين إلى عشرة ، وعدّد منها ستين مؤلفاً .

ثم ذكر القسم الرابع وهو ما يتألف من كرّاسٍ ونحوه ، سوى مسائل الفتاوى ، وعدّد منها مؤلّفين ومائة .

أما القسم الخامس فهو ما ألف في واقعات الفتاوى ، من كرّاسٍ وفوقه ودونه ، وعدّد منها ثمانين مؤلفاً .

وأما القسم السادس فهو مؤلفات لا يعتدّ بها المؤلف قال « هي مؤلفات لا أعتد بها لأنها على طريق البطالين الذين ليس لهم اعتناء إلا بالرواية المحضة ، ألفتها في زمن السماع وطلب الإجازات ، مع أنها مشتملة على فوائد بالنسبة إلى ما يكتبه الغير »(٢١) ، وعدد السيوطي أربعين مؤلفاً منها كتب رحلاته كالرحلة المكية والمدنية وقطف الزهر في رحلة شهر ، والرحلة الفيومية ، وكتب المنقيات وهي اثنا عشر منتقى ، كالمنتقى من تفسير ابن أبي حاتم ، والمنتقى من تفسير الفريابي ، والمنتقى من سيرة ابن سيد الناس ، والمنتقى من معجم الطبراني وما إلى ذلك . . .

أما القسم السابع فهو المؤلفات التي شرع فيها وفتر العزم عنها ، وكتب منها القليل وهو ثلاثة وثمانون مؤلفاً ، منها مثلا شرح مسند الإمام الشافعي ، كتب منه مجالس ، ومنها ميدان الفرسان في شواهد القرآن ، كتب منه دون

---

(٢١) المرجع السابق : ١٢٦ .

كراس . . . وذكر السيوطي في النهاية نُبذاً مما كتب عنه علماء عصره من تقريظ لبعض مؤلفاته ، وهذا لن نقف عنده الآن لأنه سيعود إلى ذلك مرّة أخرى . .

وذكر جلال الدين أنه مهر في النحو ، وأنه ـ حسب ظنه ـ طالع من كتب العربية كتباً لم يقف عليها غالب أهل العصر ولا كثيرٌ ممن قبلهم . وانتقل إلى الفقه ، وبذل فيه الهمّة ، فالنحو والفقه أحسن معارفه ، ويليهما المعاني والإنشاء واصطلاح الحديث . أما الفرائض فليس له فيه إلا المشاركة . وأما الحساب والعروض فمعرفته بهما نزرة يسيرة . . أما المنطق وعلوم الفلسفة فلم يشتغل بها لاعتقاده أنها حرام ، ولو أنها كانت مباحة لما آثرها على علوم الدين .

وعوداً على بدء يسرد علينا السيوطي صفحات مما قرظ به العلماء كتبه من شعر ونثر . وإثبات تلك التقاريظ يدل على إعجاب السيوطي بنفسه . ومع أنه لم يكن ضنيناً بالثناء على نفسه بقلمه ، إلا أنه لم يكن ضنيناً أيضاً بذكر ما كتبه عنه الآخرون ، فمن ذلك هذه السطور التي أثبتها السيوطي في كتابه على أنها لشهاب الدين المنصوري المعروف بالهائم ، كتبها مقرظاً شرح الألفية للسيوطي ، قال : « فسبحان مَنْ مَنَّ على هذا الجلال بملابس الإجلال ، وحلّى نجل الكمال بتاج الإكمال ، فلله دَرّ ينبوعه ودُرّ مجموعه ، فلقد جمعه جمع تصحيح ، وبالغ في استنباط اللباب والتوضيح ، فلو رآه الكسائي لخلع عليه وشاحيه ، أو ابن عصفور لطار إليه بجناحيه ، ولو رآه المبرد لسخنت من حسدٍ عيناه ، أو جاراه ثعلب لاستعجم فصيحه وظلّ يعدو في الفلاة ، ولو عاصره الرمّاني لأخرجه من قشره وعصره ، أو أبو حيان لأنضب بحره ونهره . . . » (٢٢) .

ولما كان تأليف الكتب قد استغرق حياة السيوطي واستهلك أوقاته ، فإن من طبيعة الأمور وبداهتها أن تكون مؤلفاته بمثابة أولاده ، والسيوطي لم يحدثنا في مذكراته عن زوجة أو ولد ، وإنما عن الكتب وتأليفها وسماعها . . . والمؤلف إنما يؤلف لأسباب ، منها الذاتي ومنها الموضوعي ، وقد اجتمعت هذه الأسباب وقويت بواعثها لدى جلال الدين ، فقد صرح بأنه

---

(٢٢) المرجع السابق : ١٤١ .

بلغ مرتبة الاجتهاد في الفقه [٢٣] ، وكان يطمح إلى أن يكون هو مجدّد المائة التاسعة [٢٤] ، كما أن ذلك العصر تطلّب من العلماء أن يبذلوا جهوداً جبارة لحفظ التراث العربي الإسلامي ، وتأليف الموسوعات بعد أن ضاع منه ما ضاع . . وكل ما تقدّم ذكره كان من البواعث الدافعة للسيوطي إلى الإكثار من التصنيف ، ولا يني السيوطي يحدثنا عن شهرة مؤلفاته وسيرورتها بين الناس وانتشارها في الآفاق بدءاً من سنة خمسٍ وسبعين وثمانمائة . . بل إنه عدّد أسماء أولئك الرجال الذي أخذوا كتبه من القاهرة إلى المغرب والحجاز والهند والتكرور وبلاد الروم وإستانبول ، كما تدخلت المنامات في التنبؤ بشهرته وانتشار علمه ، فقد حدّثه بعض أصحابه أنه رأى مناماً يتعلّق به « فقصّه على الشيخ الصالح محبّ الدين الفيومي الذي كان يعظ الناس بجامع عمرو ، فأوّله له وقال في تأويله : « ما يموت - أي السيوطي - حتى ينتشر علمه في الآفاق [٢٥] » . وكان السيوطي يصدّق ذلك ويؤمن به .

خصومات السيوطي

ومن أطرف ما عقده السيوطيّ في سيرته الذاتية ذكرُ أعدائه ، فإنه جعل من نعمة الله عليه أنه أقام له عدواً يؤذيه ، وابتلاه بأبي جهلٍ يغمصه كما كان للسلف مثل ذلك ، وقدّم لكلامه بالآية الكريمة ﴿ وكذلكَ جعلنا لكلّ نبّي عدواً شياطين الإنس والجن [٢٦] ﴾ وبالحديث الشريف : « أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الصالحون [٢٧] » وتحدث حديثاً مستفيضاً عمّا أوذي به أكابر الناس وعلماؤهم كعبد الله بن عبّاس وسعد بن أبيٍ وقّاص والإمام مالك بن أنس والإمام الشافعي . . . قدّمْ بذلك تمهيداً ليصل بالحديث إلى ما حصل له وكأنه ضمناً يضع نفسه في منزلتهم ، ويضع أعداءه - كما يسميهم - في منزلة السفلة . ولّما كان السيوطي غاضباً فقد ترك نفسه على سجيتها وأرخى الزّمام لقلمه ، فكان لنا نصّ انفعالي جميل يقلّ أن نجد مثاله في كتب جلال الدين .

---

(٢٣) انظر المرجع السابق ١٩٩ و ٢٠٣ و ٢٠٥ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٩ ومقدمة الدكتور فيليب حتي لنظم العقيان : ش .

(٢٤) المراجع المذكورة في الحاشية السابقة .

(٢٥) التحدث بنعمة الله ١٥٥ .

(٢٦) سورة الأنعام ٦/ ١١٣ .

(٢٧) التحدث بنعمة الله ١٦٠ نقلاً عن الحاكم في مستدركه .

والمسألة المختلف فيها شرعيّة تتعلق بالحلف بالطلاق على غلبة الظن ، وأفتى فيها السيوطي ، لكنّ أحد حسّاده ـ كما يقول ـ ردّ وشنّع رأيه ، فألف السيوطي مؤلفاً ردّ عليه ودوّن في مذكراته ما يلي :

« فانظروا بالله ما أكثر جهل هذا وقلة عقله ، ما لقي في ذلك المجلس مَنْ يأخذ نعلاً فيصفعه به ويقول له : تكلّم في شغلك ، انظر باب اللوق وربع فسوق أو دكان سوق ، ولكن ما زالت الكلاب تنبح إذا رأت الأسد ، والهرّ ينتفخ ويظنّ أنه يحاكي السبع ، والناموسة تظنّ أنها بخرطومها تضاهي الفيل ، وله عشراء وأعوان ، بعضهم يشاركه فيما هو مشهور عنه ، وبعضهم يخالطه في لعب الشطرنج ، وأشدّهم معاونة له جناحان : جناح أبيض يغلب عليه الحمق وسوء التدبير ، حتى الوليد ليمكنه أن يسجنه بشعره ، وهو مع ذلك يدّعي المعقول التام والمعرفة ، ويزعم أنه يقدر يدبّر المملكة فضلاً عمّا دونها ، وجناح أسود يغلب عليه المكر والخبث وسواد الباطن ، وهو مع ذلك دجّال كذّاب عامّي محض ، لو سئل عن مسألة الاستنجاء لم يحسن جوابها ، ويتشدق في الأسواق بأنه مفيد الطالبين : لو استفتيت عن كذا لأفتيت . وهو عبارة عن سوقي لا يدري قبيلاً من دبير [٢٨] » .

ويستطيع القارىء بيسر وسهولة أن يضع يده على ما يحتدم في نفس الشيخ من غيظ ، وما يجيش فيها من انفعال ، ولو كان عدوّ السيوطي ـ حسب تعبيره ـ عامياً ـ كما زعم ـ لما استحقّ منه كلّ هذا الانفعال ، ولما استأهل هذه الشتائم وما تبعها ، ولا شك في أنه كان على جانب ما من العلم ، يتيح له على نحوٍ ما أن يعارض الشيخ جلال الدين . ولكن الشيخ كان ضيّق الصدر بمعارضيه ومخالفيه ، لا يبخل عليهم بالعبارات القاسية والاتهامات الكبيرة ، والسخرية المرّة ، فمن ذلك أن ذلك الذي يسميه عدواً زعم أنّ ستين طالباً يجلسون في حلقته ، فقال الشيخ رادّاً عليه بأنه « لو أراد أن يجتمع عنده ستّون قطّاً لم يقدر على ذلك : فانظروا يا رجالي إلى هذا القليل الحياء ، ما كفاه أن يقول مثل ذلك على الدكاكين بين الدلالين حتى يقوله في مجلس قضاة المسلمين [٢٩] » .

---

(٢٨) التحدث بنعمة الله ١٦٦ .

(٢٩) المرجع السابق : ١٦٧ .

واستمـرأ السيوطي اللجاج في ذكر هذه الخصومة وما ترتب عليها من خصومات أخر ، وتخلل ذكر هذه الأمور ورودُ بعض ما قاله السيوطي من شعر ونثـر في ذمّ خصـومه ، فمن ذلك قوله : « شاهت الوجوه ، وخرس اللكع وفضّ فوه ، ولُعن إبليس وجنـوده وذووه ، لقد جئت وأجبتُ ، وما بؤت بل أصبت ، وغصّت اللجة فأوضحت البهجة وأقمت الحجّة ، وحررت النقل والـدليل ، وميزت الصحيح من العليل ، فعمـدت سوقـة موقـة إلى العناء مشوقة ، جهلت العلم وأضلّت الحلم ، لا مقدارها عرفت ، ولا أهل العلم أنصفت ، فلم يُفْهم الخطاب ، ولم يفهم الصواب ، فرامت توهين المعتمد بلا سنـد ، واستعانت بزيد وعمرو لما حوت من الغَمْر وخلت من الغَمْر . وقطعنا بسيف الحقّ رأسهم ، وأزهقنا بروح العلم أنفاسهم ، ومزقنا كل معتدٍ مجرم ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فما له من مكرم [٣٠] ﴾ .

وطـاب للسيوطي بعـد أن ذكـر ما شاء من خصـومـاتـه أن يرفـع علم التحدّي ، فذكر سبعة أسئلة وجهها إلى علماء عصره قال : فهذه سبعة أسئلة مَنْ أجاب عنها فهو من الرجال ، فلا مزيّة له على الأطفال [٣١] .

ويظن متابع سيرة السيوطي أنه بعد أن أفرغ ما في جعبته من الأسئلة التي عدّها مقياساً لسبر العلم في الرجال ، أن الرجل سيلتفت إلى أمورٍ أُخر من أمور الحياة السياسية أو العلمية أو الأسرية ، لكنّ السيوطي لا يلبث أن يعود إلى ذكر الخصومات . ويبدو لي أنّ أمرين اثنين كانا يستأثران على نحوٍ دائم باهتمـام السيوطي . أمّا الأول فهو الولع بالتأليف ، وهو ولع لا يصرفه عنه صارف ، ولا يشغله شاغل ، نما معه وترعرع منذ أول صباه ، وتَعوّده إلى أن واراه اللحد ، وأمّا الثاني فهو تلك الخصومات بينه وبين علماء عصره ، منها ما ذكره السيوطي ، ومنها ما ذكره عنه معاصروه ، وباب الخصومة هذا كان ذريعــة لعـددٍ من المؤلفـات ، فكتـابـه : « الأحـاديث الحسـان في لبس الطيلسان » أو ما ألّفه حول الطيلسان ، كان سببه خصومة جرّتها حادثة لبسه للطيلسـان ، وكذلك بعض كتبه الأخرى التي يفصح عنوانها عن مضمونها كالكرّ على عبد البرّ والكاوي لدماغ السخاوي . .

---

(٣٠) المرجع السابق : ١٧٢ ، ١٧٣ والآية .

(٣١) المرجع السابق : ١٧٣ .

كنت ذكرت أن السيوطي عاد في سيرته إلى ذكر خصوماته ، وهو لا يسمّي خصمه ، بل يطلق عليه اسم الجاهل ، وسبب الخصومة ههنا أن السيوطي أفتى في رمضان سنة ٨٨٦ هـ بهدم ربْع كان يجتمع فيه بعض الناس للفساد وشرب الخمر والزنا واللواط وضرب الآلات ، وكان خصمه مقيماً في ذلك الربع ، - والسيوطي لا يعلم بذلك كما زعم - واتسعت الخصومة بين مفتٍ بالهدم ومانع له ، وأورد كلّ فريق بعض الأحاديث التي تؤيد فتواه ، وذكر كلّ ما حضره من أقوال الأئمة ، ولم يبخل السيوطي على خصمه في أثناء ذلك بالشتم والتوبيخ . ثم كان أن تفرّقت جماعة الفسق والفساد لأن الأمير الذي كانوا يترقبون مجيئه إلى الربع ويستمدّون منه الدعم ، غادر مصر إلى طرابلس ، فتفرقت جماعة الفساد وخلا الربع من الفسق والفجور ، وأتبع ذلك السيوطي بكتاب سمّاه « رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين » أو« هدم الحاني على الباني » ونظم في ذلك شعراً منه :

ألا فاعجب لباني ربْع فسقٍ ... وأنواع الفساد لديه حِرْفَهْ
نهينا عن لواطٍ أو حشيشٍ ... فجهّل فيه فتوانا وسفّهْ (٣٢)

وفي هذه السنة أيضاً وقع السيوطي في خصومة من أجل فتوى الطلاق ، وتحدّث عن خصومة وقعت عام ثمانية وثمانين وثمانمائة بسبب فتوى في حديث القنوت ، وفحواها أنه سُئل عن قوله « وإليك نسعى ونحفد » هل هو بالدال المهملة أو بالذال المعجمة ، فكتب أنه بالدال المهملة ، فشنع عليه « الجاهل » وأتباعه زاعمين أنها بالذال المعجمة ، فقال « فانظروا بالله إلى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم ولا يحسنون التلفظ فيها ، ومع ذلك يعتمون بعمائم الفقهاء ، ويمدّون ألسنتهم للإنكار على أساطين العلماء » وكان ثمرة هذه الخصومة كتابة « إتحاف الوفد بنبأ سورة الحفد » (٣٣) .

---

(٣٢) المرجع السابق : ١٧٩ .
(٣٣) المرجع السابق : ١٨١ .

السيوطي والجوجري

وفي هذه السنة نفسها بدأت ثائرة الجوهري شمس الدين محمد بن عبد المنعم ، وهي خصومة طريفة جرّت في ذيلها عدداً من المؤلفات ، والجوجريّ هذا كان فقيهاً ، ولم يعترف له السيوطي بالبراعة إلا فى الفقه ، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وجاور هو والسيوطي بمكة المشرّفة عام تسعة وستين وثمانمائة ، وذكر السيوطي أنهما كانا يتحاوران في أصْناف العلوم ، فما جاراه الجوهري في شيء منها فضلاً عن أن يسبقه ، وعادا إلى القاهرة ، واستأثر الله برحمته شيخ الإسلام المناوي ، فتربّع تلميذه فخر الدين المقسي على كرسيّ شيخه المناوي ، ثم توفي المقسي « فشغرت القاهرة مّمن له جَلدٌ وصبر على غوغاء جماعة الطلبة والحفاة ، وعكف عليه جماعة الجامع الأزهر ، فكان يحضر درسه منهم سبعون نفساً أويزيدون ، وطار في القاهرة صيت الجوجري ، وانهلّت عليه الطلبة والمستفتون ، فأطلق قلمه بالإفتاء بالصواب وبغيره (٣٤) » .

ولا أريد أن أحمل موقف السيوطي وكلامه على محملِ الحسد ، لكنّ كلامه هذا وكلامه اللاحق يدلّ على أنه لم يكن راضياً عمّا وصل إليه الجوجري ، لأنه يرى أن علمه أوسع وأدّق مما لدى الجوجري ، لأن الجوجريّ - في رأيه - لم يبلغ مبلغ الإمامة ، قال « ولا أدفع الرجل عن معرفة ، ولا أنسبه إلى جهل ، ولكن الرجل ليس من المتكلمين الذين بلغوا مبلغ الإمامة ، وأكثر مايُسأل عن الوقائع المشهورات والمسائل الواضحات فيجيب فيها بالصواب ، ويُسأل عن أشياء غير منقولة ، أو النقل فيها عزيز ، فلا يستحضره ، ويجيب من تلقاء نفسه فيخطىء ، ثم يسفّه على مَنْ خالفه ممن أتقن المسألة وعرفها وينسبه إلى الخطأ والمجازفة وهو المخطىء المجازف (٣٥) » .

ويبدو أن الجوجري هذا كان وراء الفتاوي التي عورض بها السيوطي ، لأن هذا الأخير صرح بأن أول مسألة غمصه فيها الجوجري هي مسألة « الحنث في المضيّ » وذلك أنه - أي الجوجري - كتب تقريظاً لخصم السيوطي افتتحه بقوله : الحمد لله الذي رقّى شمس الدين رُتب الكمال ،

---

(٣٤) المرجع السابق : ١٨٥ .

(٣٥) المرجع السابق : ١٨٥ .

وجعل بدايته نهاية الجلال [٣٦] . . » وعدد السيوطي ست عشرة مسألة بينه وبين الجوجري ، ألف السيوطي في كلّ منها مؤلفاً مستقلاً ، منها مثلاً « الحبل الوثيق في نصرة الصِدّيق » و« درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي » و« بذل الهمّة في طلب براءة الذمّة » و« تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء » .

واستمرت الملاحاة والخصومة حتى شهر ربيع عام تسعة وثمانين وثمانمائة ، إذ قدِم وليّ الله الشيخ عبد القادر الطحطوحي وكان سبب الصلح . وكتب السيوطي بهذه المناسبة رسالته « النجح في الإجابة إلى طلب الصلح » بيّن فيها على نحو موجز ما حدث من واقعات بينه وبين الجوجري ، وذكر صبره الطويل وسكوته حتى عزّ السكوت ، وتوهم الناس عليه الغلط ، بسبب من سكوته وعفّة قلمه ، مما اضطره إلى ردّ العدوان ، وإلى أن يكيل للجوجري بالكيل الذي كال له فيه ، وقد استرسل في ذلك وانفعل استمع إليه يقول : « هل أباح الله له عرضي وحرّم عرضه ؟ ! هل رخص له أن يقترض من عرض أخيه ولا يوفي قرضه ؟ ! هل أباح للأسنّ أن يسفه وما يُسْفه عليه ، هل ملك بشهرته رقاب الناس فوجب الانقياد إليه ، أما علم أن الجهل في الكتاب والسنّة هو ضدّ حفظ اللسان والحِلْم ؟ ! أما بلغه قول سيدي عبدالله المنوفي لبعض الأشياخ وقد وقع منه ما يشبه ذلك : « أنت يا شيخ رجل عالم ولكن ما أدّبك العلم » [٣٧] .

ثم أبدى السيوطي انصياعه للصلح ، وختم رسالته بقوله « وقد انقضى هذا الأمر وطويَ بساطه أحسنَ طيّ ، وأديت فيه كل ما توجب أداؤه عليّ ، ووافق فيه اللسان القلب وكفى بالله عليما فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومَنْ أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً » [٣٨] .

وأرى أن السيوطيّ الأديب إنما يلتمس في مثل هذه الشذرات التي نقع عليها هنا وهناك في سيرته أو في ثنايا بعض كتبه أو رسائله ، وذلك لأنّ السيوطي يكاد يكون غائباً في معظم كتبه لغزارة ما يقدمه من نقول ثمينة أو غير ثمينة ، وقد اشتملت سيرته الذاتية ـ كما رأينا ـ على ألوان من هذه الفقرات

---

(٣٦) المرجع السابق : ١٨٦ .
(٣٧) المرجع السابق : ١٧٨ .
(٣٨) المرجع السابق : ٢٠١ والآية : « فمن نكث » من سورة الفتح ٤٨ / ١٠ .

التي تمثل السيوطي الأديب الغاضب المزهوّ بنفسه المدلّ بغزارة علمه ، المستهين بخصومه المنتقص لعلمهم الشاتم لهم بلسانه أو بما يتمثل به من أقوال غيره ، فمن ذلك مثلاً أنه تمثل في رسالته المشار إليها آنفاً للإمام ابن دقيق العيد قالها راداً على خصومه :

ذنبي إلى البهم الكوادن أنني غلّستُ في طلب العُلا وتصبّحوا
لو لم تكن لي في القلوب مهابة لم يكثروا في الطعنّ فيّ ويقدحوا
نظروا بعين عداوةٍ ولو آنها عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا[٣٩]

والسيوطي لايني ينعت خصومه بالجاهل والدّجال ، فمن ذلك رسالته « تحذير الرجال من الإصغاء إلى الدّجال » وما الدّجال ههنا إلا خصمه الذي حاول أن يثير العداوة ويحيي الشحناء بعد أن خمدت نيرانها وانقضت أسبابها . . .

وبعد هذه الخصومات وجد بياض في المخطوط الذي خطه السيوطي بيده ، ولعله كان ينوي الاسترسال في ذكر خصوماته ، وليته فعل ، إذن لعرفنا أسبابها من وجهة نظره على الأقلّ ، ولكان هذا أفضل من أن نقرأ عنها من خلال وجهة نظر غيره من معاصريه مما لن نعرض له هنا .

علوم السيوطي

وَحَرص السيوطي في سيرته أن يذكر أنواع العلوم التي أتقنها وبلغ فيها شأواً بعيداً ، وكان فعل ذلك في ترجمته الموجزة في « حسن المحاضرة » ، واتّسع في ذكر ذلك بالتفصيل في سيرته « التحدث بنعمة الله » فهو ينصّ في كلّ من الموضعين أنه رزق التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة [٤٠] « بحيث أن الذي وصلتُ إليه في هذه العلوم سوى الفقه ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والإنشاء والترسل » .

---

(٣٩) المرجع السابق : ٢٠٠ .

(٤٠) انظر حسن المحاضرة١ : ٣٢٩ وما بعدها والتحدث بنعمة الله ٢٠٣

ويعترف السيوطي بأنه لم يبلغ في الترسّل درجة الشهاب محمود ولا غيره من أئمة هذا الفن ، أما في الفرائض ، فإنه يذكر أنّ معرفته بها دون معرفته بما قبلها من الفنون ، غير أن هذا لا يعني أن غيره يعرف أكثر منه ، فهو يزعم أن معرفته بهذا الفنّ تفوق معرفة مَنْ في عصره جميعاً . . أما معرفته بالفنون السابقة « فهي كالبحر المحيط » ومعرفته بالفرائض « كالنيل بالنسبة إليه [٤١] » « ومعرفة [illegible] من أهل العصر بها كالخليج ، بل كجدول الساقية بالنسبة إلى النيل

وأبدى السيوطي برمه وضيقه بعلم الحساب ، فهو ثقيل على نفسه تضيق به أخلاقه ، وقد وقع على نَقْلٍ يسوّغ كراهيته لعلم الحساب ، فذكر عن إمام الحرمين أنه قال « لا يصبر على الحساب إلّا بليد » كما وقع على نقلٍ عن ابن تيمية يذكر فيه « أن الحساب من علوم الأوائل ، وأنه ما من شيء يستخرج بالحساب إلّا ويمكن استخراجه بطريق آخر عربية مغنية عنه [٤٢] » .

بلوغ رتبة الاجتهاد

ويحدثنا السيوطي عن بلوغه رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية ، ورتبة الاجتهاد المطلق في تلك الفنون الثلاثة ، كانت مجتمعة في الشيخ تقى الدين السبكي ، ولم تجتمع بعد السبكي في أحد ـ كما يقول ـ إلا لديه ، ثم يذكر أسماء عدد من المجتهدين السابقين ممن وصلوا إلى درجة الاجتهاد المطلق وهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأبو نصر بن الصباغ وإمام الحرمين والغزالي .

ويرى السيوطي أنه انفرد بالاجتهاد في العربية بعد الإمام جمال الدين بن هشام ، وأطنب في الحديث عن الاجتهاد في علم العربية وعلم الحديث والأحكام الشرعية . . ثم ذكر ما ألفه في كل فنّ من هذه الفنون .

وخصص السيوطي فصلاً منفرداً ذكر فيه المبعوثين على رأس كل مائة سنة ، بدأه بما رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة مَنْ

(٤١) التحدث بنعمة الله : ٢٠٤ .

(٤٢) المرجع السابق : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

يجدد لها دينها [٤٣] » وكانت هذه الفكرة أخذت على السيوطي مذاهبه ، فهو لم يكفّ يوماً عن التفكير بأنه مجدّد المائة التاسعة . وعدّد السيوطي الأئمة الذين بعثوا على رأس كل مائة : فعمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، والإمام الشافعي محمد بن إدريس على رأس المائة الثانية ، وابن سريج على رأس المائة الثالثة وأبو حامد الإسفرائيني أو سهل بن أبي سهل الصعلوكي على رأس المائة الرابعة ، وأبو حامد الغزالي على رأس المائة الخامسة ، والإمام فخر الدين الرازي على رأس المائة السادسة ، وابن دقيق العيد على رأس المائة السابعة ، وسراج الدين البلقيني أو ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلي أو زين الدين العراقي ، على رأس المائة الثامنة . . واختتم السيوطي كلامه بترديد أمنيته . « وقد ترجّى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكـونـه هو المجـدد على رأس المـائـة ومـا ذلـك على الله بعزيز [٤٤] . . » وكانت هذه الفكرة قد استولت على السيوطي كما ذكرنا حتى إنها لتعدّ حجر الأساس في فهم شخصيته وتفسير إدمان ه التأليف والإكثار منه .

ولمّا كان السيوطي قد ألحّ في غير ما موضع من كتبه على كونه مجتهداً مطلقاً ، فإنه كان لابّد له من أن يبرهّن على ذلك في سيرته الذاتية ، لذلك خصص فصـلاً ذكـر فيه اختياراتـه في الفقـه على سبيل الاختصار ، تاركاً للقارىء تتبع تفاصيلها في كتابه « حواشي الروضة » ، فمن اختياراته مثلاً أن الترتيب في الوضوء شرط لا ركن ، وقال : لم أر من سبقني إليه . . ومن ذلك أن الشَّعْر يطهر بالدباغ تبعاً للجلد . . وهو أحد القولين ، وصححه السبكي وغيره . ومن ذلك أن الجمعة تنعقد بأربعة أنفس أحدهم الإمام ، وهو القول القديم للشافعي واختاره المزني [٤٥] . . .

ويبدو أن السيوطي كان يريد أنْ يتُبع اختياراته في الفقه بذكر اختياراته في علم الحديث والأصول والنحو ، ولم يتح له ذلك بدليل أنه ترك صفحاتٍ بيضاء كثيرة على أمل أن يملأها . . وكان آخر ما ذكره « أن كل مجتهدٍ في الفروع مصيب ، وتفاوت المذاهب تفاوت راجحٍ وأرجح وفاضل وأفضل ،

---

(٤٣) المرجع السابق : ٢١٥ وخرّج السيوطي الحديث .

(٤٤) المرجع السابق : ٢٢٧ .

(٤٥) المرجع السابق : ٢٢٨ .

لا تفـاوت خطأ وصـواب ، فليس في الاجتهاد ما يحكم بخطئه إلا ما تبيّن مخالفته للنص الصريح أو الإجماع بحيث ينقض حكم الحاكم به . وأحسن عبارة رأيتها في هذا المعنى قول حجّة الإسلام الغزالي : « مقاصد الشرع قبلة المجتهدين ، مَنْ توجّه إلى جهة منها أصاب [٤٦] » .

ما قدمناه هو جملة ما ذكره السيوطي في سيرته الذاتية ، ثم توقف عند هذا الحـدّ ، فهـل ذكر السيوطي كل شيء عن حياته ، وهل كان أميناً في كل ما ذكره ؟ . أما أن السيوطي ذكر كل شيء فإن الجواب على وجه القطع أن لا ، فالسيوطي لم يذكر إلا سيرته العلميةَ وبعض خلافاته مع علماء عصره مما ارتبط به تأليف عدد من الكتب ، أمّا حياته الأسرية فلا نكاد نعرف عنها شيئـاً ، مَنْ أولاده ؟ ما أسماؤهم ؟ ما عددهم ؟ مَنْ زوجته ومتى تزوج ؟ ! ولولا قوله في بداية سيرته : « وكذلك غالب إخوتي وأولادي ماتوا شهداء ، ما بين مطعـون ونُفسـاء وصـاحب ذات الجنب [٤٧] . . . » فلولا قولـه هذا لمـا عرفنـا أن له إخوة وأولاداً ، فالسيوطي يقدم سيرته وكأنها حدثت في عالم المطلق ، ومع ذلك فإنه لم يسر بها إلى نهاياتها ، وكأنه أراد أن يقَدّم صورته التي يرضى عنهـا للأجيال اللاحقة ، فهو لم يذكر نزاعه مع المتصوفة في المـدرسة البيبرسية ، لأن هذه الخصومة تسيء إلى سمعة السيوطي وتشوّه صورته ، ولا يرضى عنه من يسمعها ، ولم يتحدث بشيء عن علاقاته مع السلطان قايتباي ، وكذلك لم يذكر قصة هربه من السلطان طومان باي . . وأهمّ من ذلك كله لم يذكر اعتزاله ـ الناسَ واعتكافه في منزله بروضة المقياس وتفرغه للتأليف . . وهذه الأمور التي تجاهلها السيوطي تؤكد صحة الملاحظة التي وردت في أول بحثنا ، وفحواها بأنه من محاذير السيرة الذاتية أن كاتبها يهملِ ما يريد إهماله ، ويذكر ما يحرص على ذكره . ولولا أن السيوطي كان علماً كبيراً من أعلام عصره ، واهتم معاصروه وخصومه بترجمته ، لما عرفنا تلك الجوانب الأخرى التي أهملها .

مـزاعم السـيوطي

إن مفتاح شخصية السيوطي كما تجلّى لنا من خلال سيرته بقلمه ، ومن خلال ما ورد في مؤلفات له أخر ، يكمن في اعتقاده بأنه المبعوث على رأس

(٤٦) المرجع السابق : ٢٣٤ .
(٤٧) المرجع السابق : ١٠ .

المائة التاسعة ليجدد للناس أمر دينهم [٤٨] . وانطلاقاً من هذا الاعتقاد يمكننا أن نفسّر حرصه على ادّعاء الاجتهاد في كل موضع يتيح له ذلك ، كما يمكننا أن نفسر حرصه العجيب على الإكثار من التصنيف ، وكأنّ أمر تجديد الدين مرتبط بتلك الكمية الهائلة من المؤلفات .

وانطلاقاً من هذا الاعتقاد نفسه أيضاً نفسّر حرصه على ادّعاء الأولوية والسبق في عدد من فنون العلم ، بل إنّ بعض ادّعاءاته تبدو عجيبة وتدفع إلى التساؤل : كيف يجيز عالم لنفسه أن يدّعي مثل هذا ؟ ونضرب مثلاً واحداً على ما نشير إليه ، فقد زعم في مقدمة كتابه « الاقتراح في أصول النحو » أن هذا الكتاب لم تسمح قريحة بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم يسبقه أحد إلى ترتيبه [٤٩] » وأصحاب العربية الراسخون من عصر السيوطي إلى يومنا هذا يعلمون أنّ أوّل من صنّف تصنيفاً مرتباً في أصول النحو على نمط أصول الفقه هو أبو البركات كمال الدين بن الأنباري وسمّاه « لمع الأدلّة في أصول النحو » ، ولم يكن ذلك بعيداً عن علم السيوطي لأنه نقل نقلاً حرفياً في كتابه « الاقتراح » ثمانية عشر فصلاً بتمامها من كتاب « لمع الأدلة » ، أعقبها بنقول من كتاب « الخصائص » لابن جني . . ثم تُفتش عن السيوطي في « الاقتراح » أين هو؟ وأين ما ادّعاه ؟ فلا تجد له إلا المقدمة فقط ، مع العلم أنه وضع هذا الكتاب في القسم الأول من كتبه ، وهو القسم الذي ادّعى فيه التفرد ، وأن كتبه في هذا القسم لم يؤلف لها نظير . . لذلك فإننا لا نكون مغالين عندما نزعم أن بعض كتب السيوطي الهامة ، يغدو تاريخيَّ القيمة علمياً إذا نشرت الأصول التي نقل عنها ، لكن هذا الحكم لا يصدق على كتبه كلها ، فأصول كتاب الأشباه والنظائر النحوية مثلاً لا تغني عن كتاب الأشباه ، لأن المهم في مثل هذا الكتاب ليس المعلومات بحدّ ذاتها ، وإنما تنسيق الكتاب واختيار نصوصه واستخراجها من أمهاتها . .

وادعاءات السيوطي مكررة في كتبه كما هي مسطورة في سيرته ، فقد أعلن عن كونه مجتهد العصر في غير ما موضع ، ولعل هذا الادّعاء هو الذي أثار عليه بعض علماء عصره ، وكان السبب في إثارة بعض الخصومات التي تعرض لها .

(٤٨) انظر الحاشية رقم ٢٣ .

(٤٩) الاقتراح في أصول النحو ٢١ .

والإمام السيوطي وإن أحبّ أن يوحي إلى قارىء سيرته بأنه يؤثر التواضع على الكبر ، وأن هدفه دائماً هو إحقاق الحق ، إلا أن أخباره في كتب مترجميه لا تدلّ على ذلك ، إن لم تدل على نقيضه ، فقد كان السيوطي يغض من شيخ الإسلام شهاب الدين القسطلاني ، ويزعم أنه يغير على كتبه وينقل عنها ولا يشير إلى ذلك ، وزعم أن القسطلاني سرق كتابه « الخصائص الكبرى » . . الخ .

ولم يسلك الإمام القسطلاني طريقة السيوطي في الطعن والتجريح ، وإنما قصد إليه حافياً مكشوف الرأس من القاهرة إلى منزله في روضة المقياس على النيل ودّق الباب ، فقال له الجلال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ . فقال له : « قد طاب خاطري عليك » ولم يفتح له [٥٠] . وهذه الحادثة تدلّ على خلق جافٍ يخالطه كبر وترفع في غير موضعه

رحلات السيوطي

ونعود الآن إلى أمر أشرنا إليه في مطلع بحثنا ، وهو أمر رحلات السيوطي المزعومة ، وهي رحلات لا يتحمل السيوطي وزر خبرها ولا الذين ترجموا له من معاصريه ، وإنما يتحمل وزره نفر من معاصرينا الذين ترجموا للسيوطي وهم كثر [٥١] . وكنت في عام ١٩٧٩ م قبل اطلاعي على سيرته « التحدث بنعمة الله » قد نفيت رحلته إلى الشام والمغرب والهند والتكرور بناء على ما يلي :

- إن مترجميه من معاصريه وتلامذته لم يذكروا شيئاً من ذلك ، وليست الرحلة إلى الهند مما يمكن إغفاله .

- المؤرخون والمحققون من المعاصرين الذين ترجموا للسيوطي وذكروا له هذه الرحلات اعتمدوا على النص التالي المذكور في حسن المحاضرة :

« وشرعت في التصنيف سنة ست وستين ، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن

---

(٥٠) انظر مقدمة التحقيق لكتاب الإشارات لفنون القراءات ١ : ١٣ .

(٥١) انظر على سبيل المثال ماكتب عن السيوطي في كتاب « جلال الدين السيوطي » ومقدمات محققي كتبه كالمزهر ومعترك الأقران والإتقان وغيرها كثير .

ثلاثمائة كتاب ، سوى ما غسلته ورجعت عنه ، وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور [٥٢] . . » .

وقد قرأ محقق حسن المحاضرة وتابعه على ذلك من تابعه ، كلمة « سافرتُ » بضم التاء ، وصواب قراءتها : « وسافرتْ » بتاء التأنيث الساكنة ، أو وصارت ، وفاعل السفر أو الصيرورة أو السيرورة ضمير مستتر عائد على مؤلفات السيوطي لا على السيوطي . وأيدت ما ذهبت إليه بنصّ آخر للسيوطي يشبه هذا النص ، قال وهو يتحدث عن انتشار مؤلفاته « وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور » فالسفر والانتقال إنما هو لكتبه وليس له .

وقد بنيت ما ذهبت إليه أيضاً على الحساب التالي :

كانت رحلة السيوطي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام تسعةٍ وستين وثمانمائة للهجرة ، وكان بدء عمله بالمدرسة الشيخونية في مستهل عام اثنين وسبعين وثمانمائة ، ولم يخرج من مصر بعد ذلك إلا في رواية للسخاوي ذكر له رحلة ثانية إلى الحجاز فقط . . فهل زار السيوطي مشارق الأرض ومغاربها في أقل من سنتين ؟!

وذكر الدكتور عصام الدين رؤوف من المعاصرين في بحث له عن السيوطي خبر تلك الرحلات الواسعة [٥٣] ، وذكر أن مرجعه في هذه الأخبار كتاب الضوء اللامع للسخاوي ، وقد رجعنا إلى الضوء اللامع [٥٤] ، فوجدناه يذكر أن السيوطي رحل إلى الفيوم ودمياط والمحلة ونحوها ، ثم عبر البحر مسافراً إلى مكة . . هذا كل ما ذكره .

ومما رجح لديّ أيضاً أن السيوطي لم يقم بتلك الرحلات البعيدة أن الرجل كان مولعاً بالتصنيف ، فلو أنه سافر وطوّف في تلك الآفاق لكتب عنها كما كتب عن رحلته إلى الفيوم ودمياط والحجاز . .

---

(٥٢) حسن المحاضرة : ١ : ٣٢٩ ومابعدها .

(٥٣) جلال الدين السيوطي : ١٠٦ .

(٥٤) الضوء اللامع : ٤ : ٦٦ .

وأهمّ من ذلك كله أن سيرته الذاتية التي خطّها بقلمه ، وهي الآن بين أيدينا وفيها فهرس مؤلفاته ، ومنها مؤلفاته في الرحلات ، ليس فيها ما ذهب إليه المعاصرون .

إن القضية كلها كما ذكرنا ليست أكثر من غلط في قراءة كلمة ، واستمرّت عقابيل هذا الغلط حتى يومنا هذا .

وبعد فإن كتاب التحدث بنعمة الله ، يعدّ سيرة ذاتية هامة لكل من يتصدى لدراسة شخصية الإمام جلال الدين السيوطي ، لأن السيرة تفصح عن نفسه ودخائلها ، ولأن دارس السيرة لا يقرأ السطور فقط ، وإنما يقرأ ما وراءها ، فيجد متسعاً من القول ، أبواباً للتأكيد وأبواباً للشك ، وهذا يمنح السيرة بُعداً هاماً وأهمية خاصة ، ولا سيما أن سيرة الإمام السيوطي كتبت من قبل غيره أيضاً ، فتلاميذه دوّنوا سيرته ، وخصومه دوّنوا سيرته ، مما يجعل باب المقارنة مفتوحاً على مصراعيه أمام الباحثين .

وهناك نقطة هامة تجدر الإشارة إليها وهي أن هدف السيوطي في سيرته ليس التحدث بنعمة الله فحسب ، وإنما كان له هدف أخلاقي فحواه أنه يقصّ سيرته العلمية هذه ليكون قدوة ، وهذا الهدف الأخلاقي يحتّم على كاتب السيرة أن يحذف الكثير مما تتطلب أخلاق القدوة حذفه . وهذا وإن كان يسيء حسب مفهوماتنا المعاصرة إلى السيرة الذاتية ، لكن هذا الأمر كان هاماً في نظر نفر من علمائنا القدامى الذين لم يفصلوا بين الهدف الأخلاقي وبين تدوين السيرة .

وختاماً فإنه يمكننا في نهاية بحثنا هذا أن نزعم أن السيوطي بكتابه هذا يستحق أن يُذكر جنباً إلى جنب مع علمائنا المعدودين من كُتّاب السيرة الذاتية .

* * *

المراجـع

- الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج ١ تحقيق عبد الإله نبهان . (أطروحة ماجستير محفوظة في جامعة دمشق ١٩٨٠) .
- الاقتراح في أصول النحو ، للسيوطي . تحقيق د . أحمد محمد قاسم . القاهرة ١٩٧٦ .
- بهجـة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ، لعبد القادر الشاذلي (مصورة عن مخطوطة جستر بيتي) .
- التحدث بنعمة الله ، للسيوطي ، تحقيق اليزابيث ماري سارتين ـ القاهرة ١٩٧٢ .
- الترجمة الشخصية . د . شوقي ضيف . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٦ .
- جلال الدين السيوطي . مجموعة من الباحثين ـ القاهرة ١٩٧٨ .
- حسن المحاضرة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٦٧ .
- الضوء اللامع ، للسخاوي . منشورات مكتبة الحياة ـ لبنان .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . القاهرة ١٣٠٠ هـ .
- فن السيرة . د . إحسان عباس . دار الثقافة ـ بيروت . بلا تاريخ .
- نظم العقيان في أعيان الأعيان ، للسيوطي ، تحقيق د . فليب حتى . نيويورك ١٩٢٧ .

- A dictionary of literary Terms. g.A Cuddon. PENGUIN BOOK.
- Galal al din al Suyuti. E.M.SARTAIN CAMBRIDG UNIVERSITY PRESS 1975.

* * *

الفكر السياسي والأخلاقي عند العامري
دراسة في « السعادة والإسعاد . . . . »

د. أحمد عبد الحليم عطية (*)

ظل أبو الحسن محمد بن يوسف العامري المتوفى ٣٨١ هـ إلى ماقبل ثلث قرن أو يزيد مجهولاً أو يكاد ، ليس في الدراسات الاستشراقية فحسب ، وإنما لدى الباحثين العرب والمسلمين أيضاً .

ولم تتضح صورته إلا بفضل العديد من الدراسات التي أخذت تتوالى ، وإن لم توفه حقه .

هذه الدراسة تتناول الفكر الأخلاقي والسياسي عند العامري ، كما يتضح من كتابه : « السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية » .

وتكشف الصور المتعددة التي عرفت له عند الفلاسفة والكتاب والمؤرخين والأدباء والباحثين العصريين ، كما تكشف مصادر ثقافته وأساتذته ومعاصريه وكتاباته وإسهاماته .

وتعرض لـ « السعادة والإسعاد . . . . » والقضايا التي أثارها .

« المجلة »

(*) أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، متخصص في فلسفة القيم والأخلاق . له عدة كتب : الديكارتية في الفكر العربي ، الأصول الاستشراقية في فلسفة د. عبد الرحمن بدوى ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب .

ظل أبو الحسن العامري مجهولاً إلى فترة قريبة [١] . وتبدأ الدراسات الحديثة بتقديم محمد كرد علي لمخطوط كتاب « السعادة والإسعاد . . . » مع عرض تفصيلي لموضوعاته ١٩٢٩ [٢] وكان باول كراوس p. kraus أول من أشار إلى أهمية المؤلف حين اكتشف رسالة « الإبصار والمبصر » وكتب عنها بمجلة المشرق ١٩٣٧ [٣]

ثم يحلل آربري Arberry كتاب « السعادة والإسعاد . . » تحليلاً دقيقاً موضحاً أنه يرجع إلى القرن الرابع الهجري ، وينسبه للعامري [٤]

ويساهم مجتبى مينوفى M. Minovi بعدد من الأبحاث أولها دراسة ببليوجرافية دقيقة في العدد الثالث من مجلة كلية الآداب بطهران [٥] ثم نشر مخطوط « السعادة والإسعاد » مع مقدمة هامة بالفارسية والفرنسية ، فيها كثير من الوقائع حول الكتاب والمؤلف وحياته وتلاميذه تصحح أخطاء بعض الباحثين [٦] ، كما يتولى مينوفى مرة ثالثة تقديم دراسة وتحقيق اورث ك . روسن k. rowson لكتاب العامرى « الأمد على الأبد » .

---

(١) ذكر هنري كوربان في « تاريخ الفلسفة الإسلامية » أن العامري « لم يعرف حق المعرفة في الغرب حتى الآن » منشورات عويدات بيروت ١٩٦٦ ص ٢٥٢ بل إن محمد كرد علي في عرضه لمخطوط « السعادة والاسعاد . . » بمجلة المجمع العلمى العربي بدمشق لم يعرف من هو مؤلف الكتاب (ص ٥٦٦) : « ويوحي الكتاب أنه لمؤلف يوناني من أتباع اليونان في مذهبه » . (المجلد التاسع ، ص ٥٦٣ ـ ٥٧٢) .

(٢) قدم محمد كرد علي هذه الدراسة سنة ١٩٢٩ ، وهى تعد من أولى محاولات التعريف بمحتوى الكتاب ، الذي عرف ـ ربما ـ قبل أن يعرف صاحبه . ولايقلل من أهمية هذه الدراسة بعض الملاحظات النقدية على قراءة كرد علي لبعض كلمات المخطوط من جهة وماترتب على ذلك من أخطاء ، فقد قرأ فرفريوس على أنها « غر يغوريس » وتناوله على أنه أبو الفرج بن اهرون ، ابن العبري (ص ٥٦٣) . وعليه قدم المؤلف على أنه معاصر لنجم الدين الكاتبي وأن الكتاب ألف في أواخر القرن السابع أو الثامن الهجرى . والحقيقة أنه ألف في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

(٣) باول كرواس : مجلة المشرق ١٩٣٧ .

(4) F.Rosenthal: state and Relicyion According to Alri L-HASAN AL-AMIRI ,The Islamic Quarterly Vol, III N.j, 1956 PP 42-52.

(٥) مجتبى مينوفى : الجزء الثاني من « الخزائن التركية » العدد الثالث السنة الرابعة . ص ٥٩ ـ ٨٣ ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة طهران .

(٦) مينوفى : مقدمة مصورة « السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية » .

وتكثر الدراسات حول العامري وتتعدد التحقيقات لكتبه فيقدم أحمد عبد الحميد غراب أكثر من دراسة ، كما يقدم تحقيقاً لكتاب « الإعلام بمناقب الإسلام » في علم الكلام يعرض فيه للرجل وحياته وأهميته ومؤلفاته ، وكتاب الإعلام وفصوله وموضوعاته (٧) .

ويخصص دراسة ثانية لتناول « العامري والثقافة الإسلامية » (٩) ويعرض لكتاب « السعادة والإسعاد ، ومفهوم الأخلاق عند العامري فى محاضراته (١٠) ويأتي بعد ذلك تحقيق اورث ك . روسن Rawson لـ « الأمد على الأبد » مع دراسة بالإنجليزية والفارسية يبين فيها أهمية العامرى ويتحدث عن حياته ومؤلفاته ، ويناقش قضية العامري والفلسفة ، مع بيان لمحتويات الكتاب الذي يحلل موضوع المعاد تحليلاً فلسفياً ، رغم كونه أحد موضوعات علم الكلام (١١) .

ويشير إليه هنرى كوربان فى فصل قصير في تاريخ الفلسفة الإسلامية » باعتباره وجهاً بارزاً بين الفارابي وابن سينا وان ماوصلنا من كتاباته يشهد على فلسفة لاتخلو من الأصالة (١٢) ، وإن كان يرجع ذلك إلى تأثيرات فارسية خاصة فيما يتعلق بفلسفته السياسية (١٣) .

---

(٧) مينوفى : مقدمة تحقيق أورث ك . روسن لكتاب العامري « الأمد على الأبد » : دار الكندي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(٨) د . أحمد عبد الحميد غراب : مقدمة تحقيق الإعلام بمناقب الإسلام ، دار الكاتب المصري ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٩) د. أحمد عبد الحميد غراب : العامري والثقافة الإسلامية ، مجلة « المجلة » عدد يونية ـ ١٩٦٧ .

(١٠) د . أحمد عبد الحميد غراب : محاضرات في علم الأخلاق . لطلاب كلية دار العلوم طبع استنسل ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .

(١١) اورث ك . روسن : مقدمة تحقيق « الأمد على الأبد » ، دار الكندي بيروت ٧٩ .

(١٢) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة نصير مروة ، حسن قبيسى . منشورات عويدات ـ بيروت ص ٢٥٢ .

(١٣) الموضع السابق .

ويواصل سحبان خليفات البحث والتحقيق فى فلسفة العامري ، وتوجيه طلابه إلى كثير من جوانب إنتاج هذا الفيلسوف ، ففي وقت يكاد يكون متقارباً أنجز محمد أحمد عواد بإشرافه رسالة عن « فلسفة الأخلاق عند أبي الحسن العامري » (١٤) يتناول فيها فى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة : حياة العامري ، ومؤلفاته خاصة « السعادة والإسعاد » ومصادر المعرفة الخلقية عنده (مشكلة النفس ونظرية المعرفة) . ويدور الباب الثالث حول فلسفة الفعل الأخلاقي : ماهيه الفعل ، أقسام الفعل ، السببية فى الأخلاق ، غائية الفعل الخلقى ، الاستطاعة ، الارادة ، والحرية . ويعرض في الباب الرابع نظرية الفضيلة والسعادة والإسعاد حيث يتناول ارتباط السعادة بقوى النفس ، أقسام السعادة ، أسباب الشقاء ، السعادة العقلية ، الفضيلة وأخيراً السعادة بوصفها غاية فلسفية . ويخصص الباب الخامس للتربية الخلقية والسادس للأخلاق والسياسة موضحاً العلاقة بينهما ، طريقة الإسعاد ، صفات الحاكم ، كيفية الإسعاد ، أنواع السياسات ، أقسام الرئاسات . ويحدثنا فى الباب السابع عن مصادر العامري الفلسفية : الفلاسفة العرب واليونان وأصحاب الفلسفة الرواقية والأفلاطونية المحدثة ، ثم المصادر الفلسفية : ويدور الفصل الثامن بفصليه حول أثر العامري : الأول : أثره في تلاميذه والثاني فى الفلاسفة اللاحقين له .

وفى نفس الوقت أصدر سحبان خليفات كتابه الهام « رسائل أبي الحسن العامري وشذراته الفلسفية » دراسة ونصوص ١٩٨٨ (١٥) ، يتناول فيه آراء العامري فى الميتافيزيقا والأخلاق والتصوف والمنطق والطبيعة ويقدم لنا مؤلفاته التى تبين - من وجهه نظره - أن العامري كان واحداً من أبرز فلاسفة الأفلاطونية المحدثة فى الإسلام . وقد حرص على عرض الاتجاهات الكلامية والفلسفية والشخصيات الهامة التى يمكن أن يكون العامري قد عرفها وتأثر بها . وقد وفق إلى إثبات صحة نسبة كتاب « السعادة والإسعاد » إليه ، وكشف عن تفاصيل جديدة فى حياته ، كما كشف عن اتصاله برجال العلم فى عصره .

---

(١٤) محمد أحمد عواد : فلسفة الأخلاق عند أبي الحسن العامري ، رسالة ماجستير ، إشراف د . سحبان خليفات ، الجامعة الأردنية ، عمان ١٩٨٩ .

(١٥) د . سحبان خليفات : رسائل أبى الحسن العامري وشذراته الفلسفية : دراسة ونصوص ، الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٨٨ .

وتشمل الدراسة محاولة لاستقصاء مؤلفات العامري وتحليلاً لكتابه « السعادة والإسعاد » . « وبياناً بالمصادر اليونانية التى استفاد منها كما بين المصادر العربية والإسلامية مشيراً إلى العناصر الأفلاطونية المحدثة في كتابات العامري » .[١٦]

وتتضح أهمية العامري ومكانته فى الفكر الإسلامي من كتابات معاصريه ؛ التوحيدي ومسكويه وصاحب « مختصر صوان الحكمة » ، كما تتضح من كونه يمثل جزءاً هاماً من الكتابات الأساسية التي اهتمت بتدوين صورة عامة للفكر العربي الإسلامي مثل : « طبقات الأمم » لصاعد الأندلسي[١٧] « وتاريخ الحكماء » المسمى « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » للشهر زوري حيث نقلا كثيراً من كتاباته[١٨] .

العامري إذن من أعلام عصره كما يخبرنا التوحيدي الذي نقل عنه في : « المقابسات » وفي « الإمتاع والمؤانسة » ، وفي أخلاق الوزيرين يشير إليه على أنه واحد من أصحاب ذوي القيمة العليا والمكانة الهامة : « هذا الرجل الخطير عندنا الكبير في أنفسنا »[١٩] .

---

(١٦) د . سحبان خليفات : العناصر الأفلاطونية المحدثة فى كتابات العامري ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، المجلد (١٥) ، العدد ٣ ص ٢٨ ـ ٦٠ .

(١٧) اعتمد صاعد الأندلسي في كثير من مواضع كتابه « طبقات الأمم » على كتابات العامري . ويتضح ذلك من مقارنة صفحات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٢ بأصلها في « الأمد على الأبد » الصفحات من ٧١ حتى ٧٤ .

(١٨) يذكر محقق « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » أن صاحبه الشهر زوري نقل عن مصادر متعددة أولها « الأمد على الأبد » للعامري ، ونقل عنه في ص ٤٥ ، ٤٧ وذكر ترجمته ص ٣٦٦ ، وأشار إليه ص ٢٢ ، ٢٣ . وراجع الشهر زوري : « تاريخ الحكماء ، نزهه الأرواح وروضة الأفراح » تحقيق د . عبد الكريم أبو شويرب ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٨٨ ، ومحمد بهجت الأثرى محقق مقدمة « نزهه الأرواح وروضه الأفراح ص ٤٤ الذى يشير إلى اعتماد الشهرزوري على لعامرى ١٥١ ـ ١٥٤ .

(١٩) التوحيدي : أخلاق الوزيرين ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ص ٤١٠ .

والحقيقة أن التوحيدي يعد مدخلاً هاماً لدراسة العامري ، فمن يدرسونه يرجعـون إلى المقـابسات باعتبارها مصدراً هاماً لبيان آراء الرجل ، كما فعل أركون في بحثه عن العامري (٢٠) .

ويوضـح لنـا عبد الأمير الأعسم العلاقة بين التوحيدي والعامري فالأول ينقل عن الثاني ويرتاد بجلسه ، ويروي كلامه ، ويعلق عليه ، ويقتبس من كتبه (٢١) وهو من تلاميذه ، سمع منه فسائل في الأخلاق والفلسفة الإلهية ، كما أنه فى نظره منطقى فيلسوف ومن أكابر المعنيين بعلوم الأوائل (٢٢) .

وتوضح الاقتباسات الكثيرة التي نجدها في الإمتاع والمؤانسة وفي المقابسات ماأخذه التوحيدي عنه ، خاصة من كتابه « النسك العقلي » ، فهو ينقل لنا فى المقـابسة (٩٠) : « حكم فلسفية من كلام أبي الحسن العامري » يقول : « هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام العامري ، وعلّقت وسمعت أكثرها منه ، وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم « بالنسك العقلي » (٢٣) .

---

(20) M.ARKouN, LA COnquête du BOMHEUR SEIon ABÛ-L-HASAN-Al-AMiRi, in studia Islamica Paris, XXII, 1965 PP55-89

(٢١) د . عبـد الأمـير الأعسـم : أبو حيان التوحيدي في كتابه « المقابسات » دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٦ .

(٢٢) يوضـح عبد الرزاق محيى الدين ذلك في دراسته « أبو حيان التوحيدى سيرته وآثاره » (بيروت ١٩٧٩) بقوله « تتلمذ التوحيدي على العامرى في التصوف والأخلاق ، ص ٣٤٣ ، فقد سمع منه في مسائل الأخلاق والفلسفة الإلهية ص ١٧٣ .

(٢٣) أبو حيان التوحيدي : المقابسات ، نشرة السندوبي ، القاهرة ١٩٢٩ ، ينقل التوحيدي في المقـابسـة (٢٠) حوار العامرى مع مانى المجوس ، ص ١٦٥ ـ ١٦٨ . وهو الموضوع الذي خصص له العامري كتاب « الأمد على الأبد » ، ويعرض فى المقابسة (٤١) لأهمية العقل ويعلي من شأنه ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . ويخصص المقابسة (٩٠) لحكم فلسفية من كلام أبي الحسن العامري ص ٣٠١ ـ ٣٠٥ . وفي « الإمتاع والمؤانسة » يتحدث عن تلميذ العامري « أبو القاسم الكاتب » : جـ١ ص ٣٥ ، وأنـه قطن الـري ودرس وعلم ص ٣٦ ويذكـر فى بداية الليلة السـادسة عشرة كتاب العامري : إنقاذ البشر من الجبر والقدر وأنه ـ أي التوحيدى ـ سمع أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ويصفه بأنه كتاب نفيس ، وطريقة الرجل قوية ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ . وينصفه التوحيدي فى الليلة الثانية والعشرين حين يسأل الوزير عنه جـ ٢ ص ٨٤ . وبعد أن أورد التوحيدي بعض كلامه طلب الوزير الاستزادة ص ٨٥ . انظر حديثه عنه ص ٨٥ ـ ٨٨ . ويوضح اهتمامه بالتصوف ، جـ ٣ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

ونجد هذه الاقتباسات نفسها في كتاب « الحكمة الخالدة » لمسكويه [٢٤] الذي تتلمذ عليه ، وإن لم يكن مؤهلاً لكي يستفيد منه ، فهو « فقير بين أغنياء وعييٌّ بين أبيناء ، لأنه شاذ » ، أعطاه التوحيدي كتابات العامري فلم يستفد منها . لقد قطن العامرى الري خمس سنين جمعة ودرس وأملى وصنف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه بينه وبينه سَدّ » [٢٥]. ومن يرجع إلى الحكمة الخالدة يجد مسكويه يخصص فصلاً طويلاً لـ « وصايا العامري وآدابه » ، ويؤكد عبد العزيز عزت فى دراسته عن « مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها » ـ رغم اضطرابه فى بيان ذلك ـ تتلمذ مسكويه على العامري [٢٦] فهو إذن من أعلام عصره ، وقد وضعه الشهرستاني إلى جوار كبار فلاسفه الإسلام : الكندي والفارابي وابن سينا [٢٧] فهو كان كما يوضح كوربان « وجهاً بارزاً بين الفارابي وابن سينا » [٢٨] فقد اقتبس عنه صاحب « منتخب صوان الحكمة » والشهر زوري فى « نزهة الأرواح » وأبو المعالي فى « بيان الأديان » وصاعد في « طبقات الأمم » والكلاباذي فى « التعرف لمذاهب أهل التصوف » [٢٩] .

---

(٢٤) مسكويه : « الحكمة الخالدة » تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة « وصايا العامري وآدابه ص ٣٤٧ ـ ٣٧٦ ، حيث ينقل لنا الفصل الأول من « الأمد على الأبد » ص ٣٤٧ ومابعدها وينقل من نهاية كتابه « النسك العقلي » . قارن ماجاء في الحكمة الخالدة (ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩) مع المقابسة (٩٠) ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

(٢٥) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٣٦ .

(٢٦) يبين عبد العزيز عزت فى دارسته عن مسكويه تميزه فلم يأخذ عن أستاذ معين (ص ٨٧ ، ص ١١١) . ثم يعود ويذكر من أخذ عنهم مسكويه في الفلسفة وتأثر بهم لكنه لم يذكرهم ومنهم العامرى ص ٧ ويضيف عزت : إن العامرى كان من مصادر مسكويه لاهتمامه به ، على العكس من قول التوحيدي ، فمسكويه في واقع الأمر فعل عكس ذلك مما يدل على تحامل أبى حيان عليه ـ راجع عزت ص ٩٩ ـ ١٣٣ .

(٢٧) الشهر ستاني : الملل والنحل ، وقد ذكره بين فلاسفة الإسلام السابقين على ابن سينا ـ الملل والنحل ، تحقيق الكيلانى جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٢٨) هنرى كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية ، الفصل الخامس ص ٢٥٢ .

(٢٩) الكلاباذي : التعرف لمذاهب أهل التصوف ، نشرة محمود أمين النواوي ط ، ١٩٨٠ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ص ١٠٦ .

أولاً ـ صور العامري :

وتوضح لنا هذه الاستشهادات ، كما توضح لنا الدراسات الحديثة صوراً متعددة للعامري ، إذ تتناول الجوانب المختلفة لشخصيته وثقافته ، إلا أن كل دراسة تؤكد جانباً واحداً من جوانب هذه الشخصية الخصبة ، فالبعض يرى فيه فيلسوفاً أرسطياً أو أفلاطونياً أو جامعاً بينهما ، والبعض الآخر يرى العناصر الأفلاطونية المحدثة في كتاباته ، وتقول العديد من الدراسات بفارسيته والبعض الآخر يجتهد في بيان عروبته ، بينما يهدف آخرون إلى تأكيد التوجه الإسلامي لكتاباته ، وإن كان هناك اختلاف فى فهم نوعية هذا التوجه .

وفى مقابل هذه الصور المتعددة التى تقدمها لنا الدراسات السابقة والتى سوف نشير إليها الآن فإن هدف هذه الدراسة ليس تحديد معالم هذه الصور فقط بل البحث فى مكوناتها الأساسيّة والأسس التى تقوم عليها وحقيقة جهد العامري : أهو جمع وشرح وعرض لكتابات السابقين فحسب أم أن هناك خيطاً أساسياً يحكم توجهه ، هل هو شارح لليونان أم معبر عن ثقافة جديدة مغايرة ، أهو فيلسوف أم صوفي أم متكلم .

ويستلزم تحديد ذلك كله العودة إلى مؤلفاته لبيان أهم سمات تفكيره بعد بيان الصورر المتعددة والتفسيرات المختلفة التى قدمت للعامري والتى اكتفت كل منها ببيان أحد الجوانب في تفكير الرجل .

(أ) الصورة الأرسطية :

تتضح هذه الصورة الأرسطية لدى معظم الباحثين والكتاب الذين درسوا العامري . وتتضح أول ماتتضح لدى التوحيدي الذى يؤكد تبحره فى الفلسفة اليونانية ، وأنه كان منكباً على كتب أرسطو ، وله على بعضها شروح ، وأنه « قد شرح كتب أرسطو وشاخ فيها » . وعلى الرغم من ان المدرسة الفلسفية التى كان يغشاها التوحيدي كانت ترفض بعض آراء أرسطو ـ كما يخبرنا روزنتال ـ خاصة ماجاء فى كتابه عن « السماء » على اعتبار أنه خطأ ووهم فإن العامري كان يقبل آراء أرسطو ، وكان يلام على هذا (٣٠) .

---

(٣٠) روزنتال : مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي . ترجمة أنيس فريحة ، الدار القومية للكتاب ـ بيروت ط ٤ ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٨ .

ويوضح بدوي فى نشرته وتحقيقه للترجمة العربية القديمة لكتاب « الأخلاق الى نيقوماخوس » نقول العامري عنه ، ويستشهد بفقرات من « السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية » منقولة عن « نيقوماخيا » ، ويبين موضعها فى النص اليوناني للكتاب وفى الترجمة العربية التي ينشرها .

ويؤكد بدوي أن « السعادة والإسعاد » فيه « نقول كثيرة جداً عن نيقوماخيادون ذكر اسم الكتاب وأن من السهل ردها إلى نظائرها عند أرسطو (٣١) » .

ويوضح سحبان خليفات أرسطية العامري فى دراسته التمهيدية لتحقيق كتاب الفارابي « التنبيه على سبيل السعادة » فيبين أن في السعادة والإسعاد معالجة لما تناوله الفارابى في كتابه بل إن عناصر الدراسة هي هي . . مع فارق ذي قيمة وهو أن أبا الحسن ينقل في كل مسألة أقوال أرسطو . ويتبين من تحديد العامري لغرضه من الكتابة أنه عين غرض الفارابي فى رسالة « التنبيه » ، وأرسطو فى جزء من الأخلاق (٣٢) ، فهو ينقل عن أرسطو تعريفه للخير ، ويحدد لنا السعادة بنص أرسطي ، فالمصدر الذي يستقي منه العامرى أفكاره هو أرسطو ، وكل جملة استعملها في الإعراب عن رأيه في السعادة كغاية نهائية مؤثرة لذاتها ومتميزة عن السعادة المظنونة هي جملة منقولة عن أرسطو (٣٣) .

ويقدم العامري من خلال نصوص أرسطو تعريفات لكل من : العفة ، والسخاء والحياء والتودد (٣٤) . ويتحدث عن اللذة ناقلاً أقوال أرسطو (٣٥) .

ويؤكد سحبان خليفات ذلك ثانية فى تحقيقه رسائل العامري وشذراته الفلسفية ، حيث نلتقي في « السعادة والإسعاد » بأفكار أرسطو من خلال

---

(٣١) د. عبد الرحمن بدوى : مقدمة تحقيق الترجمة العربية القديمة لكتاب أرسطو : الأخلاق إلى نيقوماخوس . وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٩ ـ ص ٢٦ .

(٣٢) د . سحبان خليفات : مقدمة تحقيق التنبيه على سبيل السعادة للفارابي . منشورات الجامعة الأردنية . عمان ١٩٨٧ ـ الفصل الثالث ـ ص ٨٩ . وانظر مقدمة تحقيقه لرسائل العامري وشذراته الفلسفية .

(٣٣) المصدر السابق مقدمة تحقيق التنبيه ص ٩٠ .

(٣٤) المصدر السابق صفحات : ٧٣ ـ ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٠٣ .

(٣٥) المصدر السابق صفحات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٦ .

الفارابي ، على الرغم من أن سحبان يشير إلى المصادر الأفلاطونية المحدثة لكتابات العامري وتلك مسألة سنعود إليها بعد .

وهو في حديثه عن مصادر العامري في الفصل الرابع من دراسته يضع تأثير أرسطو فى المرتبة الثانية بعد أفلاطون ويقلل من أثر أرسطو عليه ، ويتناول ذلك تحت عنوان « أرسطو والفلاسفة الآخرون » ، فهو يقتبس في « السعادة . . . . » نصوصاً كثيرة جداً من كتاب الأخلاق والبلاغة ، وقد حصرها آربري . وللعامري فضلاً عن ذلك تعليقات على المقولات (٣٦) ، أي أن تأثير المعلم الأول يشمل جوانب عديدة ، منها المنطق والأخلاق .

إن مايقدمه -خليفات من حجج يؤكد أرسطية العامري فكتاب « التقرير لأوجه التقدير » يذكرنا بمبحث الجهة في الأروجاتون (٣٧) .

ويحدثنا مينوفي Minovi في بداية نشرته لـ « السعادة والإسعاد » عن تحديد أرسطو لمقاصد الإنسان وغاياته فى هذه الحياة وأنها السعادة طبقاً لما ورد فى كتاب الأخلاق . وكتاب السعادة الذي يقدمه فى هذا المجلد يتضمن الأصول الأخلاقية والخطوات العملية لتحقيق السعادة (٣٨) .

ويبين رضوان السيد فكرة الوسط الأخلاقي الأرسطية فى « الأخلاق إلى نيقوماخوس » وأنها موجودة لدى الفلاسفة الأخلاقيين العرب المسلمين ، ومنهم العامري في « السعادة والإسعاد » (٣٩) .

وتتجاوز أهمية نقول العامري عن أرسطو مجرد بيان تأثير المعلم الأول عليه إلى الكشف عن احتمال وجود ترجمات أخرى لكتاب أرسطو في الأخلاق والشروح عليها غير المعروفة حتى الآن (٤٠) .

(٣٦) د . سحبان خليفات مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية ص ١٢٥ .

(٣٧) المرجع نفسه ص ٣٧٥ .

(٣٨) مينوفي : مقدمة نشرة « السعادة والإسعاد » .

(٣٩) د . رضوان السيد : تعليقاته على كتاب الماوردى : « تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسة الملك » المركز الاسلامى للبحوث - بيروت ١٩٧٨ - ص ١٠٩ .

(٤٠) ينقل بدوي في حديثه عن الشواهد والنقول عن « نيقوماخيا » عند الفلاسفة المسلمين ماذكره العامري في « السعادة والإسعاد » في « باب كبير الهمة » ويبين موضع ذلك في النص اليوناني ، فهذا النص ورد في نيقوماخيا م٤ ف ٧ ص ١١٢٣ ب من النص اليوناني ، وفي ترجمة إسحق بن حنين التى نشرها بدوي ص ١٥٣ ، ويستنتج من الاختلاف في ألفاظ النصين وجود ترجمة عربية ثانية مفقوده نقل عنها العامري ، ويدلل على إمكانية وجود مثل هذه الترجمة الثانية .

وتتأكد أرسطية العامري من بيان كتاباته المختلفة التى تعتمد على المعلم الأول مباشرة أو تعرض لمسائل وردت فى كتابات أرسطو .

ويذكر لنا العامري نفسه فى حديثه من مصنفاته في بداية كتابه « الأمد على الأبد » أنه قدم شروحاً على « أورجانون » أرسطو ، فقد شرح الأصول المنطقية [٤١] وله تفسير « كتاب البرهان » ، أفاض فيه في ذكر القوانين المنطقية . كما وضع العامرى شرحاً على كتاب المقولات لأرسطو . وتشهد مؤلفاته الميتافيزيقية على أرسطيته كما يتضح في كتابه « العناية والدراية » وهذا الكتاب هو اختصار لمذهب أرسطو فيما بعد الطبيعة .

ويشير خليفات إلى أن للعامري أيضاً « التوحيد والمعاد » أوضح فيه طرق أرسطو .

كل هذا مما يشهد على أرسطية العامري ومدى متابعته للمعلم الأول ، نقلاً وشرحاً وتلخيصاً . ومع ذلك يتأرجح الباحثون بين القول بأرسطيته ـ حيث شرح بعض نصوص أرسطو واقتبس منها ـ وأفلاطونيته ، كما نجد لدى كوربان وغيره من الباحثين ، وهذا يقتضي بيان الصورة الأفلاطونية له .

(ب) الصورة الأفلاطونية :

تتضح الصورة الأفلاطونية للعامري من انتمائه لمدرسة الكندي الفلسفية وتتلمذه على البلخي . ومن هنا كثرت إشارته إلى رجال المدرسة الأفلاطونية فى الإسلام . ويوضح لنا بدوي مدى أخذ العامري عن أفلاطون ، وتبين لنا النصوص التى استشهد بها فى « أفلاطون في الأسلام » حجم النصوص اليونانية الصحيحة لأفلاطون المأخوذة من محاوراته ، إما بحروفها أو تلخيصاً أو على سبيل المعنى العام في الكتابات الإسلامية . ويتضح ذلك من مقدار استشهاد العامري بأفلاطون الذي ينقل عن كتاب « السياسة » و « النواميس » ، ويقارن بدوي بين نصوص « السعادة والإسعاد ...... » وأصلها فى محاورات أفلاطون [٤٢] .

---

(٤١) العامري . « الأمد على الأبد » ص ٥٧ .

(٤٢) د . عبد الرحمن بدوي : أفلاطون في الإسلام ، دار الأندلس ط ٣ ، ١٩٨٢ . قارن مابنقله العامري عن محاورة السياسة ، راجع بدوي ص ١٥١ ـ ١٥٧ ، ـ ١٦١ ، ومايقابلها فى « السعادة والإسعاد » ص ٢٣٣ ـ ٢٤٢ ، ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٩ ـ ٤٠٥ ، ونقوله عن « النواميس » ، بدوي ص ١٦٢ ـ ١٦٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٦ ـ ١٦٨ ، مع « السعادة والإسعاد » صفحات ١٧٩ ـ ١٨١ ، ١٨٩ ـ ١٩٢ ، ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

ويشير ناجي التكريتي في « الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام » إلى أفلاطونية العامري التى لاتخلو صفحة من كتابه « السعادة والإسعاد . . . . » من فكرة أو استشهاد بأفكار أفلاطون (٤٣) ، فهو يقول بفضيلة العدالة الأفلاطونية (٤٤) ويستشهد بأفكار افلاطون فى أمر سعادة الإنسان وتوازن قوى النفس والحياة الفاضلة ، واللذة عند العامري كما هي عند أفلاطون (٤٥) ، وهو يفرق بين الخير والشر معتمداً على أفلاطون ويحكي ماجاء فى النواميس (٤٦) ويوضح أنواع السياسة عند أفلاطون .

كما يبين كوربان أيضاً أفلاطونيته مستشهداً بالمناقشة التي جرت مع مانى المجوسى « حيث اضطلع فيلسوفنا بدور الأفلاطوني اللامع (٤٧) .

ويرجع رضوان السيد فكرة اجتماع الفضائل الأربع إلى أفلاطون في الجمهورية ، الكتاب الرابع ، ويقارنها مع العامري فى « الأمد على الأبد » ، حين يتحدث عن الخيرات وأن فيها ماهو مطلق كالحكم والصدق والعدالة والجود (٤٨) .

ويمكن القول إن التأثير الأكبر لمحاورات أفلاطون على العامري ، كما يتضح من استشهاداته ، يتركز فى مجال السياسة والأخلاق ، فقد اعتمد ـ كما أشرنا ـ على « السياسة » (الجمهورية) و « النواميس » ، واعتمد على طيماوس وتعليق برقلس عليه ، كما يظهر اعتماده الكبير على فاذن (فيدون) خاصة فى كتابه « الأمد على الأبد » (٤٩) .

ولايكتفي الباحثون بهاتين الصورتين ، بل نجد من يقول بتفسير آخر أفلاطوني محدث .

---

(٤٣) د . ناجى التكريتي : « الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام » دار الأندلس ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٢ .

(٤٤) المصدر نفسه ص ٢٨٧ .

(٤٥) المصدر نفسه ص ٢٨٩ .

(٤٦) المصدر نفسه ص ٢٩١ .

(٤٧) هنري كوربان ص ٢٥٣ .

(٤٨) د . رضوان السيد : مقدمة تحقيق كتاب الماوردي « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » ص ١٠٨ .

(٤٩) العامري : « الأمد على الأبد » ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

(جـ) الصورة الأفلاطونية المحدثة :

نجد هذه الصورة لدى سحبان خليفات الذي خصص دراسة مستقلة لبيان « العناصر الأفلاطونية المحدثة في كتابات أبي الحسن العامري » موضحاً أن كتاب « الفصول فى المعالم الإلهية » منقول في الأغلبية الساحقة من عباراته عن كتاب برقلس « الخير المحض » (٤٩) .

وفي دراسته وتحقيقه لرسائل العامري وشذراته الفلسفية يتناول مصادر فلسفة العامري موضحاً تأثر أبي الحسن بكتاب أفلوطين وبرقلس بصورة ملفتة للنظر . ويخصص فقرة هامة للغاية للمقارنة بين نص برقلس فى « الخير المحض » ونص العامري فى « الفصول فى المعالم الإلهية » تشغل حيزاً كبيراً من كتابه عن رسائل العامري (٥٠) وهو نفس موقف فاديت الذى يشير إلى أفلاطونية العامري المحدثة (٥١) .

والحقيقة أن العامري اهتم كثيراً بالفلسفة اليونانية وعرف مذاهبها وأعلامها ، ليس فقط أرسطو وأفلاطون والأفلاطونية المحدثة ، بل أيضاً سقراط وفيثاغورس وأنبادوقليس الذي أشار إليه مراراً فى « الأمد على الأبد » وكتابه « السعادة والإسعاد . . . . » . ولم يكتف بذكر أفكار من ذكرناهم وإنما استشهد بأنبادوقليس وجالينوس وسولون ومن شراح أرسطو فرفريوس والإسكندر الأفروديسي . ومن هنا فهو يحسب على الفلسفة اليونانية .

ويذكر محمد كرد علي أنه لكثرة استشهاده بالفلاسفة اليونان « ليظن أن المؤلف يوناني أو من أتباع اليونان في مذهبه (٥٢) ، فقد نقل في « السعادة والإسعاد » عن أفلاطون وأكثر الفصول عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان . ويهاجمه من يهاجمه باعتباره من المصنفين في مذاهبهم ، أي مذاهب الفلاسفة ، مثلما يفعل ابن تيمية الذي يهاجمه على هذا الأساس (٥٣) وتظهر لنا قراءة نصوص العامري الموجودة بين أيدينا مدى اعتماده على اليونان ، وإن كان حجم الاستشهاد ليس دليلاً كافياً على التأثر .

---

(٥٠) د . سحبان خليفات : « العناصر الأفلاطونية المحدثة في كتابات العامري » ، وأيضاً مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية ص ١٣٠ ومابعدها ، ومقدمة تحقيقه لرسائل العامري ص ١٤٣ ـ ١٦٢ .

(٥٢) محمد كرد علي : عرض « السعادة والإسعاد » ص ٥٦٣ .

(٥٣) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٣٣٧ ، ٤٤٧ .

(د) **الصورة الفارسية** :

وفي مقابل هذه الصور المختلفة التي تتجه جميعها تجاه المصدر اليوناني لكتابات العامري فإن هناك اتجاهاً آخر يظهر بشكل خاص لدى المستشرقين ، يقول بفارسية العامري ، ليس تأكيداً للمصدر الفارسي لأفكاره فقط بل القول بانتمائه العرقي ، ومن ثم بفارسية جذوره الفكرية .

ويشير الباحثون إلى الأثر الفارسي ، خاصة في مجال الأخلاق ، فيرى ماجد فخري أن هذا التأثير كان محدوداً ، واقتصر على بعض الأقوال المأثورة في الحكم والأخلاق ، يقول : « هنالك تراث زاخر من الأدب الحكمي ينسب أكثره إلى جماعة من الحكماء ، بينهم أنوشروان وبزرجمهر وكسرى ، تسربت فى وقت وعلى نحو ما إلى العربية من أصول فارسية »(٥٤) .

ويظهر هذا التأثير على العامري فى عديد من كتاباته ، خاصة « السعادة والإسعاد . . . » وقد أشار أكثر من باحث إلى هذا الأثر لديه . وهو يشير صراحة فى حديثه عن مؤلفاته إلى ماكتبه من رسائل بالفارسية (٥٥) ويبدو أن العامري قد تأثر بوجه خاص فيما يختص بالفلسفة السياسية بتلك المؤلفات الفارسية ، وهو لذلك ينادي بمذهب يقل تأثراً بالهلينية (٥٦) ومن هنا يضعه كوربان فى سياق الفلاسفة ذوي الأصل الفارسي رغم عنونته للفصل الذي يدرسه فيه باسم « الفلاسفة الهلينيون »(٥٧) .

وينسب له مينوفي الذي قدم لنا دراسة ببليوجرافية هامة عن مؤلفاته « كتاب السعادة وقانون اليونان » وهو كتاب بالفارسية يضم نصائح كسرى أنوشروان الساساني . وله بالفارسية أيضاً فروخ نامة » ويبحث فى كتاب « الفصول . . . » وحدة العقل والتعقل والمعقول بشكل سوف يستلهم منه فيما بعد أفضل الدين القاشاني (ق ٧ هـ - ١٣م) تلميذ نصير الدين الطوسي (ت

---

(٥٤) د . ماجد فخري : تاريخ الفلسفة الإسلامية . الدار المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٤ ص ٦٠ .

(٥٥) العامري : « الأمد على الأبد » ص ٥٧ .

(٥٦) كوربان ص ٢٥٤ .

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٥٣ ويعدد لنا ملامح فارسيته تلميحاً ، فله كتاب « فروخ نامة » بالفارسية ويبحث في الفصول عن وحدة العقل والتعقل والمعقول ، بشكل سوف يستلهمه الفلاسفة اللاحقون (الفرس) .

٦٧٢ / ١٢٧٤م . وكثيراً مايشير الملاصدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥ هـ ١٦٤٠ م) إلى مذهب العامري في « الأسفار الأربعة » مما يبين ارتباطه بالفكر الفارسي تأثيراً و تأثراً .

وهذا مايشير إليه فاديت J.C.VADET في دراسته للعامري التي يحلل فيها « الإعلام بمناقب الإسلام » حيث يبين عظمة الإسلام على الديانات الأخرى ، ويرى فاديت أن هذا الدفاع عن الإسلام دفاع مبني على فهم فلسفي خاص للإسلام . وعلى الرغم من هذا الدفاع فإن العامري يظل فارسياً لايلقي أبداً بعيداً بماضيه القومي » (٥٨) . . . وهو يكثر من الحكم الفارسية ويرى أنه ربما خضع فترة لجاذبية المانوية (٥٩) ، وكتابه « السعادة والإسعاد . . . . . » يكشف فيما يرى فاديت عن المشاعر الفارسية للعامري (٦٠) .

ويتوقف البعض أمام المصادر الفارسية للعامري ليس باعتبارها مقابلاً للتأثيرات اليونانية بل باعتبارها جزءاً من ثقافته . ويلاحظ أن الآراء المستمدة من مصادر فارسية تدور من جهة المضمون حول موضوعات خلقية وسياسية . وتصنف هذه المصادر إلى مصادر قديمة وتشمل أقوال الملوك الفرس مثل : « أردشير » ، « سابور » و« أنو شروان »و« بزرجمهر » يضاف إليها كتابا « جاويدان خرد » و « خذاى نامه » . وإلى مصادر فارسية إسلامية تشمل مانقله العامري عن ابن المقفع والجاحظ وأبي بكر الرازي وأبي زيد البلخي - وهم فرس نسباً ، لكنهم عرب مسلمون ثقافة وفكراً - ومن هنا فالمقصود بالمصادر الفارسية هى الأولى ، القديمة .

ويلاحظ خليفات أن العامري في « السعادة . . . » لم يستخدم من المؤلفات الفارسية إلا المكتوب بالعربية (٦١) إلا أن الحقيقة التي نلاحظها من الآراء التى يستمدها العامري هي في الغالب مايتعلق بالسياسة والحكم

---

(58) VADET : Le SOuvenir de Ancienne Perse chez le philosophe ABu p'Hasan EL-Amiri (m.381 H.)

(59) Ibid., P. 257.

(60) Ibid., P. 263.

(٦١) د . سحبان خليفات : تحقيق رسائل العامري ص ١٨٦ .

والرئاسة ، مثل جملة الآراء المنسوبة إلى سابور بن اردشير اعتماداً على « خذاى نامة » الذي ذكره تسع مرات ، و « جاويدان خرد » الذى نقل عنه أربعة اقتباسات تدور حول أهمية المشورة وعدم الاستبداد بالرأي حتى كتب بعضهم أن المادة السياسية المستمدة من « خذاى نامة » و « التاج » للجاحظ كانت بمثابة الهيكل العظمي لكتاب « السعادة . . » ويستنتج من ذلك أمر هام في مجال تحديد مكانة الحجم الضخم من النصوص اليونانية في الكتاب ، فهذا الحجم الضخم لم يكن ليزيد كثيراً عن الموضوعات التى طرحها الفكر الفارسي (٦٢) .

ويستدعينا هذا الادعاء بضخامة التأثير الفارسي بيان حقيقة أثر الكتابات الفارسية السياسية على العامري وعلى الفكر الإسلامي .

يعرض رضوان السيد لهذه القضية ، قضية الاستعانة الكبيرة بأجزاء النموذج الفارسي من جانب المفكرين الإسلاميين ، ويرى أن الاعتماد شديد على الأمثال والحكم والسير الفارسية في الادارة والكتابة فى الدولة ، وأن الحضارة الفارسية كانت أولى الحضارات التى عرفها العرب خارج جزيرتهم ، وأن تأثيرهم فيها كان أعمق وأنقى بل إن مفهوم العرب المسلمين عن العلم أن آثار الأقدمين وتقاليدهم الحضارية دائماً رائعة ومتفردة وحقيقة بالتقليد والاتباع . وإذا طبقنا هذا فى المجال السياسي نجد أن ذلك حدّ من قدرة المفكرين على الإبداع وتركهم فى كثير من الأحيان أسرى فنّ نصائح الملوك الفارسي الأصل (٦٣) إلا أنه يبين أن رجالاً كالعامري والبيروني وعوا نقائض القضية تماماً . ومع ذلك بقيت المأثورات السياسية الفارسية رغم كثرة الاستشهاد بها هامشية نسبياً (٦٤) .

وعلى ذلك يمكن القول إنه إذا كانت الصور المختلفة اليونانية : أرسطية كانت أم أفلاطونية والصورة الفارسية ماهى إلا لقطات لاتمثل إلا جوانب جزئية قد تزيد أو تنقص فإننا يجب أن نكملها بالصورة العربية الإسلامية التى توضح لنا فى آن واحد المؤثرات والمصادر الأساسية فى ثقافة العامري والأهداف ، والغايات التى توختها كتاباته .

---

(٦٢) المصدر السابق ص ١٨٩ .

(٦٣) د . رضوان السيد : « الأمة والجماعة والسنة » ، دار اقرأ ، بيروت ١٩٨٦ ص ١٢٣ .

(٦٤) الموضع السابق .

هـ ـ الصورة العربية الإسلامية :

فى الصفحات السابقة اتضحت الصورة اليونانية للعامري سواء تمّ التأكيد فيها على الأرسطية أو الأفلاطونية أو الأفلاطونية المحدثة أو الصورة الفارسية كما أفاض فى بيانهما القدماء والمستشرقون ومن تبعهم .

أما الصورة الحقيقية لهذا الفيلسوف الأخلاقى والسياسى فتظهرها كتاباته وبعض الدراسات العربية الحديثة فى صورة عربية إسلامية واضحة الملامح .

وعلى الرغم من أن التوحيدي يشيد بيونانيته (ثقافته اليونانية) ، وكذلك يفعل بدوي وسحبان خليفات فى قولهما بأرسطيته تارة وأفلاطونيته أخرى ، فإن مينوفى كان صريحاً فى القول بأرسطية محاولته فى « السعادة والإسعاد » كما كان ناجي التكريتي صريحاً فى القول بأفلاطونيته .

وأكثر من ذلك فإن نقوله عن المصادر الفارسية مثل « جاويدان خرد » و « خذاى نامة » واستشهاده بمأثورات أردشير ، سابور ، انوشروان ، بزرجمهر بل وكتاباته بالفارسية جعلت كوربان وفاديت ويتجاوزان القول بيونانيته إلى القول بفارسيته ، ليس على المستوى الثقافى فحسب بل العرقى أيضاً ، فهو يرجع إلى أصل فارسى أو هو على أقل تقدير مشبع تماماً بالتأثير الضخم الذى مارسه الفرس على العرب .

ويخفف رضوان السيد من حدة هذا القول ويحلله ، وينفي هذا التأثر ويجتهد سحبان خليفات ليؤكد عروبة العامري ، ويظهر الاتجاه الإسلامي في كتاباته المختلفة ، فكلها تتجه نحو « الإعلام بمناقب الإسلام » ، كما يبين د . أحمد عبد الحميد غراب فى تحقيقه لكتاب العامري (٦٥) .

ويفيض سحبان خليفات في تأكيد أن « العامري فيلسوف عربي » ، موضحاً أن العامري نسبة تصح إلى قبيلة « بني عامر » وإلى جد ـ من الموالى ـ يحمل اسم عامر » (٦٦) .

ويتضح ذلك من حديثه عن مؤلفات العامري حين يعرض العناصر

---

(٦٥) د . أحمد عبد الحميد غراب : مقدمة تحقيق « الإعلام بمناقب الإسلام » ، المقدمة ومحاضرات في الأخلاق ، كلية دار العلوم ص ٢٠ .

(٦٦) د . سحبان خليفات : مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية .

الثقافية لشخصية أبي الحسن بن أبى ذر ، ويظهر الاتجاه الحديثي « برزت شخصيه المؤلف فى ثنايا « السعادة والإسعاد » كأنه واحد من علماء الحديث (٦٧) و « الثقافة القرآنية » ، فقد وردت فى الكتاب آيات قرآنية وأسماء أنبياء ومفسرين يعطي ذكرها مجتمعة صورة عن الثقافة الدينية للمؤلف .لقد ذكر نبي الإسلام ثلاثاً وعشرين مرة . فإذا أضفنا إلى ذلك الاستشهادات الكثيرة بالصحابة وعلماء التفسير والمحدثين والفقهاء وآل البيت . . . خرجنا باستنتاج مفاده أن المؤلف مسلم بالقطع (٦٨) .

ويشير إلى الاتجاه الفقهي للمؤلف الذى يكاد يكون أبرز مايلاحظه المدقق فى مادة الكتاب (٦٩) . كما يشير إلى الاتجاه المذهبي لديه الذي يميل إلى الإكثار من ذكر آل البيت مع التأكيد على ثقافته اللغوية والأدبية وثقافته الكلامية والفلسفية .

والتأكيد على أصل العامري العربي والعناصر الدينية الإسلامية والأدبية العربية في كتاباته ، وهو ما نتفق فيه مع الباحثين السابقين ، يجعلنا نطرح سؤالا هاماً حول ماهية هذه الصورة الإسلامية للعامري ، وهل هي صوفيةأم كلامية أم فلسفية .

لقد أشار خليفات للاتجاه الحديثى والفقهى والمذهبي لديه ، إلا أننا نلمح فى كتابات العامري ـ كما سيتضح فيما بعد اهتماماته ، وهذا مايشير إليه الكتاب القدامى والباحثون المحدثون .

---

(٦٧) يوضح خليفات هذه السمة ويبرهن عليها بأمرين ؛ الأول : استعمال طريقة المحدثين بذكر الروايات المختلفة ، والثاني : حرصه على إيراد الأحاديث النبوية في موضع لايحتاج فيه إليها . ويستنتج من ذلك أن المؤلف تلقى تربية دينية واسعة وأنه حظي بثقافة واسعة في علم الحديث ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٦٨) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٦٩) تكشف خطة الكتاب عن عقلية فقهية كلامية ، بل يقرر المؤلف صراحة أن « كتابه لايخرج عن كونه صياغة فلسفية لمشروع دينى . وترد فى النص مصطلحات تشيع على ألسنة الفقهاء ، مثل : المذهب والبدعة . وتنعكس النظرة الفقهية للمؤلف فى إيمانه بحق الملوك الإلهي ورده الدولة إلى أساس دينى . وهو يكثر من أخبار القضاء والأحاديث الواردة فيه مثلما يفيض في أشياء جاءت في العدل عن النبي ﷺ وأصحابه » .

يعرض التوحيدي لصورة العامري الصوفية ، فالرجل كتب فى التصوف « النسك العقلي والتصوف الملي » الذى رجح مينوفى أنه ربما يكون عين كتاب العـامـري في « التصوف والمتصوفة » أو كتابه « فى الحكمة » وقد اقتبس منه التوحيدي فصولاً فى « المقابسات » وكذلك فعل مسكويه في « الحكمة الخالدة » وكذلك فعل مؤلفا « منتخب صوان الحكمة » و« مختصر صوان الحكمة » وقد جمع خليفـات الشـذرات البـاقية التي ذكـرهـا هؤلاء ونشرها فى كتابه ويشير التـوحيدي فى المقابسات إلى شرح للعامري على كتابه هذا ، ويؤكد الناحية الصوفية للعامرى فى « الإمتاع والمؤانسة »(٧٠) .

وتتضـح لنـا هذه الصـورة الصـوفية من اشارة الكلاباذي فى « التعرف لمذاهب أهل التصوف » إلى العامرى وكتابه « منهاج الدين » ويقتبس عنه بعض الأشعار(٧١) ويتضح من عناوين كتبه التى أوردها في مقدمة « الأمد على الأبد » والتى لم تصلنا أن بعضها ربما يدور حول التصوف والأخلاق الصوفية مثل : « الإتمـام لفضـائـل الإنـام » ، « الفصـول الـبرهانية للمباحث النفسانية ، « فصول التأدب وأصول التحبب » .

وتـأتي الصـورة الكـلامية التي يمكن أن نرسمهـا للعـامرى اعتماداً على كتـابـاته ، التعمقٍّ صورته الاسلامية ، فقد ناقش كثيراً من موضوعات علم الكلام وقضاياه وتسيطر الاتجاهات الكلامية على تفكيره وكتاباته ، كما يتضح من ثبت مؤلفـاته ومن عناوين كتبه ومن القضايا التى أثارها ووصلت إلينا . وماتبقى من هذه المؤلفات : « الإبانة عن علل الديانة » و « الإرشاد لتصحيح

(٧٠) يخبرنا التوحيدي في « الإمتاع والمؤاسة » بهذا الجانب الصوفي لدى العامري فهو يحكى عن شيخ من الصوفية فى تجولهم وحيرتهم وكان فى جماعة ، منهم ، قوله : « لقنا في الطريق شيخاً من الحكماء يقال له أبو الحسن العامري ، وله كتاب في التصوف وقد شحنه بعلمنا وإشارتنا وكان من الجوّالين الذين نقبوا في البلاد واطلعوا على أسرار الله في العباد » (الإمتاع والمؤانسة جـ ٣ ص ٩٤ ـ ٩٥) ، ويستطيع القارىء أن يرجع إلى بقية حكاية التوحيدي لأنه يذكر بعد ذلك مواقف الصـوفية كما يتصورها العامري ، إزاء أحداث الدنيا وتصرفات الحكام والجبابرة ، فهم إن كانوا يهتمـون بأخبـارهم فإنـما ذلـك لكي يقفوا على تصاريف قدررة الله فيهم وجريان أحكامه عليهم ويستنبطوا خوافي حكمته تعالى . . . . (ص ٩٥ ـ ٩٦) .

(٧١) الكـلابـاذي : « التعرف على مذاهب أهل التصوف » ، الباب الحادي والثلاثون ، تحقيق محمود أمين النواوي ط ٢ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠ ص ١٠٦ .

الاعتقاد » و « استفتاح النظر » و « الإعلام بمناقب الإسلام » الذي حققه د . أحمد عبد الحميد غراب ونشره بالقاهرة و « الأمد على الأبد » الذي حققه ونشره ببيروت أورث ك . روسن و « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » الذي حققه سحبان خليفات ، و « التقرير لأوجه التقدير » و « العناية والدراية » وهو في علم التوحيد و « الفصول في المعالم الإلهية » .

وهـذه العناوين وموضوعات ماعثرنا عليه منها توضح الاتجاه أو الصورة الكـلامية للعـامري . ويشير خليفات إلى ذلك اعتماداً على تحليل « السعادة والإسعاد » الذي ربما لايوضح هذه السمة لدى العامري .

والحقيقة أن مانود الاشارة اليه هو أن حديثنا عن الصورة الكلامية ليس المقصـود به إثبات انتماء العامري إلى أصحاب الكلام بل إلى تأكيد الصورة الإسـلامية له لأنـه يتجـاوز مناهج هؤلاء في الجدل إلى مناهج البرهان لدى الفلاسفة ، فهو يعرض لموضوع المعاد فى « الأمد على الأبد » بعد أن كثرت فيه شبهـات الملحـدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين (٧٢) هذا التوجه البرهاني العقلاني لدى العامري يؤكد الصورة الفلسفية « الإسلامية » ، كما تتبين فى كتاباته المختلفة .

وتتضـح الصورة الفلسفية للعامري فى استخدامه لمصطلحات الفلسفة وطريقتهم واقتباسه أقوالهم واستشهاده بهم ؛ ولايكتفي فقط بأعلام الفلسفة اليونـانية : أرسـطو وأفـلاطـون وغـيرهم ، وبأعلام الفلسفة الإسلامية مثل الكندي والبلخي والفارابي ، بل إنه يرد أصل الفلسفة اليونانية إلى الشرق في « الأمد على الأبد » وهو فى توجهه الفلسفي يعتمد فى معالجته لموضوعاته على طريق النظر والبرهان ، يقول فى مقدمة الأمد : « وبعد فإن الله جل جلاله وفقني لتصنيف الكتب المقننـة فى إيضاح المعاني العقلية ، قصداً لمعونة ذوى الالباب على تقرير المعالم النظرية » (٧٣) .

ثانياً ـ مؤلفات العامرى :

قدم العامري لنا بنفسه قائمة بمؤلفاته في بداية « الأمد على الابد » (٧٤)

---

(٧٢) العامري : « الأمد على الأبد » ص ٥٧ .

(٧٣) المصدر نفسه ص ٥٥ .

(٧٤) ص ٥٥

ذكر فيها عدداً كبيراً منها ، وأشار إلى بعضها الآخر في كتب أخرى ، كما أننا يمكن أن نتلمس في الكتب القديمة مثل مؤلفات التوحيدي ومسكويه والكلاباذي مؤلفات أخرى . وسوف نعتمد على ما قدمه العامري أولاً ثم القائمة التى قدمها مينوفي والتى اعتمد عليها الباحثون اللاحقون وقائمة أحمد عبد الحميد غراب وثبت المؤلفات الذي قدمه سحبان خليفات لكى يضع قائمة شاملة تعبر عن مناحي تفكير العامري .

يتضح من بيان العامري لمؤلفاته التوجه الفلسفي العقلي ، وذلك في بداية كتابه « الأمد على الأبد » ، وهو أصلا دراسة لموضوع المعاد ، وهو مبحث ديني كلامي . وهدف العامري - كما يخبرنا - من تصنيف الكتب المقننة هو « إيضاح المعاني العقلية » . . . ومعونة ذوى الألباب على تقرير المعالم النظرية » فالفيلسوف يقدم هنا الأساس العقلي ا ‥ ي للموضوعات الدينية . ويذكر لنا سبعة عشر مؤلفاً [٧٥] ، عدا « الأمد على الأبد » ، بالإضافة إلى عدد من المؤلفات التى يشير إليها بصيغة الجمع : الرسائل الوجيزة ، أجوبة المسائل الدينية ، شرح الأصول المنطقية ، وتفاسير المصنفات الطبيعية ، وكتاباته للأمراء والرؤساء بالفارسية ويفهم من المجموعة الأخيرة من المصنفات أن معظمها في الأغلب الأعم تلخيصات وشروح وتفسيرات لكتب أرسطو [٧٦] وهي التي تتناول المنطق والميتافيزيقا وإن كان بالطبع هناك وجود للأفكار الفلسفية اليونانية في عدد من الكتب الأخرى [٧٧] .

---

(٧٥) يذكر العامري أعماله في « الأمد على الأبد » كما يلي : الإبانة عن علل الديانة » . و« الإعلام بمناقب الاسلام و « الإرشاد لتصحيح الاعتقاد » و « النسك العقلي والتصوف المليّ » و « الإتمام لفضائل الأنام » و « التقرير لأوجه التقدير » و « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » و « الفصول البرهانية للمباحث النفسانية » و « فصول التأدب وأصول التحبب » و « الأبشار والأشجار » و « الإفصاح والإيضاح » و « العناية والدراية » و « في استفتاح النظر » و « في الإبصار والمبصر » و « في تحصيل السلامة عن الحصر والأسر » و « في التبصير لأوجه التعبير » .

(٧٦) العامري : « الأمد على الأبد » ص ٥٧ .

(٧٧) راجع كتب العامري ورسائله الآتية : « الأمد على الأبد » ، « القول في الإبصار والمبصر » وأهم من ذلك « السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية » .

وبالإضافة للقائمة التى يقدمها العامري لكتبه يتناول مجتبى مينوفي في الجزء الثاني من دراسته « من الخزائن التركية » كتاباته تناولاً مستفيضاً [٧٨]. ويورد في مقدمة نشرته « للسعادة والإسعاد . . » بعض مقتطفات منها يعرض فيها لتسع من هذه المؤلفات موضحاً أن سبعة على الأقل من هذه التسع مؤكدة النسبة للعامري ، وهناك إشارة بأسماء أربعة عشر كتاباً ورسالة للفيلسوف في بقية كتاباته مازالت مفقودة ، والكتب التى يذكرها في مقدمة نشرته « السعادة . . . » منها خمسة ذكرها العامري في « الأمد على الأبد » .

وهناك أربعة أخرى لم يذكرها العامري فى قائمته ، اثنان مؤكدا النسبة إليه هما « السعادة والإسعاد . . . » و« الفصول في المعالم الإلهية » . واثنان لم يتحقق الباحثون من صحة نسبتها اليه وهما : - « كتاب في الحكمة » ، وهو مخطوط بمكتبة أسعد أفندي في السليمانية (مجموعة تحت رقم ١٩٣٣) بدون ذكر اسم المؤلف . ذكره مينوفي في دراسته « من الخزائن التركية » ويرجح دون تأكيد نسبته للعامري .

« كتاب السعادة وقانون اليونان » - فارسي يضم النصائح اليونانية التى كتبت بأمر كسرى انوشروان الساساني ، توجد منه نسخة خطية . وقد طبع جزء منه - خاص بروايات درا ابن هرمزديار ، وهناك طبعة حجرية طبعت فى بمباى بالهند ، له ترجمة إنجليزية ذكر فيها أن مؤلف هذه الرسالة « أبو الخير امرى » ، ولايؤكد مينوفي هل هذا تحريف لاسم العامري ، وهل الكتاب له أم لا .

وقد أشار د . أحمد عبد الحميد غراب[٧٩] إلى قائمة العامري في « الأمد على الأبد » وأضاف إليها عدة كتب أخرى ، هى : « منهاج الدين » و« شرح كتاب البرهان » و « شرح كتاب النفس » . وقد ذكره العامري فى « الإبصار والمبصر » و« الفصول فى المعالم الإلهية » وهو فى علم الكلام ، ثم « السعادة والإسعاد » الذي نشره مينوفي .

---

(٧٨) مينوفى : « من الخزائن التركية » الجزء الثانى ، مجلة كلية الآداب جامعة طهران العدد الثالث ، السنة الرابعة ص ٥٩ ومابعدها .

(٧٩) د . أحمد عبد الحميد غراب : مقدمة تحقيق « الإعلام بمناقب الإسلام » . ويلاحظ أن المحقق يكاد ينفرد بالقول بوجود « شرح كتاب النفس لأرسطو » .

ويذكر لنا خليفات اعتماداً على الدراسات السابقة قائمة مكتملة إلى حد كبير تشتمل على خمسة وعشرين مؤلفا ، والمؤلفات التى يضيفها هي : شرح كتاب البرهان لأرسطو ، شرح كتاب المقولات ، وهما مما أشار إليه العامري في « الأمد على الأبد » وإن لم يذكرهما بالاسم و « الفصول في المعالم الألهية » وقد أشار إليه مينوفي . و « شرح كتاب النسك العقلي والتصوف الملي »(٨٠) و « منهاج الدين » الذي أشار إليه غراب.ويذكر خليفات أنه لادليل على نسبته للعامري غير ماذكره الكلاباذي(٨١) ، و « كتاب في الحكمة » ، ذكره مينوفي وخليفات ، ونتساءل ألا توجد أية علاقة بين هذا المؤلَف و « كتاب السعادة وقانون اليونان » والجواب يحتاج إلى مقارنة النصين . وأيضاً « السعادة والإسعاد » الذي أكد خليفات نسبته إلى مؤلفه ، ونشره مينوفي مصوراً دون تحقيق ١٩٥٧ .

وتأتي قائمة خليفات بزيادة عنوانين على ماذكره مينوفي ، أحدهما هو « النسك العقلي » ، وقد ذكره مرتين : الأولى بهذا الاسم والثانية باسم « شرح النسك العقلي والتصوف الملي » ولم تُشر هذه القائمة إلى كتاب « السعادة وقانون اليونان » لأن الباحث لم يتحقق من صحة نسبته للعامري .

ويمكن أن نضيف نحن هذا العنوان ، وكتاب « التوحيد والمعاد » الذي اعتبره موضوعاً من « العناية والدراية » .

وعلى ذلك يمكن أن نصنف مؤلفات العامري : المفقود منها والموجود ، المخطوط منها والمنشور ، مع بيان التحقيقات العلمية للمحقق منها .

(أ) المؤلفات المنشورة والمحققة :

المؤلفات المنطقية :

١ - تفسير كتاب البرهان : يتحدث المؤلف عن رسائله فى شرح الأصول المنطقية وإن كان لم يحدد لنا هذه الشروح لكنه أوضح فى « الإبصار والمبصر » أن له شرحاً للبرهان وموضوعه رؤية العقول الصحيحة لحقائق المعاني الكلية

---

(٨٠) يبدو أنه تعليقات أو روايات للعامرى في المجالس الأدبية والفلسفية كانت شرحاً على كتابه وليست كتاباً مدوناً كما توحي العبارة .

(٨١) د . سحبان خليفات : مقدمة تحقيق رسائل العامري وشذراته الفلسفية ص ١٠٢ .

ومايصح الاعتماد عليه من الأقوال الصادقة بحسب المنطق ومالا يصح الاعتماد عليه ، وذكر القوانين المنطقية (٨٢) .

شرح كتاب المقولات : وهو شرح على المقولات الارسطية ، تبقى منه بعض الشذرات . وقد نشرت مرتين . نشرتها م . توركر M.turker في المجلد الثالث من مجلة Arastirma التركية ١٩٦٥ (٨٣) وأعاد خليفات نشرها ١٩٨٩ ضمن رسائل العامري وشذراته الفلسفية .

المؤلفات الكلامية :

١ - « الإعلام بمناقب الإسلام » ، وهو- كما يتضح من محتوياته فى طبعته المحققة التى قدمها أحمد عبد الحميد غراب ١٩٦٧ - يتكون من افتتاحية ومقدمة وعشرة فصول وخاتمة ، و« اشتمل على جمل مااختص به الإسلام من المناقب العلية » . ويبين لنا مزايا الإسلام بالمقارنة مع غيره من الأديان .

ويتناول فى الفصل الأول « القول في مائية العلم ومرافق أنواعه » وتعريف العلم وتصنيف العلوم إلى فلسفية ودينية ، ويدافع عن العلوم الفلسفية دفاعاً حسناً (٨٤) ويرى أن دراستها تحقق للإنسان كمال إنسانيته .

ويخصص الفصل الثانى للقول فى « الإبانة عن شرف العلوم الملّية » والثالث للقول « فى فضائل العلوم الملّية » : علوم الحديث وعلم الفقه وعلم الكلام ، والحديث عنده هو علم الأخبار ، والفقه هو علم السياسة ، ويعتمد على الكتاب والسنة وعلى الرأى والقياس . ويرى أن وجود الفقهاء ضرورة من ضرورات الحكم والسياسة ، لأن الحوداث المتجددة تحتاج إليهم لوضع التشريعات المناسبة ورد هذه التشريعات إلى أصول الدين (٨٥) .

---

(٨٢) العامري : الإبصار والمبصر ، تحقيق د. سحبان خليفات في « رسائل العامري وشذراته الفلسفية » ص ٤١٣ .

(83) M. turker: Arastirma vol.3 1965 PP 103-122

(٨٤) العامري : الإعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق د . أحمد عبد الحميد غراب . دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٨ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٦ .

ثم يتحدث عن المزية الثقافية للإسلام « القول فى فضيلة الإسلام باضافته إلى المعارف » .

ويتناول « القول في معرفة أركان الدين » في الفصل الرابع .

وفي الفصل الخامس والسادس يعرض للقول في فضيلة الإسلام بحسب الأركان الاعتقادية والعبادية.

وفي الفصل السابع يتناول القول في فضيلة الإسلام بحسب الإضافة إلى الملك ، حيث يناقش العلاقة بين الدين والدولة ، القوة الروحية والسياسية فى الإسلام . وقد عالج روزنتال F.Rosenthal هذه العلاقة فى دراسته « الدين والدولة عند العامري » (٨٦) .

وموضوع الفصل الثامن هو « القول فى فضيلة الإسلام بحسب الإضافة إلى الرعايا » من مواطني الدولة الإسلامية ومعاملتهم .

وفى التاسع « القول فى فضيلة الإسلام بحسب إضافته إلى الأجيال » أي الجنسيات والقوميات التي دخلت الإسلام .

ويعرض فى الفصل العاشر ـ وهو الأخير ـ ماسبق التفصيل فيه . ويرد في الخاتمة على الشبهات الموجهة ضد الإسلام ويناقشها مفنداً لها .

٢ ـ « الأمد على الأبد » : حققه مع دراسة بالانجليزية اورث . ك . روسن مع مقدمة لجلال الدين مجتبى ، ونشر ببيروت ١٩٧٩ ، وهو ثالث كتاب ينشر للعامري وقد اعتمد عليه الباحثون اعتماداً كبيراً لبيان ثقافة العامري الفلسفية ومصادرها . فالكتاب على « الرغم من أن موضوعه المعاد ـ وهو موضوع دينى كلامي ـ فإن المؤلف يستشهد بأقوال الفلاسفة يقول : « رأينا أن نذكر الجمل من مذاهب المتسمين بالفلاسفة المشهور منهم بالحكمة الإلهية وأن نصف دعاوى أئمتهم في التوحيد ، ونومىء إلى مجامع مذاهبهم في المعاد » (٨٧) .

---

(86) F.Rosenthal State and Religion According to Abu' L' Hasan Al- AMiri, The Islamic Quarterly, val III 1956 PP. 42

(٨٧) العامري : « الأمد على الأبد » ص ٦١ .

وهو فى هذا الكتاب يرجع المذاهب الفلسفية اليونانية إلى أصولها الشرقية [٨٨] ويتحدث عن مذاهب انبادوقليس وسقراط وأفلاطون وأرسطو.

٣ - « التقرير لأوجه التقدير » حققه ونشره مع نصوص أخرى سحبان خليفات في رسائل العامري وشذراته الفلسفية ١٩٨٨ .

ويناقش فيه تصنيف الحوادث تحت مقولة الواجب والضروري أو الجائز والممكن . وانتهى إلى حل مسألة حرية الإرادة بالقول بخضوع جانب من الفعل الضرورة وآخر لإرادة الفاعل الحرة .

٤ - « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » . وقد نشر فى رسائل العامرى وشذراته الفلسفية ، ويتناول موضوح حرية الإرادة أو خلق الأفعال ، كما يتناول الفعل الإنساني ، وماهيته ، وهل هو ممكن أو ضرورى أو ممتنع ويبين أقسام الفعل الإرادية والضرورية ، وأسبابها الجوهرية والعرضية وأنواعها ، ثم ينتقل إلى بيان معنى الضرورة والحرية والفعل .

٥ - الفصول فى المعالم الآلهية ويعرض فيه لعدة موضوعات في عدة فصول ، فيتناول أولاً مراتب الموجودات التى يقسمها إلى خمسة أقسام ، أولها الله الموجود بالذات وثانيها الموجود بالإبداع (العقل الكلي) ، وثالثها الموجود بالخلق (النفس الكلية) ثم الموجود بالطبع وخامسها الموجود بالتوليد أى بالتكوين .

ويستخدم العامري هذه التصورات في إطار نظرية أرسطو في النفس وينتقل من الحديث عن طبيعة تصور النفس الذات الإلهية إلى الحديث عن الصور التي يمكن أن تحصل عليها النفس من تلك الذات ، ثم يعرض لأدلة خلود النفس وأنه لابقاء إلا للنفوس الفاضلة [٨٩] .

---

(٨٨) المرجع السابق ص ٧١ - ٧٣ .

(٨٩) العامري : الفصول فى المعالم الآلهية تحقيق د . سحبان خليفات في رسائل العامري وشذراته الفلسفية ص ٣٦١ - ٣٧٩ .

المؤلفات الطبيعية :

١ - « الإبصار والمبصر » : أشار إليه ونشره باول كراوس فى مجلة المشرق ، ١٩٣٧ ، وهو من أوائل أعمال العامري المنشورة . وقد قام خليفات بدراسة وتحقيق هذه الرسالة ونشرها ١٩٨٨ [٩٠] .

٢ - الأبحاث عن الأحداث : وهو يتناول تأثير القوة الإلهية السارية من العالم العلوي إلى العالم السفلي . وعالج فيه أيضا اتصال الطب والتنجيم بالقوة السارية من العالم العلوي . وقد عثر خليفات على نص من هذا الكتاب ونشره [٩١] .

٣ - الإبشار والأشجار ، وهو كتاب فى النباتات أشار إليه العامري أيضاً في التقرير لأوجه التقدير . ونحن نشير إليه هنا باعتباره دراسة فى الطبيعيات على الرغم من أن الكتاب نفسه مفقود ولم نعثر عليه حتى الآن .

المؤلفات الأخلاقية والسياسية :

عالج العامرى كثيراً من موضوعات الأخلاق والسياسة في العديد من كتبه ، خاصة فى « الإتمام لفضائل الأنام » وفي غيره . وهى تدور حول موضوعات حرية الإرادة والفعل الإنسانى كما فى : « التقرير لأوجه التقدير » و« إنقاذ البشر من الجبر والقدر » . وكذلك فى بعض الكتب المنسوبة إليه بالإضافة إلى كتابه الهام « السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية » الذى سوف نتوقف لنعرض له بالتفصيل بعد الإشارة إلى كتبه الأخلاقية والسياسية الأخرى ، وهي :

١ - « النسك العقلي والتصوف الملي » : وقد أشار كثير من القدماء إلى هذا الكتاب وأخذوا عنه . ومن هنا حظي بشهرة أكثر ، فقد نقل كثيراً من محتوياته التوحيدى فى مقابساته ومسكويه فى « الحكمة الخالدة » وصاحب مختصر صوان المحكمة . ويتناول الكتاب موضوعات : النفس والوحي

---

(٩٠) العامري : « القول فى الإبصار والمبصر » دراسة وتحقيق د . سحبان خليفات . مجلة دراسات الجامعة الأردنية المجلد ١٤ العدد السابع ١٩٨٧ ص ٤٩ - ٩٨ . وأعاد نشرها فى رسائل العامري وشذراته الفلسفية ص ٤١١ - ٤٣٧ .

(٩١) د . سحبان خليفات : رسائل العامري ص ٤٦٨ وإشارات العامري إليها ص ٣٤٣ - ٣٤٤

والفيض ، وهو مكون من عدة مقالات عالج فيها « أثر البواعث النفسية فى أفعالنا الاختيارية » وهو يرى فى هذا الكتاب ـ كما يخبرنا التوحيدي ـ أن شرف الإنسان هو الفوز بالسعادة العظمى وأنه عن طريق الزهد والتنسك يستطيع تحصيل هذه السعادة . وقد جمع خليفات نصوص هذا الكتاب ونشرها فى رسائل العامري (٩٢) .

٢ ـ « كتاب الحكمة » : وهو من الكتب التى تنسب للعامري . ومن حسن الحظ أن هناك مخطوطاً من هذا المؤلف يخبرنا مينوفى بوجوده بمكتبة أسعد أفندي بإستنبول تحت رقم ٩٣٣ . وعلى الرغم من أن المخطوط لم يذكر فيه اسم المؤلف فإن مينوفي يرجح كونه للعامري .

٣ ـ كتاب « السعادة وقانون اليونان » : يشير إليه مينوفي ويحدد لنا موضوعه ، وهو النصائح الأخلاقية والسياسية التى أمر بها كسرى أنوشروان . وقد طبع فى بمباى بالهند وله ترجمة تنسب إلى أبى الخير امرى . والتساؤل هنا حول هوية المؤلف وهل هو العامري ؟ .

٤ ـ « السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية » أهم كتب العامري فى الأخلاق والسياسة .

(ب) الكتابات المفقودة :

تذكر لنا المصادر القديمة والدراسات الحديثة أربعة عشر مؤلفاً مازالت مفقودة ، وقد تكشف الأيام عن وجود نسخ منها ، وهى صحيحة النسب للعامرى الذى أشار إلى عشرة أعمال منها في « الأمد على الأبد » وأشار إلى احدها ضمن كتاب آخر هو « التوحيد والمعاد » . ويفهم من مقابسات التوحيدي وجود عدد منها ، ويذكر الكلاباذي أحدها . ويمكن أن نشير إلى موضوعات هذه المؤلفات المفقودة :

١ ـ الإبانة عن علل الديانة » : يعرض له خليفات ضمن المؤلفات الميتافيزيقية التي يقسمها إلى ثلاث مجموعات الأولى يعرض فيها مذهب أرسطو

(٩٢) نقل خليفات فى دراسته مختارات مسكويه والتوحيدي من كتاب « النسك العقلي والتصوف الملي » ونشرها . راجع صفحات ٤٧٦ ـ ٤٨٧ .

والثانية يوضح فيها مذهبه الأفلاطوني المحدث ، والثالثة قضايا فلسفة الدين . ومنها « الإبانة » وإن كنا نميل إلى اعتبارها أقرب إلى علم الكلام .

٢ - « الإتمام لفضائل الأنام » : وهو أيضا عمل أقرب إلى علم الكلام وإن كان موضوعه يتعلق بالأخلاق في إطار المنهج الكلامي حيث عالج العامري فيه العلاقة بين النظر والعمل ، وهي من أهم موضوعات علم الكلام ، وهو موضوع سبق أن عالجه فى « الإعلام . . . . » .

٣ - « الإرشاد لتصحيح الاعتقاد » : يتضح موضوعه من عنوانه ، وهو أيضا يدور حول الدفاع عن العقيدة ، ويندرج في إطار مؤلفات العامري الكلامية التى نستطيع من خلالها تقديم صورة واضحة عن الكتاب وموضوعه وأبوابه ، إذ عالج الذات الإلهية وصفاتها .

٤ - « استفتاح النظر » : وهو على مانعتقد يناقش قضية النظر والعمل ، وإن كنا لانملك أية بيانات عن موضوعه .

٥ - « الإفصاح والإيضاح » : وأشار إليه العامري في « الأمد على الأبد » ، ويندرج مع بقية مؤلفاته - كما يخبرنا - فى إطار « إيضاح المعاني العقلية لمعاونة أولى الألباب على تقرير المعالم النظرية » .

٦ - « التبصير لأوجه التعبير » : ذكره العامري في « الأمد على الأبد » وأشار إليه كل من كتب عن مؤلفات العامري دون بيان لموضوعه ولانملك الحديث عن محتواه حتى تكشف لنا الأيام عن مخطوطاته .

٧ - فى « فصول التأدب وفصول التحبب » . وهو أقرب إلى كتب الأخلاق والسلوك والتصوف .

٨ - « في تحصيل السلامة عن الحصر والأسر » . تحدث عنه العامري فى « الأمد على الأبد » .

٩ - « الفصول البرهانية في المباحث النفسانية » ، يذكره فى « الأمد » وفى « التقرير » . وموضوعه الفيض الذي يدفع بالقوة الإلهية ، من العالم العلوي إلى العالم السفلي ، والمعانى العقلية التى يتجدد ظهورها فى العالم السفلي .

١٠- الإبشار والإشجار : وقد ذكره فى « التقرير لأوجه التقدير » ، وهو كتاب يبحث فى النباتات والأشجار ويعالج فسيولوجية النبات وارتباطها بالوظيفة .

١١- « منهاج الدين » : فى التصوف ، يشير إليه الكلاباذي فى كتابه « التعرف » .

١٢- « شرح كتاب النسك العقلي والتصوف الملّيّ » : يذكره التوحيدي ويشير إليه خليفات الذى يميل إلى القول إنه غير مدون ، ويبدو أنه أحاديث أو روايات العامري في المجالس الأدبية المختلفة .

١٣- « التوحيد والمعاد » : يذكره خليفات ضمن المؤلفات الميتافيزيقية ، وإن كان يرجح كونه جزءاً من « العناية والدراية » ويورد فيهما خلاصة مذهب أرسطو . ونظراً لفقد الكتاب فلا يوجد لدينا أي دليل على انفصالهما وكونهما عملاً واحد ، وإن كنا نرجح من عنوانه أنه أقرب إلى علم الكلام حيث يتناول اثنين من أهم موضوعات العلم : التوحيد والمعاد .

١٤- « العناية والدراية » : يرتبط بالكتاب السابق كما يخبرنا العامري فى « التقرير لأوجه التدبير » ويعرض فيهما مذهب أرسطو ، يقول فى « الأمد على الأبد » : أما مذهب أرسطو فقد أوردنا جملته فى كتابنا الملقب بالعناية والدراية ، وهو اختصار لمذهب أرسطو الميتافيزيقي .

ويبحث فيه علاقه الإنسان بالذات الإلهية . وهو مثل سابقه أقرب إلى علم الكلام ، وإن كان المؤلف يستعين فيه بآراء أرسطو لتوضيح العناية والغائية .

ثالثاً : السعادة والإسعاد . .

يحدثنا العامري في القسم الأول من « السعادة والإسعاد » عن تقسيم السعادة إلى : نفسية وعقلية ، ويبين أن كلا منهما ينقسم إلى « مطلقة » ، وهى التى ينال صاحبها الأفضل من الخيرات ، و « مقيدة » وهى التى يفعل صاحبها الأفضل على قدر حاله ، موضحاً أن الأولى هى موضع الدراسة لدى الفلاسفة لا الثانية ؛ المطلقة لا المقيدة . ويناقش : هل السعادة الإنسية والسعادة العقلية منفصلتان (مستقلتان) أم هما موضوع واحد ؟ وهل كل واحدة منهما

تامة أم إحداهما ناقصة ؟ وهو يعلي من شأن السعادة العقلية ؛ الخاصة بالنفس الناطقة النظرية على السعادة الإنسية الخاصة بالبدن وبالنفس البهيمية الشهوانية(٩٣) .

ويعرض لأقوال القدماء في تعريف السعادة الإنسية بـ : اللذة ، أو اليسار ، أو الكرامة ، ويشير إلى نقد أرسطو لهذه التعريفات ، فالسعادة مطلوبة لذاتها ، أما حسن الفعال وكل فضيلة وكذلك اليسار والكرامة فإننا نريدها من أجل غاية هي السعادة . وعلى ذلك فهو ينفي أن تكون اللذة هي السعادة ، فاللذة كثيراً مايصحبها الأسى .

ثم يعرض لقول أفلاطون في السعادة وأنها الحياة الفاضلة الخالية من الشرور . ويذكر ماقاله أرسطو فى السعادة الإنسية ، فالسعادة فعل للنفس بفضيلة كاملة ، والفضيلة عنده تكون بنطق ، والكاملة هى التى تكون فى جميع الأفعال على الفضيلة في جميع الأوقات والأحوال .

ويوضح كيف تكتسب السعادة وبما تحصل ، مؤكداً ضرورة عملية التربية وأهمية المربِّى . ويناقش : لم وَقَع الناس فى الشقاء والكل يهرب منه ؟ ولم فاتتهم السعادة والكل يطلبها ؟ اعتماداً على نظرية أفلاطون فى تقسيم النفس ـ وهى النظرية التى أثرت على معظم الفلاسفة المسلمين ـ فإذا خضعت الدنيا (الشهوانية والغضبية) للعليا حديث السعادة وإلا فالشقاء(٩٤) ويستشهد بأقوال انبادوقليس(٩٥) لتأكيد هذا المعنى ، فالسعادة مرتبطة أساساً بالعقل . يتضح ذلك فى الفقرة التى يتحدث فيها عن علاج الآفات المؤدية إلى الشقاء المانعة من السعادة والتى يجملها فى سببين : الجهل والجور . وعلاج الجور تعوّد

---

(٩٣) يتناول العامري في القسم الأول من كتابه موضوع السعادة ويظهر فيه الاتجاه اليونانى لدى أفلاطون وخاصة أرسطو ، كما يتضح من تقسيم السعادة إلى عقلية وإنسية : الأولى خاصة بالنفس الناطقة والثانية خاصة بالنفس الشهوانية . لذلك فهو يُعلي ، مثل أرسطو ، من شأن الأولى .

(٩٤) يعتمد العامري في تناوله للسعادة على الربط بينها وبين الفضيلة انطلاقاً من تقسيمه للنفس إلى ثلاث قوى عقلية وغضبية وشهوية . وهو هنا ـ مثل معظم فلاسفة الأخلاق المسلمين ـ يعتمد على نظرية النفس عند أفلاطون .

(٩٥) يشير العامري إلى أنبا دوقليس كثيراً فى معظم كتاباته خاصة « الأمد على الأمد » و« السعادة والإسعاد » ، ويستشهد به كثيراً . راجع السعادة صفحات ١٧ ، ١٨ ، ١٤٣ .

الصبر وعلاج الجهل اكتساب المعرفة . ويفيض في بيان مايحتاج إليه الإنسان من المعرفة لصلاح حاله وهو معرفة : الخير والشر ، والنافع والضار ، والجميل والقبيح ، واللذة والأذى .

ويفيض في الحديث عن الخير والشر ، ويعرف الخير كما يعرفه أرسطو فى بداية « الأخلاق إلى نيفرماخوس » وهو مايتشوق إليه الكل ، ثم يتحدث عن أقسام الأشياء وبيان الخير المطلق والشر المطلق وبيان ماليس بخير ولا شر .

ويتناول أقسام الخيرات وهى ثلاثة : خيرات تكون فى البدن (مثل الصحة والقوة والجمال) ، وخيرات تكون فى النفس (مثل أن يكون الإنسان عفيفاً شجاعاً عادلاً) ؛ وخيرات خارج البدن والنفس (مثل أن يكون للإنسان ثروة وأصدقاء) .

ويقسم الخيرات إلى : خيرات عظيمة وخيرات صغيرة : الأولى التى تكون منفعتها عظيمة مثل : الرئاسة والثروة والشجاعة ، والصغيرة بخلاف ذلك .

ثم يتحدث عن الخير الأساسي الذي هو أولى بمعنى الخير ، وهو الخير الذي يكون في النفس ، والذى يراد لذاته لامن أجل شىء آخر ، وسائر الخيرات هى أدوات أو وسائل إلى هذا الخير .

وبعد أن يقدم عدة تعريفات للخير والخيِّر والشرير ، والنافع واللذة ، والساذج والسليم ، يأخذ في الحديث عن اللذة ، ويعرض لأقسام اللذات الجسمانية والنفسانية ، وكل منها أقسام : الأولى منها « الطبيعية الضرورية » و « الطبيعية وليست ضرورية » و« ماليست بطبيعية ولا ضرورية » . والنفسانية هي التى يختص بها الفكر . ومقابل اللذة الألم ، أو مايطلق عليه الأذى ، فيتحدث عن الأشياء المؤذية والمؤلمة ويفيض فى بيان ذلك اعتماداً على أقوال جالينوس فى اللذات والآلام ، التى أثرت كثيراً على فلاسفة الأخلاق المسلمين[٩٦] ويتحدث عن اللذة ، ماهي وأنواعها واللذة الخاصة بالإنسان ، وهى لذة المعرفة . ويفيض فى بيان العلة في : لماذا صار للإنسان لذات مختلفة ويجيب : إن للإنسان ثلاث نفوس : الشهوانية والغضبية والناطقية ، ولكل نوع لذة تناسبها ، أعلاها اللذة العقلية المعرفية .

(٩٦) يعرض العامري فى القسم الأول من دراسته للنظريات المختلفة التى قيلت في السعادة ، ويفيض فى الحديث عن اللذة وتعريفها وأقسامها ويتناول الألم أو الأذى . وهو هنا يعتمد كثيراً على جالينوس ، ويعلي من اللذة على الألم ، ويبين أنواعها خاصة اللذة العقلية .

ويبين العلة في ميل الناس إلى اللذات الجسمية وفي هروبهم من اللذات الناطقية « فإن الكثير منهم لم يدوقوا لذة المعرفة فيعرفونها ، ومن عرف لذة المعرفة يصبر على ماهو أمامها من الكد والتعب والخطر حتى يصل إليها » . كما يبين أن لذة المعـرفة ألذّ من سائر اللذات ، فإنما هي لذات بالعرض لأنها أشفية (علاج) من الأحزان ، ويؤكد أنه ليس كل لذة بخير ، ومع ذلك فمن غير الجائز أن نقول بأن اللذات ليست بخير على الإطلاق .

ويلي القول فى ماهية اللذة والألم نقد أرسطو لآراء أصحاب مذهب اللذة ، وذلك لاقتصارهـم على اللذة الحسية البدنية ، وقد حسم نقد أرسطو لهم توجه الأخلاق اليونانية نحو نظرية السعادة التى تابعه فيها الفلاسفة المشاؤون العرب في العصور الوسطى ، بينما فى العصر الحديث وبعد ترجمة أحمد لطفى السيد لكتاب الأخلاق لأرسطو احتدمت الإشكالية من جديد بظهور كتاب إسماعيل مظهر « فلسفة اللذة والألم » الذى ينتصر فيه لأخلاق اللذة[٩٧] .

ويقدم العامري عدة حدود « تعريفات » للذة وانتقادات أرسطو لها ، ثم يقدم الحدَّ الذى حد به أرسطو اللذة من بعد ماناقض هؤلاء ، ويفيض فى بيان خاصية اللذة ويقدم لنا ماأطلق عليه « حساب أفلاطون للذات » وبعد ذلك يتناول « السعادة القصوى » : ماهى ؟ وكيف تكتسب ؟ من قول أفلاطون وأرسطو ثم يناقش : هل يجوز أن تكتسب السعادة القصوى من غير أن تكتسب السعادة الأدنى ، ويذكر الآفات المانعة من السعادة القصوى ومن استتمامها ، ويعدّدها .

ويخبرنـا العـامـري في مقـدمة القسم الثاني من كتابه ـ وهو يدور حول الفضيلة ـ بالهدف من هذا القسم ويعرض العوارض التى تعرض للإنسان فى حياتـه ، موضحـاً المحمود منها والمذموم . كما يوضح علاج الذميم من هذه العوارض ويحدثنا عن الفضيلة وأقسامها ويتابع التمييز الأرسطي بين الفضيلة الخلقية والعقلية .

ويعرض للفضيلة الخلقية وتعريفها ، ويقدم التعريف الأرسطى الشهير للفضيلة باعتبـارهـا « توسُّـطا » ، ويشرح ويفسر هذا التعـريف موضحاً أن الفضيلة حال لازمة للإنسان بإرادة توسط مضاف إلينا .

---

(٩٧) راجع كتابنا « الأخلاق في الفكر العربى المعاصر » خاصة الفصل الأول الذي يعرض للاتجاهات التى سايرت الأخلاق اليونانية سواء عند أحمد لطفي السيد أو إسماعيل مظهر .

ثم يتحدث عن الرذيلة ، ويبين أن كل الفضائل والرذائل مكتسبة « وأنها ليست لنا بالطبع ، ولكنها فينا بالطبع » ، ثم يبين كيف تكتسب الفضائل والرذائل ،وأن الأخيرة لايمكن الإقلاع عنها مكتسبة أو غير مكتسبة(٩٨) .

ثم يتناول الفضائل بعد ذلك ويميزها عن غيرها ويفرق بينها وبين أحوال قريبة منها ، فيتحدث عن العفة ، ويبين الفرق بين العفيف والضابط ، وبين المتأدب وذوي الفضيلة الكاملة ، ثم القول فى الشره واللاضابط ، والقول فى كلال الشهـوة ، والقـول فى الحض علىٰ العفـة مستشهـداً بكـلام سقـراط وأفلاطون ، وأقاويل أهل الحكمة مثل فيثاغورس والإسكندر وهو ميروس .

ويتحدث عن « الحرية » وهي عنده « توسط فى إعطاء الأموال وأخذها » وانه لايجوز أن يكون « الحر » غنياً ، لأن الغني شرير وخسيس وشقي ، وأن الحريص ليس بغني وإن كثر ماله ، ثم يتحدث عن « الرفيع الهمة » وهو يزيد على ذي الحـرية بكثرة ماينفق ، والدنيء الهمة والمتبذّخ ، ويعرض حكايات « ظريفة » فى كبر الهمة » ، ثم يتحدث عن محبة الكرامة والمفرط في محبة الكر امة والمتصلّف (وهو المتكبر) والوضيع ، مع عرض لمجموعة حكم منثورة في الباب .

ويتنـاول الشجاعة وهي من الفضائل الأساسية التي أخذ بها الفلاسفة المسلمون فيتحدث عن : الشجاعة العامة والخاصة والنجدة ، وهي توسط بين الفزع والجرأة ، ويفيض فى الحديث عن الشجاعة وكيف تظهر ، والسبب المولد للشجاعة ، والتمييز بين الشجعان والمتشبهين بالشجعان ـ ثم يتحدث فى الجبن وفى التقحم ، وفى الهمّ ، ويفرق بين الهمّ والمخافة ، ويعرض للرحمة والحسد ولواحق الحسد والحسود ، وماجاء فى كلام أهل الحكمة فى ذلك .

كما يعرض للغضب ، والفرق بين الغضب والهم ، والغضب والحرد ، ثم يورد كلام الحكماء في الغضب ، ثم يتحدث عن الحلم وقول أفلاطون فيه ، والحيلة فى اكتسابه ، ويعرض لمنثور كلام أهل الحكمة في الغضب والحلم ، كما يعرض للبغضة ويعرفها ماهى وفواعل وأسباب البغضة ، والعداء والحذر من العدو والتحذير من المعاداة .

---

(٩٨) ومن اللذة ينتقل بنا إلى الفضيلة محور القسم الثانى من كتابه ، وإن كان العامرى لايعطى عناوين لهذه الإقسام .

ويستفيض فى الحديث عن المحبة وأقسام المحبات والفرق بين المحبة والصداقة ، وفى أن المحبة ضرورية في الحياة ، وأن كثرة المحبات طبيعية ، وأنواع المحبات : الخير واللذيذ ، والنافع ، ويعرض بعد ذلك للواحق المحبات الذاتية وخواصها والعرضية وخواصها .

ثم يتناول الصداقة ، وهل يحتاج السعيد إلى أصدقاء ؟ وأسباب الصداقة ، وأقوال الحكماء فيها .

ثم يعرض للمعاشرة وأنها ضرورية فى الحياة ومايجب للآباء والأمهات من حق العشرة والمحمود والمذموم فيها ، والمداعبة والراحة ، ويعرض « للكبير النفس » والعدل ، وفي نهاية القسم يقدم الوصايا الجامعة ، تلخيصاً لما جاء فى هذا القسم .

وينتقل العامري فى القسم الثالث من الأخلاق إلى السياسة ويتناولها تحت اسم « الإسعاد »(٩٩) فهو هنا يعبر أصدق تعبير عن التقليد الذى يربط بينهما ربطاً وثيقاً ، ويعرض للإسعاد وطريقته ، و مايقوم به ويفيد منه ، وسبيل الاحتراز مما يثبط عنه ، ووجه العلاج فيما ينكب منه .

ويبدأ القول فى « الإسعاد » وهو قيام السائس بما يسعد المسوس بالتدبير السديد إلى الغرض الذى أقامته السنة في السياسة ، والغرض هو تحصيل صلاح الحال لكل واحد من الناس بإكسابهم الخيرات الإنسية : العفة ، الشجاعة ، الحكمة ، والعدل والتى توصل إلى الخيرات الإلهية ، فالغرض الأقصى عند العامري هو استكمال الهدف الذي خلق الإنسان له وهو العقل المدبر للإنسان .

ويتحدث عن طريق الإسعاد وهو السنة المسنونة أي طريقة الشريعة ، ويتبين أن الطريق واحد ، وأنه ليس يجوز أن يكون أكثر من واحد وأنه متبع لامخترع ، ويتبع ذلك القول فى السائس (المشرع) وأنه لايجوز أن يكون واحدا من الجملة ، وأن السنّة غير نافعة بذاتها للجملة دون السائس .

---

(٩٩) ينتقل العامري في القسم الثالث من كتابه من السعادة إلى الإسعاد أو من الأخلاق إلى السياسة ، ويتحدث عن طريق الإسعاد وهو السنّة المسنونة .

ثم يبـين ضرورة السائس ، ويحدثنا عن الصفات الواجب توفرها فيه ، ويناقش جواز انتـظام رئـاسـة واحـدة برئيسين ، وهو قول الفارابي ويرفض العامري هذا الرأي فلا يجوز أن يكون الرأس أكثر من واحد . فمن لا رأي له لايستحق الرئاسة .

ويبـين أهمية الأسـاس الأخـلاقي للحكـام وضرورة أن يتحـلى الحاكم بالصفات الأخلاقية ، ويؤكد أن الرئيس إذا لم يكن فاضلاً فإنه لاينفع ويضر مع ذلك المضرة العظيمة .

ويتناول بعد ذلك القول فى كيفية الإسعاد وكيفية السياسة وبيان المعنى (الهدف) الذى جُعِل الملوك له ، فيورد كثيراً من أقوال أنوشروان ، ويتحدث عن اقسام الرعايا وأنواع السياسات مستعيناً بأقوال أفلاطون وأرسطو .

ويتحدث عن العدل وبيان أنه ضروري وطبيعي في الحياة ، فيشير إلى العـدل ماهـو ؟ وأقسامه و الإفضال والجنايات وأنواعها والعقوبات التى تلزم والجور والأسباب الباعثة عليه ، ثم يبين شرف العدل وعلو الانتفاع به وخساسة الجـور وعـظيم المضرة به اعتماداً على كلام أفلاطون وأرسطو ثم يذكر أقوالاً جاءت عن العدل للنبي (ص) وعن أصحابه [(١٠٠)].

ويخصص العـامـري القسم الـرابـع من كتـابـه لأقسـام الـرئـاسـات (الحكـومـات) وأصنـاف المـدن . والرئاسة عنده إما أن تكون : طبيعية أو عرضية ، عامية أو خاصية ، شريفـة أو خسيسة . والرئاسة تشرف بأسباب يعـددهـا لنـا : أحـدها شرف الرئيس وفضله ، والآخر شرف المرؤوسين أو كثـرتهم ، والثالث أن تكون جارية على نفع المرؤوسين واستصلاحهم . ثم يتحدث عن أقسام الرئاسات وزوالاتها (فسادها) اعتماداً على تصنيف أرسطو للحكومات الصالحة والفاسدة ، وهى ثلاثة أنواع :

أولها الملكية : وفيها الملك إما أن يكون : صالحاً أو فاسداً ، والصالح

---

(١٠٠) يتضح التوجه الإسلامي في عمل العامري في بداية كتابه حيث يوضح لنا أن مشرُوعه مشروع ديني ، ومن استشهاده الدائم بأقوال النبي والصحابة : فهو ينقل عن النبى ٢٨ مرة وعن علي ابن أبي طالب ٢٢ مرة وعن عمـر بن الخـطاب ١٢ ، بالإضـافـة للفلاسفة والكتاب العرب والمسلمين مثل الكندي وابن المقفع والجاحظ

تحقيق ماهو خير لمن يكون تحت رئاسته ، و « التغلُّبية » ، فالملك الردىء يصبر متغلِّباً ، وغرض المتغلِّب ماهو خير لذاته فى جميع الأمور .

وثـانيها : رئاسة الأخيار أو حكومة الأرستقراطية ، وغرضهم أن تكون الأمـة موزعـة بالعـدل ، ثم تنتقل هذه الرئاسة بعد ذلك إلى قلة من الذين يجعلون خيرات المدنية لذواتهم .

والرئاسة الثالثة التي يتحدث عنها هي رئاسة الكرامة التي تنتقل بعد ذلك إلى العامة ، حين تتحول إلى ديكتاتورية يبيح الحاكم لنفسه فعل كل مايريد . وهكذا يفعل كل فرد ، فتتحول إلى رئاسه العامة (الديمقراطية) (١٠١)

ويعـرض بعد ذلك الأحوال التى تنقلب عليها الرئاسات ويبين السبب المولِّد للفساد في الدول ، اعتماداً على أقوال أفلاطون . وبعد ذلك يتحدث عن المتغلِّب ووزير المتغلب وصفته .

ثم يتحدث عن أقسام المدن : الفاضلة والخسيسة والحكيمة والجاهلة ، والشقية ، وصفـات هذه المدن فيذكر صفة المدن الشقية ، وهى مدينة أهل الـزَّيْغ والتغلُّب ، وصفـة المدينة السعيدة وهى التى تكون : حكيمة ونجدة وعفيفـة ، أي التي تكـون ذات أساس أخلاقي . ويفصل الحديث في هذه المـدن : فالحكيمـة هي التي تكون في رؤسائها الحكمة ، خاصة في الرئيس الأعـظم ، والنجـدة هي التى تكـون فى الحفـظة جرأة على الأعـداء ونصرة لمحاربتهم ، والعفة هي مواقبة صوت الأخس لصوت الأفضل بالطبع .

ثم يختتم هذا القسم بوصف أفلاطون لأخلاق أهل زمانه ومايجب للمدينة على أهل المدينة (١٠٢) .

ويعـرض فى القسم الخـامس السلوكيات السياسية كما يطلق عليهـا أركـون (١٠٣) ويعـطيهـا العـامري عنوان « في أقسام السياسة على وجه آخر »

---

(١٠١) راجع عرض د . أميرة حلمي مطر للسياسة عند أرسطو في كتابها « فلسفة السياسة من أفلاطون إلى ماركس » . دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٧ .

(١٠٢) قارن مع الفـارابي في آراء أهـل المدينة الفاضلة ، تحقيق د . ألبير نصري نادر . دار المشرق ، بيروت ١٩٨٢ .

(103) 11. M. ARKOUN, P. 69.

ويناقش عدة مسائل أولاها سياسة السلم والحرب وبأيهما نبدأ ثم القول في السائس وأنه لايجوز أن يقوِّم غيره قبل أن يتقوّم هو أولاً في نفسه ، ثم يبين الآداب التى يحتاج الملك والسائس أن يأخذ بها نفسه ، مثل مايجب أن يعامل به الرئيس زميله ، وجلوس الملك للعامة .

ثم يقدم بعض المبادىء « القوانين الكلية » التي يجب على الملك أن يراعيها في تعامله مع الرعية : بيان أوجه الحزم في السياسة ، وأن السياسة يجب أن تجري على العنف والرفق ، الترغيب والترهيب ، وفي ضرورة العقوبة وأنواعها .

ويخصص فقرة هامة لذكر الأسباب التي تتولد فيها الآفات المفسدة للسياسة المؤدية إلى خراب العمارة وإلى فقر الرعية .

ثم ينتقل إلى الحديث عن الحرب والدفاع وإلى الأسباب التى بها يمكن المدافعة ، وذكر الأسباب التى بها يطمع في الغلبة عند المناجزة وتنظيم أمر الجنود ، وذلك بذكر الرئاسات التي بها ينتظم أمر العسكر ، ويقدم تفصيلات عديدة لبيان مهام القواد : صاحب الشرطة ، قائد الطليعة ، والرسل . ويختتم ذلك بقوانين ووصايا .

ويقدم في القسم السادس والأخير من الكتاب بعض الآراء المتنوعة والقواعد التامة ، فيذكر أولاً مايجب أن يأخذ به الملك نفسه ورعيته من معرفة الله ، ويذكر ماروي عن الفلاسفة في صفة الله . ثم يتحدث عن الاجتماع والزواج ، لينتقل بعد ذلك إلى التربية التى يخصص لها الصفحات العديدة لبيان الفرق بينها وبين السياسة ، وماهو الأدب والحكمة ، والأدب الذى يُربَّى به الأطفال ، وأنواع التربية المختلفة ، ويربط بين التربية والأخلاق ، ويتحدث عن العادات وكيفية التعود على الصبر والحلم وحسن الطاعة للرؤساء وللمسنين .

ويذكر مايجب أن يفرض على الأولاد للوالدين ، وآداب التعامل .

ثم يتناول العلوم وكيفية التعلم ، والسن التي يجب فيها التعلم وأنواع العلوم المختلفة التي ينبغي أن يتعلموها ، ويفيض في بيانها ويتوقف عند الفرق بين المنطق وسائر الصناعات .

ثم يتحدث عن سياسة النساء موضحاً أن ميلهن إلى العلوم لايقل عن

الرجال [١٠٤] ، والحقوق التى يجب على المرأة اعتقادها ورعايتها ، فيما يجب على الوالدين تقريره في نفس الابنة : حقوق الزوج وكيفية التعامل مع من يكون تحت يديها ، وسياستها للأولاد ، وأمر لباسها وزينتها .

ثم يعرض لسياسة الصناع وينتقل إلى سياسة الجند ، ويعرض للقول في مساكنهم وجراياتهم . ثم يتحدث عن السياسة الاقتصادية ، وكيف ينبغي أن توزع الخيرات على أهل المدينة .

ويتوقف للحديث عن الرأي وأصحاب الرأي ، والحض على الاستشارة ، والتحذير من الاستبداد ، والحاجة إلى الوزير ، وبيان صفاته ، وأسباب اختياره ، واختيار العمال ، وتفقد أمورهم وأحوالهم . . إلى غير تلك المسائل التى تحفل بها كتب السياسة .

* * *

(١٠٤) يقدم العامري في كتابه رأيا متقدماً حول المرأة ، ويرى أنها لاتقل مكانة عن الرجل ، وأن ميلها للعلم والتعلم يتساوى بالرجل ، وهو رأي مستنير ومتقدم من فيلسوف في القرن الرابع الهجري .

تعليقات على المواضع في :

شعر الأحوص الأنصارى

الشيخ حمد الجاسر (*)

صدر « شعر الأحوص الأنصاري » في عام ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، في طبعة مزيدة ومنقحة .

وهذه التعليقات القيمة ثمرة قراءة متأنية للشيخ حمد الجاسر - أطال الله عمره - في شعر الأحوص . وتتركز على المواضع الواقعة في الجزيرة . وهو جانب مع قوة صلته بالأدب العربي القديم لا يزال في أشد الحاجة إلى الدراسة والبحث .

« المجلة »

(*) علم من أعلام الدراسات الجغرافية التراثية ، وبخاصة في ميدان تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة العربية . كتب وحقق الكثير من كتب التراث الجغرافي العربي ، وهو صاحب مجلة « العرب » التى تصدر في الرياض بالسعودية

كان الدكتور عادل سليمان جمال قد تصدَّى لجمع شعر الأحوص ـ عبد الله بن محمد الأنصاري شاعر المدينة في العهد الأموي ، وقـدمه من خلال رسالة نال بها درجة (الماجستير) من جامعة القـاهرة سنة ١٩٦٤ م ثم نشرها سنة ١٣٩٠ (١٩٧٠ م) بمقدمة للدكتور شوقي ضيف قال فيهـا : (. . . أعـادَ عادل سليمان جمال الأحوص إلى الحياة ، وبعث ديوانه من جديد ، وذَلّل ما فيه من صِعَاب ، وجعله ميسَّرا للقارئين) .

وقد تابع عمله فعثر فيما نُشِر من المؤلفات بعد صدور الديوان ، وفي مخطوطة كتاب « منتهى الطلب » على شعر أخلَّ به أولاً فأضافه وأعاد النشر في (طبعة مزيدة ومنقحة) صدرت هذا العام ـ ١٤١١ هـ (١٩٩٠ م) .

والـدكتور عادل ـ كما يصفه أُستاذه الدكتور شوقي ضيف ـ من أولئك الذين صَبُّوا عنايتهم على نشر الدواوين والمجاميع الشعرية القديمة ، وممّن كلف نفسه صنعة ديوان من الدواوين التى سقطت من يد الزمن ، ولم يَعُدْ هناك سبيل إلى نشرها وبعثها من جديد ، إلاَّ أن تُجْمع أشعارها من بطون الكتب والمصادر والمراجع القديمة .

وسبق للدكتور عادل أن نشر « ديوان حاتم الطائي » محققاً مدروساً سنة ١٣٩٧ ـ تقريباً ـ انظر « العرب » س ١٣ ص ٧٢ ، ٤٧٧ ، ٦٠١ ـ ثم أعاد نشـره مزيدا ومنقحـا في العـام ـ ١٤١١ هـ (١٩٩٠ م) ـ انظر « العرب » س ٢٥ ص ٧١٦ ـ ولعـل اتِّجـاه الـدكتور عادل لتلك الوجهة الحميدة من جوانب إحياء التراث العربي يجعل القارىء يدرك أثر الحرقة والأَسى حين يمـرُّ بوصف ما اعتراه من تأثر لَمَّا سُبق إلى نشر « شعر ابن ميادة » بعد أن جمعـه وسوَّده ، ولـم يبق إلا الكتابة الأخيرة ليدفع به إلى المطبعة ـ مقدمة « شعر الأحوص » ـ ١١ ـ و« العرب » س ١٨ / ٤٣٠ .

وسيجـد أثـر ذلـك ـ بل أشـدَّ ـ في موقفه حيال عمل الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي حين أصدر « شعر الأحوص » ـ انظر « العرب » ٤ / ٩٤ ـ سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) أي بعد أن تقدم الأستاذ عادل به إلى الجامعة المصـرية بنَحْو خمس سنوات ، فأحس أنَّ الدكتور السامرائيّ (عدا على

عمله في صورتـه الأولى وادعاه لنفسه) . وكان من أثر هذا الإحساس أن تنازل الأستاذان الجليلان وتصاولا وتجاولا بعبارات من التهم والسباب تزري بقـدر من لا يرقى إلى منـزلتيهمـا في العلم وسمـو الأخـلاق ـ انظر مجلة « الثقـافـة » المصـرية ـ العـدد العاشر سنة ١٩٧٤ ومجلة « كلية الآداب » البغدادية العدد الثامن عشر ـ ومجلة « المورد » العدد الرابع سنة ١٩٧٥ م .

ما كان الأستاذ الدكتور السامرائيُّ ـ ومنزلته في العلم هي هي من عُلُوِّ المكانة ـ بحاجة إلى أن يغير على جهد من كان ينظر إليه عند نشر رسالته بمنـزلة أحد تلاميذه ، وما كان شعر الأحوص بمنزلة من الخفاء ومن جهل مصادره بالدرجة التي تحمل إلى التشبث بأوهى الأسباب وأضعفها لجمعه ، بل ليس من المبالغة القول بأنه لو اتَّجَهَ عدد من الباحثين إلى ذلك لما وُجد فَرقٌ مُميِّزٌ لما جمعه واحد منهم ، ليصح له ادعاء السبق والاختصاص ، وهذه الجامعات على كثرتها وتشابه مناهجها في مختلف أقطار البلاد العربية . إنها لبادرة أمل إنْ صَحَّ أنها على درجة من التواصل والترابط وتبادل المعلومات ، بحيث يَتَسَنّى لِأيٍّ باحث أو دارس في إحدى الكليات معرفة ما يتصدَّى له دارسو الكليات الأخرى من أبحاثٍ ودراسات ، وبهذا تَدْرأ بواعث الفوضى والارتباك والتضارب بين اتجاهات الباحثين في تلك الكليات .

ولا شك أن دراسة أية ناحية من نواحي حياتنا الفكرية ليست محجورة أو محصورة بل هي حق مشاع ، وإن كان توحيد الجهود في جميع الأعمال العامة النفع من الأمور المحمودة ، بل المطلوبة ، إلا أن التنافس في القيام بها محمود أيضا ، ما لم يكن من بواعث التنافر والحسد ، وإثارة العداوة بين هداة الأمة وقادتها من مثقفيها .

ويظهر أن الشاعر الأحوص محظوظ من حيث الاهتمام بدراسة شعره ، والتأليف عنه ، فمع كثرة من تناوله بالدراسة عرضاً أثناء الدراسات الشاملة في تاريخ الآداب العربية ، قديما وحديثا ، من عهد ابن سلاَّم والأصفهاني إلى زمن شوقي ضيف وطه حسين ، فقد تصدَّى لإفراده بالتأليف في هذا العصر ثلاثَةٌ من الدارسين في ثلاثة أقطار مختلفة ، آخرهم الأستاذ محمد علي سعد

من بيروت ، في مؤلف دعاه « الأحوص بن محمد الأنصاري ـ حياته وشعره » نال به درجة (الماجستير) فى الآداب من الجامعة اللبنانية ، ونشره سنة ١٩٨٢ م .

وأثناء إقامتي في القاهرة ـ في شهر شوال من العام الماضي ـ أمتعني الدكتور عادل إذْ هَيَّأ لي مطالعة شعر الأحوص ، فى طبعته الحديثة ، ومع أن الطبيب حاول أن يحرمني ـ من بين ما حرمني من متع الحياة ـ أسماها وأعمقها أثـراً في نفسي ، وهي متعـة القـراءة ـ إلا أنني أخذتُ منها بأوفر نصيب ، فقد كنت ولا أزال ذا وَلَعٍ بقراءة الشعر العربي القديم ، لِمَا أُحس به من عمق ارتبـاطه بالحياة العربية ، فأستجلي من خلال هذا الإحساس أخيلة عُمْقِ الصلة بين تلك الحياة القديمة وبين حياتنا الحاضرة ، وتمدُّها بفيض من الحيوية والقوة .

وكانت لي وقفات قصيرة أردتُ من خلالها أن أعبِّر للدكتور الكريم عن تقـديري لعمله تقدير المستفيد المستزيد ، فقد وجدت من رحابة صدره ـ حيال ما تحدثت به عن « ديوان حاتم الطائي » ما أدركت جانبا من سماحة نفسه ، وسجاحة خلقه بنشر ذلك الحديث دون تأثر أو امتعاض ، وما أردتُ أولاً إلا أن أُوجد صِلَةً يجب أن تقوى وتتصل ـ بيني وبين باحث كريم ، معنيٍّ بدراسة ما لأمتنا من تراث أصيل .

وسيرى ـ أدام الله له التوفيق ـ كما يرى غيره من القراء أنني في خلال تلك الـوقفـات القصيرة لا أتجـاوز ناحيةً خاصـةً من جوانب تلك الدراسة الشاملة ، هي ما يتعلق بتحديد المواضع الواردة خلالها ، مما قد يكون لي من الصلة بها ما يبيح لي التوسع في الحديث عنها ، وللأستاذ الكريم واسع العذر في خفاء بعضها ، إذ ليس ثَمَّ وسيلة أمام أي باحث لمعرفة أمكنة الشعر القـديمة سوى مؤلفات العلماء الأقدمين كـ « معجم ما استعجم » للبكري و« معجم البلدان » للحموي وأمثالهما من المؤلفات التي لم تَعُدْ كافية لتمدَّ الباحثين بالقول الفصل في تحديد تلك الأمكنة وتعيين مواقعها ، لأنها تنحو

غالبا في التعريف بها أساليب كانت ذات جدوى في الأزمنة الغابرة ، كتعريف الموضع بنسبته إلى ساكنيه من فروع القبائل المعروفة في تلك الأزمان ، أو بتحديد صلته بأحد الطرق الرئيسة المسلوكة فى ذلك العهد ، أو بتقدير المسافة بينه وبين مكان معروف بما كان متعارفا في ذلك العصر كالفرسخ والميل ، أما الآن فسكان البلاد الأقدمون زالوا عنها وتعاقب سكناها آخرون ، فأصبح من فضول القول ـ إن لم يكن من لغوه ـ تعريف الموقع بساكنه اعتمادا على ما ورد فى إحدى المؤلفات ، ومن أمثلة هذا :

١ ـ الأبرق : منزل من منازل بنى عَمْرو بن ربيعة	(٢٠٦)
٢ ـ ذو الأثل : في بلاد تيم الله بن ثعلبة	(١٥٣)
٣ ـ بَيْش : جبل لبني هلال بن عامر	(٩٢)
٤ ـ الجمد : جبل لبني نصر	(١١٠)
٥ ـ حصِير : جبل لغطفان	(٢٥٥)
٦ ـ الرَّجِيع : ماء للحيان	(٢٠٠)
٧ ـ رُواوة : جبل لمزينة	(١٠٩)
٨ ـ السفح : مكان كانت به وقعة بين بكر وتميم	(١٤١)
٩ ـ سنام : جبل لبني دارم	(٢٣٧)
١٠ـ السَّنَدُ : ماء معروف لبني سعد	(١١٠)
١١ـ فَلْج : من منازل بني العنبر	(٢٣٦)
١٢ـ اللوى : واد من أودية بني سليم	(١٤٦)
١٣ـ الملا : موضع من أرض كلب	(١٤٦)

ومثل ما تقدم ذكره من تحديد الموضع بقربه من آخر :

١ ـ بِرْكُ الغِمَاد : وراءَ مكة بخمس ليال	(٩٢)
٢ ـ بيش : بين مكة ومصر	(٩٢)
٣ ـ سنام : جبل بين البصرة واليمامة	(٢٣٧)
٤ ـ الشُبيكة : منزل بين البصرة واليمامة	(٢٣٧)

٥ ـ فلج : واد بين البصرة وحِمَى ضرِيَّة (٢٣٦)

ومثل :

١ ـ سرف : على ٦ أميال وقيل ٧ وقيل : ٩و١٢ (٢٠٠)

٢ ـ الرَّوْحَاء : من عمل الفُرْعِ على أربعين ميلا (١٣٢)

٣ ـ مُزَج : غدير بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخا (١٠٦)

قد يقال بأن الدارس لا يجد أمامه حين يحاول معرفة تلك الأماكن وأمثالها سوى تلك التعاريف الواردة عن أئمة الأدب واللغة القدماء ، وهم القدوة في ذلك ، واطِّرَاح آرائهم إزراءٌ بقدرهم ، وهذا القول فيه بعض الحق ، ولكن ما نسب إلى أولئك الأئمة من ذلك مع قصور كثير منه قديما أصبح معدومَ الفائدة في هذا العصر ، وهم ـ نَضَّر الله أرواحهم ـ بذلوا الوسع في البحث والدراسة ثم قدموا ما استطاعوا تقديمه مع اعترافهم بالعجز والتقصير ، ومع حثهم على مواصلة التعمق في استعمال كل الوسائل التي تمكن من بلوغ الحقائق أيًّا كانت ، وفي أية ناحية من نواحي العلم والمعرفة .

وفي هذا العصر الذي زخر فيه كلُّ قطر من أقطار الأمة بمختلف الجامعات ومعاهد الدراسات ، وتيسرت جميع السبل لنيل المعارف والعلوم بما أنتجته العقول من مختلف الوسائل ، وتنوعت اتجاهات البحوث والدراسات حتى شملت مختلف أوجه الحياة ، أفما كان جديرا بمن يُعْنَى بدراسة تراث الأمة من أساتيذ تلك الجامعات الاتجاه إلى الاهتمام بالتعمق في البحث في الجوانب الجغرافية من أدبنا وتاريخنا القديم ، بإيضاح معالم تلك الجوانب ، التى بدون إيضاحها تبقى كثير من نصوص ذلك الأدب مستغلقة الفهم ، وقد يكون من أثر هذا الاستغلاق جهل خصائص البيئة ومميزاتها ، وبدون معرفة هذه الخصائص تبقى معرفتنا ناقصة .

لقد أَوْغَل بِي الاستطرادُ بالتمثيل حتى أوشكتُ أن أتجاوز القصدَ ، إذْ وجدتُ مجالَ القول ذا سعةٍ حين رأيتُ كل من تَصَدَّى من الباحثين في عصرنا

لتحقيق أي نص قديم من شعر أو نثر ذي ارتباط بأحد المواضع ، لا يتجاوز تحقيق مكانه ما ورد عنه من تحديد في أحدِ تلك المؤلفات ، ويرى أنه عثر على ضالَّتِهِ المنشودة بذلك ، دون أن يكلف نفسه عناءَ محاولة إدراك مدى انطباق نصوصها على ما يتناوله بحثه ، ولا أستثني من هذا أحداً ، وما أردتُ ـ وأيْمِ الحق ـ بهذا القول النيلَ من أي جهد يبذل في سبيل إبراز خفايا تراث الأمة ، أو إحياء ما درس من علومها ومعارفها ، وإنما قصدتُ أن أقِفَ من ذلك الجُهْدِ ـ أيًّا كان مبلغه قوة أو ضعفاً ـ موقفَ المعترف لصاحبه بالفضل ، وذلك بالمشاركة بتعميق نظرتي فيه ، ولعل هذه المشاركة هي أوضح تعبير عن تقديري له واهتمامي به .

وأمر آخر ـ أجعله نُصْبَ عَيْنَيَّ فيما أنشره في هذه المجلة أو غيرها ، وهو أنَّ جُلَّ قرائها يتوقون إلى معرفة الكثير عن بلاد العرب ، وقَلَّ أنْ يردَ اسم موضع في شعر قديم ؟ ولا يكون من بينهم من تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُ ليعرف عنه مايُحِسُّ أنه بحاجة إلى معرفته ، من هنا فأنا لم أَبْسُط القولَ في كتابة هذه التعليقات إلَّا وأنا أُدرك أن المعنيين بتحقيق النصوص القديمة غَيْرُ مطالبين بالتوسع بتحديد مواقع ما يمر بهم من مواضع ، إذْ لذلك مكانه في الأبحاث المخصصة له ، وأُدرِكُ مع هذا أن قراء ما أكتب بحاجة إلى المزيد من الأبحاث المتعلقة بالمواضع الواردة في الأخبار أو الأشعار ، وأُدرك مع كل ذلك أن شاعراً من أبناء الأمة العربية يتوق كثير من مثقفي أبنائها إلى معرفة ما يقوي الارتباط بينهم وبين هذا الشاعر ، ولعل من أقوى الوسائل لذلك معرفة مرابع صباه ، ومراتع لهوه في غدوه وروحاته ، مما ورد في شعره من التغني بتلك المنازل والديار (والدار لَو كَلَّمَتْنَا ذاتُ أخبار) !

وسوف لا أتعرض للأماكن المعروفة كمكة والمدينة وحلب والشام . وإنَّما أُحاول تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة ، مما يتكرر ذكره في الشعر القديم ، أو مما هو مجهول لدى أكثر القراء ـ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً ـ فهذا الجانب مع قوة صلته بالأدب العربي القديم لا يزال في أَشدِّ الحاجة إلى الدراسة والبحث .

وقفـات قصـيرة

ويحسنُ قبل البدْء بما قصدته أن أقِفَ وقفات قصيرة وقوف المستوضح المستزيد من الفائدة :

١ ـ ص ٢٤ : في نسـب الأحـوص : (قيس بن عصيمـة بن النُّعْمَانِ بن أُمَيَّة بن ضُبيعة بن مالك بن عوف) .

(١) (أُمَيَّة) هذا صوابـه : (أُمـة) كمـا نص على ذلك ابنُ حبيب في « مختلف القبـائل ومؤتلفها » ـ ٣٤١ نشر (دار اليمامة) ـ إذ قال : (وفي الأنصار أُمةُ بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف) ـ حتى بلغ الأوس ، وقال : (في قيس : أمة بن بجالة بن مازن) ـ وساق النسب إلى ذبيان . ومثـل هذا في « الإيناس » ـ ٧٥ نشر (دار اليمامة) ـ على أن نسب الأحوص في « مختصر جمهرة النسب » مخطوطة مكتبة راغب باشـا ـ المتقنة الضبط ، ورد على هذا النحو ـ ص ١٧٣ ـ : الأحوص الشاعر وهو عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ واسمه قيس ـ بن عِصْمَة بن مالك بن أَمة بن ضُبَيْعة بن زيد . ومثل هذا في « الاشتقاق » ـ ٤٣٧ ـ .

(٢) أمَّا (عُصَيْمَةَ) فأكثر المصادر وأصحها وأقدمها تثبت (عِصْمَة) .

٢ ـ ص ٩١ : (وَقَدْ شَاقَها مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا)
وشرح المحقق الكريم كلمة (طرح) بمعنى رَمَى وأبعد .

ألا يمكن أن تكـون كلمـة (طرحت) ـ بالراء ـ تصحيف (طوحت) بالواو ، ولاسيما أن المصدر « معجم مااستعجم » لأبي عُبَيْدٍ على مافيه من تصحيف كثير في الأصل ، فلا يؤمن أن يقع في الكلمة تطبيع (خطأ مطبعي) .

٣ - ص ١٠٦ :

(ولَوْلاَ الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكِ لَمْ تَجُبْ   مَسَافَةَ مابَيْنَ الْبُوَيْبِ ويَثْرِبِ)

تحت كاف الضمير كسرة (بينْكِ) .

وهذا يوهم أنَّ المخاطَب امرأةٌ ، والبيت مفرد لاارتباط له بما قبله ولابما بعده ، وأُراه من قصيدة في مدح عبد العزيز بن مروان أمير مصر الذي ذكر المحقق في المقدمة ـ ٥١ ـ أنه مدحه وتجشم الرحلة إليه على مشقة ، فذكر قطعه المسافة الطويلة بين مصر والمدينة لما بين الرجلين من صلة .

٤ - ص ١١٤ : ورد بيت كعب بن زهير غير مستقيم الوزن هكذا :

تَخْدِي عَلَى يَسَراتٍ وهْيَ لاحِقَةٌ   بِأَرْبَعٍ وقَطْعُهُنَّ الأرضَ تَحْلِيلُ

ونص البيت في شرح ابن الأنباري لقصيدة (بَانَتْ سُعَاد) تحقيق الدكتور محمود حسن زيني ـ ١٠٤ ـ :

تَخْدِي عَلَى يَسَراتٍ وَهْيَ لَاحِقَةٌ   ذَوابِل وَقْعُهُنَّ الأرْضَ تَحْلِيلُ

وبحذف الواو يستقيم الوزن ، ولعل زيادتها تطبيع .

٥ - ص ١٦٣ : في شرح البيت :

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ قُمْرِيَّةٍ بَرَدًا   غُرًّا تَرَى في مَجارِي ظَلْمِهِ أُشَرَا

قال المحقق الكريم : (استعار الريش هنا ليدي المرأة لما فيهما من نعومة وبضاضة) .

ولم لايكون المعنى أن صاحبته تجلو أسنانها بريشتين من ريش قوادم قُمْرِيَّة ، وفى كتاب « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري ـ وهو من مصادر المحقق الفاضل على ماأشار إلى ذلك ص ٣٤٤ ـ ماهذا نصه :

وَقَالوا : أجودُ ماقيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :

تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّهُ   بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ

وقالوا بيت النابغة :

تَجْلُو بقـادِمَتَيْ حَمَـامَـةِ أيْكَـةٍ بَرَدًا أُسِـفَّ لِثَـاتُـهُ بالإثْـمِـدِ
كَالأُقْحُـوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَـائِـهِ جَفَّـتْ أعَـالِـيهِ وأسْـفَـلُهُ نَدِي

شبه الشفتين لرقتهما بقادمتي حمامة . كذا قال العسكري في كتابه - ٢٣٨/١ ط القدسي - ولكن الشرح المنسوب للأعلم لشعر النابغة جاء فيه مانصه - « ديوان النابغة » ط دار المعارف بمصر ص ٩٤ - : (تَجْلُو بقادِمَتَيْ حمامةٍ) يقول : إذا تَبَسَّمَتْ كشفتْ عن أسنانٍ كأنها بَرَدٌ لبياضها وصفائها . والقادمتان : الريشتان اللتان في مقدمتي الجناحين ، يعني أن في شفتيها لَعَسًا وَحُوَّةً ، وهـو سُمْرَةٌ في الشفتين ، وهما لطيفتان بَرَّاقتان ، فشبههما بالقادمتين لذلك ، وأراد بالحمامة : القِمْرية ، وخص القادمتين لأنهما أشدُّ سواداً من سائر الرِّيش ، وقيل : أراد بالقادمتين إصْبَعَيْهَا ، يعني أنها تجلو أسنانهـا وتصقلهـا بالسـواد ، وشَبَّهَهما بالقادمتين لطولهما . والقول الأول أصح . ولا أزال أرى أن قادمتي ريش الحمام كان يستعمل لجلاءِ الأسنان .

٦ - ص ١٦٥ : جاء في الحاشية هذا البيت :

(إلـى قاعِ الـنَّقِـيـرِ إلى قَرارِ حِلالِ ذِي حَدرِ)

قَولَ المحقق الفاضل في شرحه : (وحلال : من نواحي اليمن) .
وَأَقُولُ : لماذا لا يكون حلال هنا بمعنى (نزول) كما قال زهير :

لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّـاسَ أمْرُهُمْ إذَا طَرَقَتْ إحْـدى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

وَحيٌّ حِلَالٌ : أي كثير ، وأنشد الأصمعي :

أَقَـوْمٌ يَبْـعَـثُـونَ الْـعِيرَ نَجْـدًا أَحَـبُّ إلَـيْكَ أَمْ حَيٌّ حِلَالُ ؟

والحِلال : القوم المقيمون المتجاورون - انظر « لسان العرب » - حلل -.

٧ - ص ٢٤٦ : ورد البيت :

(فالآنَ لمَّا حَلَّ ذُوْ الأَثْلِ دُوْنَهَا نَدِمْتَ ، ولَمْ تَنْدَمْ هُنالِكَ مَنْدَما

أخشى أن تكون كلمة (حَلَّ) هنا وقعت تطبيعا ، فالمتبادر إلى الفهم (حال) .

٨ - مما لم أره في الشعر المنسوب إلى الأحوص ثلاثة أبيات وردت في « خزانة الأدب » ٢/ ١٩٢ بهذا النص :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلامُ

وبعد شرح البيت قال صاحب « الخزانة » : وهذا البيت أول أبيات ثلاثة نسبت للأحوص أوردها الدميري وابن أبي الأصبع في « تحرير التحبير » . والبيتان الآخران هما :

سأَلْتُ النَّاسَ عَنْكِ فَخبَّرُوني هَنًا مِنْ ذَاكِ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ

وَلَيْسَ بمَا أحلَّ اللهُ بَأْسٌ إذَا هُوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الحَرَامُ

٩ - ويبدو أن المحقق الكريم لم يُشرف على تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ولهذا وقعت تطبيعات طفيفة ، ومن أمثلتها :-

(١) في فهرس الأماكن : عدم ذكر أسماء بعضها مثل (أحجار المراء : ٢٧٣ ، الحِجْر : ٢٤٨ ، راهط : ٢٤٨) .

(٢) - وأخطاء في ضبط بعض الأسماء مثل كلمة : (حبر : ١٣٠) حيث وضع على الحاء فتحة والباء شدة وفتحة ، بل ورد ص ١٣٠ : (حِبَّر - بتشديد الباء) والصواب هنا بتشديد الراء وكسر الباء والحاء .

والرُّوَيْثَة : ١٦٠ حيث وضع الاسم (الرَّوِثِيَّة) فى هذه الصفحة وفي الفهرس .

(٣) أمـا الإحـالة عند ذكر الأسماء إلى صفحات غير صحيحة فهي من الكثرة بمكان .

وما الغاية من هذا سوى لفت نظر المحقق الكريم عند إعادة طبع الديوان مرة أخرى إن شاء الله .

ولأعُـــدْ إلى ما أنا بســبيله :

١ - الأَبْرَقُ : (٢٠٦)

شَأَتْـكَ الْـمَـنَـازِلُ بالأَبْـرَقِ　　　دَوَارِسَ كَالْـعَـيْنِ في الْـمُـهْـرَقِ

(. . . . . . . الأَبْرَقُ : البُرْقَةُ - وقد مضى شرحها : ق١ - ٦ - ويضاف إلى أماكن كثيرة ، ولكنه بغير إضافة : من منازل بنِي عمرو بن ربيعة) .

القول بأن الأبرق من منازل بني عمرو بن ربيعة لياقوت في « مُعجم البلدان » ونقله صاحب « التاج » وأرى صواب اسم القبيلة (عمرو بن عامر ابن ربيعة) وربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومن هؤلاءِ : العَمْريُّ من عَمْرو عامرٍ رَوَى عنه الهجريُّ « التّعليقات والنوادر » - المخطوطة المصرية - ١٠ - وبلاد هؤلاء في جنوب نجد ، ولكن لاصلة للشاعر الأحوص بها ، ولاشك أنه أراد أحد الأبارق التي في بلاده في نواحي المدينة .

٢ - ذو الأثل : (١٥٣/ ١٦٦/ ٢٤٦)

أول ما يتبـادر إلى الذهن عند قراءة الأبيات الثلاثة التي ورد فيها ذكر (الأثل) أن الشاعر قصد النبات المعروف ، أو أراد مكانا ينبت فيه هذا النوع من الشجر من الأمكنة الكثيرة ، فقوله :

تلك بين الـرياض والأثـل والبـانا　　　ت مِنَّـا ومـن سلامـة نار

واضح أنه لايقصد مكانا بعينه .

أما قوله في البيت الذي قبله :

ضوء نار بدَا لعـينـيك أم شبـ ـت بذي الأثـل من سلامـة نار ؟

فقد عرف المكان الذي شبت فيه نار سلاَمة بـ (ذى الأثل) .

وكذا قوله :

فَالآنَ لمـا حَلَّ (؟) ذو الأَثل دونها نَدِمْتَ ولَمْ تَنْـدَمْ هنـالِـكَ مَنْـدَمـا

فهل (ذو الأثل) في البيتين وَصَفٌ أَوْ عَلَمٌ ؟ ! لو كان الشاعر يتحدث عن واحـدة من صويحبـاتـه بالأبيات الثلاثة لأمكن القول بأنه أراد موضعا بعينه ، ولكنه في حديثه عَنَى اثنتين ، سلامة ـ التى صرح باسمها في البيتين الأولين ، ولعلها سلامة القس المغنية المدنية التي تحدث عن صلة الشاعر بهـا محقق الـديوان في المقدمة ـ ٤٦ ـ والثانية مي التي وردت في مطلع القصيدة الميمية ـ ٢٤٥ ـ :

أمنـزلَتَيْ مَيّ على القـدم اسْلَمَـا فقـد هِجْتُمَـا للشوق قلبـا مُتيّمـا

فالأولى حجازية مدنية ، والأخرى عراقية :

عراقـية شطَّتْ وأصبـح نفـعهـا رجـاءً وظَـنًّـا بالْـمَغِيْبِ مُرَجَّمَـا

أخلص من هذا لأَصِلَ إلى القول بأن الشاعر لم يقصد مكانا بعينه ـ لكي نحاول تحديده كما فعل المحقق الكريم بإيراد تحديدين لموضعين أحدهما في شرق الجزيرة ، والآخر في غربها ، فقال عن ذي الأثل المقرون بذكر سلامة المدنية الحجازية : ذُو الأُثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت لهم بها وقعـة مع بني أسـد ـ ١٥٣ ـ [صواب الجملة : ذات الأثل ـ إلخ كما في « معجم البلدان »] .

وبصرف النظر عن مدى انطباق ماذكر على الموضع الوارد في الشعر ، فأية صلة لسـلاَّمـة ببلاد تيم الله المتصلة ببلاد بني أسد وتلك في أسافل الجزيرة حيث تتصل بسواد العراق ؟

وعرَّف المحقق الفاضل ذَا الأثل الذي (حال) - لاحَلَّ - دون صاحبة الشاعر الأخرى مَيّ بأنه موضع بـِ (وَدَّان) ، وهو واد قريب من مكة - ٢٤٦ - مع أن الشاعر وصفها بأنها (عراقية) نأت (وأتى خوف الطواعين دونها) ولعله يشير بهذا إلى وقوع (الجزيرة الفراتية) المضروب بها المثل بكثرة الطواعين - انظر (طواعين الجزيرة) في كتاب « ثمار القلوب » - وإن لم يتفق هذا مع تفسير المحقق للبيت . فكيف يحول موضع يقع غربَ الشاعر دون صاحبته التي تحل العراق شرقه ؟ ثم مادامت هذه المحبوبة (عراقية) فكيف يستقيم هذا مع قوله - قبل ذلك - ١٤٥ - :

فإني إذَا حلَّتْ بِبَيْشٍ مقيمةً ... وحَلَّ بِوَجٍّ سالمًا أو تَتَهَّمَا

(لعل الصواب : فأنّى) إذ (بيش) في أقصى الجنوب ، والعراق في الشمال ، وبيش بالنسبة لِلْمُتهْمِ قريب ، فهو من أودية تهامة ، وسيأتي تحديد موقعه .

لم يكن لتداعي هذه الخواطر في تفكيري سوى التأكيد بأن مجرد الاعتماد في فهم النصوص من أشعار القدماء وأخبارهم على مافي « المعاجم » قد يفضي بالباحث إلى متاهات في الرأي ، ومأرى الشاعر بذكر (ذي الأثل) عنى موضعا محدداً ، ولكنه اسم عرض له ، أو تخيله ، وليس بدعا في ذلك بين شعراء عصره ، فعمارة بن عقيل - حفيد الشاعر جرير - حين سمع من يفسر قول جده :

أمَّا لقلبك لايزال موكَّلاً ... بهوى جمانة أوبريا العاقر

بأن جمانة وريًّا العاقر امرأتاه - ضحك وقال : ماهما والله إلا رملتان عن يمين بيت جرير وشماله - « معجم البلدان » : جمانة - فكأن عمارة بقوله هذا يلمح إلى أن الشاعر قد يذكر في شعره اسم موضع لاأهمية له ، فيتمحل شارحو ذلك الشعر ويبالغون في محاولة معرفة ذلك الموضع ، وكأن الشاعر المتنبي عناهم بقوله :

إذَا شاءَ أَنْ يَلْهُو بلِحْيَةِ أحمق ... أراهُ غُبَاري ثم قال له الْحَقِ !!

٣ - أَرْثَـدُ : (٢٣٥)

أيا صَاحِب النَّخْلاتِ من بطن أَرْثَدٍ إلى النَّخْلِ مِنْ وَدَّان مَافَعَلَتْ نُعْمُ؟

(. . . أرثد : واد بين مكة والمدينة ، في دار الأبواء ، وودَّانُ : قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الفُرْع ، بينها وبَيْن هَرْشَا ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال) .

١ - (دار الأبواء) : الصواب : (وادي الأبواء) كما في « معجم البلدان » .

٢ - حقًّا الأَبْوَاءُ بين مكة والمدينة ، ولكن ماأوسع مابينهما ، والأبواء واد طويل يتكون من فَرْعَيْن طويلين ، هما وادي الفرع (وادي النخل) ووادي القاحَة ، فإذا اجتمعا سمي مجراهُمَا وادي الأبواء ، ويعرف الآن باسم (وادي الْخُرَيْبَةِ) يمتد نحو سبعين كيلا غربا صوب البحر على مقربة من قرية مستورة .

٣ - قرية ودَّان درستْ ، ولكنها كانت واقعة في أسفل وادي الأبواء (الخريبة) قبل أن ينحسر عن سلسلة الجبال نحو مستورة بما يقارب عشرة أكيال .

٤ - أَرْثَـدُ : يقع في أسفل وادي الأَبْـواء ، حتى إن بعض المتقدمين كالحازمي في كتاب « البلدان » قال : هو وادي الأبواء - « العرب » س ١٤ / ٥٣١ - أرثد من فروع الأبواء المنحدرة من جبل ثافل (جبل صبح) وكثيرا ماسُمِّيَ الوادي بأحد فروعه ، بل قد يطلق على الوادي أسماء متعددة بأسماء فروعه ، كوادي الأبواء فرعه الأيمن يدعى وادي الفُرْع ، والأيسر يدعى القاحة ، وأسفله يدعَى وادي ودَّان .

وفي شعر نُبَيْه بن الحجاج يرثي العاصي بن وائل ، وكان دفن بالأبواء :

يَارُبَّ زِقٍّ كالـحِـمَـار وجَـفْـنَـةٍ دُفِنَتْ خِلَافَ الـرَّكْبِ مَدْفَعَ أَرْثَـدِ

« معجم مااستعجم » . إذن فوادي أرثد هو أسفل وادي الأبواء حيث يدفع من جبل ثافل في أسفل الوادي عند قرية الأبواء الواقعة في أسفل الوادي ،

وأوضحُ مايحدد مكانها قبر السيدة آمنة بنت وهب أم المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الذي لايزال معروفاً في سفح الجبل ، وأرْثَدُ هو يرثد ، مثل ألملم ويلملم ، وأثقب ويثقب .

قال عَرَّامٌ : وفـي ثافِـل آبـار في بطن واد يقـال له يَرْثَـدُ ـ « نوادر المخطوطات » ـ ٢ / ٤٠١ ـ وثافل سلسلة من الجبال تحف بوادي الأبواء غربا (بين خطي الطول ٥٥َ / ٣٨° و ١٠َ / ٣٩° وخطي العرض : ٥َ / ٢٣° و ٤٢َ / ٢٣°) والطرف الجنوبي من هذه السلسلة كان يعرف بثافل الأصغر ، ويدعى الآن جبل بنى أيوب (بنيوب) والطرف الشمالي هو ثافل الأكبر ـ ومنه يسيل يرثد ـ ويدعى جبل صبح .

٥ ـ الأسماء التى لايدرك العامة معناها أو يصعب عليهم نطقها يغيّرونها إلى أسماء حديثة ، ومنها أرثد (يرثد) فليس معروفا ، على حدِّ علمي ، وقـد حاولت معـرفتـه حين قمت برحلة إلى المـدينـة مترسما طريق الهجـرة . وفـروع الأبـواء المنحـدرة من جبـل ثافـل (جبل صبح) متعددة ، ولكنها محددة من حيث الموقع .

٤ ـ أَسْقُفُ : (١٦٩)

لِغَـانِيَةٍ تَحِـل هِضَابَ خَاخٍ فَأَسْقُـفَ فَالـدَّوَافِـعَ مِنْ حَصِيرِ

(. . أسقف : موضـع بالبـادية . . وحَصِير : مضى ذكـره ـ ق ٦٣ هامش : ٧ ـ أما حضير ـ وهي رواية « وفاء الوفاء » فقاع فيه آبار ومزارع يفيض عليها سيل النَّقِيع ثم ينتهي إلى مُزْجٍ ، خضير : « معجم البلدان » (خاخ ، خطأ) .

همـا ملاحـظتـان هنـا أولاهما : عدم جدوى قول (موضع بالبادية) وخاصَّة مادامَ الموضع قد ورد تحديده عن المتقدمين ـ كالبكري في « معجم مااستعجم » والسمهودي في « وفاء الوفاء » وأصل التحديد من كلام الهجري

كما يفهم من كلام السمهودي ، فَسَيْلُ وادي العقيق يفضي من حضير إلى غدير يقال له المزج ، في شق بين جبلين يَمُرُّ به سيل الوَادي فَيحفره لضيق مسلكـه ، وهذا الجبل المنغلق الذي يمرُّ به السيل يقال له أسقف . انظر « أبوعلي الهجري » ـ ٢٩١ / ٢٩٢ ـ

والملاحظة الثانية : مادام صاحب « وفاء الوفاء » عَرَّفَ حَضِيراً ـ بالضاد المعجمة ـ التعريف المتقدم كما عَرفَ الهجريُّ أُسْقُفَ بأَنَّ سَيْل وادي العَقِيق يفضي إليه من حَضِير فقد وَضَحَ مَوْقعُ أسْقُفَ ، واتّضح أن صواب الاسم في شعـر الأحـوص حَضِير ـ بالضـاد المعجمـة ـ كمـا في « وفـاء الـوفـاء » ١٠٤٠/١١٩٢ ـ ومؤلف « وفاء الوفاء » أورد الاسم عن معرفة ، فبعد أن نقل قول الهجـري : العقيق يبتدىء أوله من حَضِير ، وقوله : إن حضـيراً آخر النقيع وأول العقيق ، أضـاف السمهـوديُّ ـ مؤلف « وفاء الوفاء » : حَضِير مزارع معروفة بقرب النقيع ، على أزيد من يوم من المدينة . إذَنْ الموضع كان معروفا في عهد السمهودي ـ القرن التاسع ـ وأنه بالضاد ، بَلْ قَدْ نَصَّ المتقدمون كنصر والحازمي على ذلك مع ذكر التفريق بين حضير وحصير ، ففي كتاب « البلدان » للحازمي : (بَابُ حَصِير وحَضِير : أما الأول ـ بفتح الحاءِ وكسر الصاد المهملة وآخره راء ـ : حِصْنٌ باليَمَن وأيضا جبل في بلاد غَطَفان . وأما الثاني ـ بالضاد المعجمة والباقي نحو الأول ـ : قاع فيه آبار يفيض عليها سيل النَّقِيع ، وبين النَّقِيع وبَيْنَ الْمَدِينَة عشرون فَرْسَخا) ومِثْلُ كَلَام الحازِميِّ في كتاب نصر بن عبد الرحمن الإسكندري ، وهو أصله . أمـا صاحب « معجم البلدان » فقـد سار على نهجهمـا ، فأورده بالضـاد (حضير) . انـظر « العـرب » س ٢٤ / ٦٩٩ ـ وللبكـري في « معجم مااستعجم » ـ رسم النقيع ـ وصَفٌ لحضير هذا فيه تفصيل ، ولكن الاسم ورد عنده بالصاد المهملة مُصَحَّفاً ، كما ورد (أسْقُف) : (سقف) خطأ ـ وماأكثر التصحيف عند البكري ! ـ وقدنَبَّه الدكتور السامرائي عند ذكر بيت الأحوص على أن الصواب حضـير ـ بالضاد المعجمة ـ وعلى خطأ صاحب

« معجم ماستعجم » وعــوَّل على ماورد في « وفــاء الــوفـاء » و « معجم البلدان » . ويقـع حضير بقـرب خط الـطول : ٣٠َ / ٣٩° وخط العرض ٠٠/ ٢٤° - في سفح جبل وَرِقَانَ شرقا .

٥ - الأصافر : (١٤٨)

وَلَـمْ أرَ ضَوْءَ الـنَّـارِ حَتَّى رأيْتُهـا   بَدَا مُنْشِـدٌ فى ضَـوْئِهَـا والأَصَـافِرُ

(منشـد : مضى ذكره - ق : ٢٥ هامش : ٢ ، والأصافِرُ ثنايا سلكها رسول الله ﷺ في طريقه إلى بدر) . أما منشد - على ماذكر المحقق الكريم -

١١٧ - عند قول الأحوص :

نظرتُ رجـاءً بالمـوقَّـرِ أن أرَى   أكــارِيسَ يَحْتلُّون خَاخـاً ومُنْشِـدا

قال : (منشد : جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع) والقول لياقوت . والحمراء هى حمراء الأسد الواردة في خبر غزوة أحد وغيره . قال الهجريُّ فيما نقل عنه السمهودي في ذكر سيل العقيق بعد اجتمـاعه بسيل النقيع : ثم يفضي ذلك إلى حمراء الأسد . . . وفي شقّ الحمـراء الأيسـر منشـد ، وفي شقهـا الأيمن أيضـا شرقيا خاخ . وأضاف السمهودي : وعلى يسار المصعد من ذي الحليفة جبل يعرف بحمراء نملة والظاهر أنه منشد . انتهى ، ولايزال جبل حمراء نملة معروفا يشاهده المقبل على المـدينة مع الطريق الحديث يمينه . وإذَنْ فمنشد يقع يمين الطريق للقادم إلى المدينة ، وعلى يسار الذاهب منها إلى مكة أي بقرب الطريق منها إلى الفُرع ، والرسول عليه الصلاة والسلام سلك فى مسيره إلى بدر طريق مكـة ، فمـر بالأصافر ، وهذه جبال بين الصفراء والبَحْر ، تبعد غن منشد مسافة تقارب مسيرة ثلاثة أيام للإبل . فكيف يَبْدو فيها ضوء نار بَدَا فى مُنْشِد ؟ .

الأَصَافِرُ ـ جمع أَصْفَر ـ من لَوْنِ الصُّفْرَةِ أو كما في « معجم البلدان » : الأصافر جبال مجموعة تسمى بهذا لصفرها أى خلوها . انتهى ، وما أكثر الجبال التى تدعى الأصافر ، ومن أشهرها الواردة في شعر كثير :

عَفَا رابِغٌ مِنْ أَهْلِه فالظواهِرُ   فأكْنافُ هَرْشَى قَدْ عَفَتْ فَالأَصَافِرُ

وقد ورد ذكرها في حَديثٍ نقله البكري في « معجم ما استعجم » أن النبي ﷺ قال لِعَمْرِو بن أُمَيَّةَ الضَّمْري وقَدَ صحبه رجُلٌ : « إذا هَبطْتَ بلادَ قومه فَاحذَره » وقد قال القائل : « أخوكَ البكري فلا تأمنه » قال : فخرجنا حتى إذَا كنَّا بالأبواء قال : إني أريد حاجة إلى قومي بودَّان ، فتلبَّثْ لي ، فقُلْتُ : راشداً ، فلمَّا وليَّ ذكرتُ قول النبي ﷺ ، فشددت على بعيري أُوْضِعُهُ ، حتى إذَا كنت بالأصافِر إذا هو يعارضنى فى رهط ، قال : وأوضعْتُ فسبقته . قال : فلما رآني قَدْ فُتُّهُ انصرفوا ـ رواه أبو داوود في كتاب الأدب ، في باب الحذر من الناس . وهذه الأصافر التى ذكرها كثير مع هَرْشَى ورابغ لاتزال معروفة ، مررتُ بها فى رحلتي إلى المدينة مترسما طريق الهجرة ، سنة ١٣٨٥ فتحدثت عنها في « العرب » فى سنتها الأولى بعنوان (رحلة إلى طيبة) والأصافر هذه هي التي ذكر السمهودي أنها هضبات على ميلين من هَرْشَى « وفاء الوفا » وهي آكام حمر يخالط لَونهَا بياض فتبدو كأنها صفر ، تبعد عن رابغ ٢٤ كيلا للمتوجه إلى المدينة بالطريق القديم ، وتقع قبل هَرْشَى بستة أكيال (بقرب خط الطول : ٥/٣٩° وخط العرض : ١/٢٣°) .

أما الأَصَافِرُ الواردةُ في شعر الأحوص فقد تكون جبالاً صُفْراً في ناحية خاخ ومُنْشد ، وماأكثر الجبال الصفر في تلك الجهة .

٦ ـ أُضاخ : (٨٨)

وَلَهَا مَرْبَعٌ بِبُرْقَةِ خَاخٍ وَمَصِيفٌ بِالْقَصْرِ قَصْرِ قُبَاءِ

أورد المحقق ماجاء في « مروج الذهب » : فلها مربع بجنب أجاج وقال : (هذا ولعله أضاخ ، من أعمال المدينة) .

ولماذا العدول عن الرواية الصحيحة التى ورد فيها اسم الموضع الذي تكرر في شعره نحو عشر مرات مقرونا بأمكنة هي من مرابع الشاعر .

والقول بأن أضاخاً من أعمال المدينة قد يصح في فترة من الزمن قصيرة كانت فيها بلاد نَجْدٍ مضافة إلى والي المدينة ، إذ أضاخ في نجد ، يبعد عن المدينة مئات الأميال ، بلدة لاتزال معروفة .

٧ ـ إضَمُ : (٢٥٤)

يامُوقِدَ النَّارِ بالْعَلْيَاءِ مِنْ إضَمِ أوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوقاً غَيْرَ مُنْصَرِمِ

(. . وإضم : واد بجبال تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ويسمى من عند المدينة القناة ، ومن أعلى منها عند السدّ الشظاة ، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضم إلى البحر) ، هذا القول نسبه صاحبُ « معجم البلدان » للسيد عُلَيٍّ ـ وهو ابن وهَّاسٍ الحسني المكي شيخ الزمخشري ، ولعله ورد في كتابه .

ولكن أدقُّ منه وَصْفاً وتعريفا قول الهجري الذي نقله السمهودي في « وفاء الوفاء » منسوباً إليه والبكريُّ في « معجم ما استعجم » ـ رسم النقيع ـ غير منسوب ـ ومنه : مجتمع سيول المدينة بزغابة وذلك أعلى إضم ـ وقوله : أَوَّلُ إضم مجتمع الأسيال ، وإياه عنى الأحوص ـ وأورد البيت ، وأضاف : وبإضَم أموال رِغَابٌ ، وإنَّما سُمِّي إضم لإيضام السيول به واجتماعها فيه ، وقوله : وتجتمع سيول العقيق وبَطِحان وقناة بالزغابة ، ثم يفضي ذلك إلى

إضم . وبإضم أموال رغاب . . . . ثم يفضي ذلك إلى سافلة المدينة ، الغابة وعين الصورين ـ إلخ ـ

فالقول بأن إضم هو الوادي الذي فيه المدينة ، غير صحيح ، فالذي يَخْتَرق المدينة بطحان ومهزور ، ويحفها من الجنوب العقيق ، ومن الشرق وادي قناة ، ثم تجتمع كل الأودية أسفل المدينة ، فإذا اجتمعت سُمِّي مجتمعها إضم . وقد نَبه إلى خطإ القول بأنه الوادي الذي فيه المدينة السمهودي في « وفاء الوفاء » . . رسم إضم ـ فبعد أن أورده منسوباً للمجد ـ مجد الدين الفيروز آبادي صاحب « المغانم المطابة » أضاف : والصواب فيه ماتقدم في خاتمة الفصل الخامس فى الأودية ، ثم أورد قو الهجري : أول إضم مجتمع السيول إلخ .

٨ ـ أَمَج : (٤٦)

أَمْ كَيْفَ أَنْسى مَسِيْرَنَا حُرُماً   يَوْمَ حَلَلْنَا بِالنَّخْلِ مِنْ أَمَجِ

قال الدكتور السامرائي : أَمَجُ : من أعراض المدينَة ، انتهى . وهذا قول صاحب « معجم البلدان » ولكنه غير صحيح ، فأَمجُ وَادٍ عظيم من أعراضِ مكة ، يبعد عنها شمالا نحو مئة كيل ، بينما يبعد عن المدينة جنوبا مايزيد على ثلاث مئة كيل ، ويجزع الطريق بين المدينتين أسفله ، وهو ينحدر من غربي حرة رهاط متجها غربا بين وادِيَيْ غُرَان جنوبه ، وقُدَيْدٍ شماله مارًّا بخُلَيْص نَحْوَ سَاحِلِ الْبَحْرِ عند قرية تُوَل . ولمتعرجات الوادِي مُسَمَّيَاتُ منها سَايَة وهي أعلاه ، وأسفلُ منها الخُوَارُ ، وأسفله خُلَيْصُ ، وفي كلٍّ من هذه المسميات قُرَى وأمكنة مأهُوَلة (ينحدر من حرة رهاط ـ حرة بني سُليم قديما بقرب خط الطول : ٥َ/ ٤٠° وخط العرض : ٣٠َ/ ٢٢° متجها صوب الجنوب الغربي حتى خليص بقرب خط الطول : ١٥َ/ ٣٩° ثم يتجه غربا صِوب تُول ، عِلى ساحل البحر بقرب خط الطول : ١٠َ/ ٣٩° وخط العرض : ١٨َ/ ٢٠°) .

٩ ـ البـراق : (٩٧)

فَذُوْ السَّـرْحِ أَقْـوَى فَالْبِـرَاقُ كَأَنَّهَا بِحَـوْرَةَ لَمْ يَحْـلُلْ بِهِـنَّ عَرِيْبُ

(ذُو السَّـرْحِ : وَادٍ بَيْنَ مكـة والمـدينة ، قرب مَلَلٍ . . فذو المرخ : « التاج » ـ بِراقُ حَوْرَةَ : موضع من ناحية القَبَلِيَّة) .

لعل اسم الموضع هنا هو حَوْرَة ، أماَّ البراق ـ جمع بُرْقَةٍ ـ فليس عَلَماً بل وصف للأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورَمْل ، والقول بأن بِراقَ حَوْرَةَ موضع من ناحِيَةِ القبلية لياقوت ، وهو يقصُدُ حَوْرَة كما يتضح فيما نقل عن تحديد موقعها عن السيِّد عُلَيٍّ بن وَهَّاسٍ شيخ الزمخشري ، وسيأتي تحديد الموضع مفصَّلا فى مَحَلِّه .

١٠ ـ بُرْقَان : (٢٠٥)

ورد هذا الاسم عَرَضاً في تعريف (ذَاتِ الجيش) وهو تصحيفُ سَيِّءُ لـ (تُرْبَان) كما سيأتي إيضاح هذا في الكلام على (ذات الجيش) .

١١ ـ بِرْكُ الْغِماد : (٩٢)

وَقَـدْ شَاقَهَـا مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَـا وَمِنْ دُوْنِهَـا بِرْكُ الْغِمَـادِ فَعُلْيَبُ

(. . وَبِرْكُ الْغِمَادِ : موضع وراء مكة بِخَمْس ليالٍ ، مما يلي البر ، وفي حديث الهجرة : لو أُمِرْنا أن نبلغَ معك بِهَا برك الغماد) .

١ ـ تعريف البِرْكِ من « معجم البلدان » إلا أن كلمة (البر) صوابها كما في « المعجم » : (البحر) .

٢ ـ الجهـاتُ التي وراءَ مكـة تختلف باختـلاف مكان المتحدِّث ، وكان ينبغي أن يقال : (جنوب مكة مما يلى اليمن) .

٣ ـ أمـا جملة : (وفي حديث الهجـرة) لو أُمِـرنا أن نبلغ معك بها بِرْكَ الغِمَاد) ، فهذه تحتاج إلى وقفةٍ طويلة ، ويظهر أَنَّ المحقق الفاضل رجع فيها إلى « لسان العرب » ونصه في رسم (برك) : (وفي حديث

الهجرة : لو أمرتها أن تبلغ بها برك الغماد) كذا في مطبوعة « اللسان » ، ولكن مصدره وهو في الغالب « النِّهاية في غريب الحديث » لابن الأثير نصها : (وفي حديث الهجرة : لو أمرتنا أن نبلغ معك بها برك الغماد) .

لنبحث عن برك الغماد أولا ثم العودة لمحاولة تصحيح هذه الجملة . برك الْغماد : تفتح الباء وتكسر وتضم الغين وتكسر كما قال ابن الأثير في « النهاية » وغيره .

وللمتقدمين في تعريف هذا الموضع أقوال كثيرة متضاربة منها :

١ - قول الواقدي في « المغازي » - ٤٨ - : برك الغماد من وراء مكة بخمس ليالٍ ، من وراء الساحل مما يلي البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن - كذا قال -

٢ - وقال ابن جرير عن برك الغماد : مدينة الحبشة - « تاريخ ابن جرير » ٤٣٤/٢ - طبعة دار المعارف . وأشار إلى هذا القول في « فتح الباري » - ٢٨٨/٧ - بقوله : وذكر السهيلي أنه رأى في بعض الكتب أنها من أرض الحبشة ، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدُّغْنَة فَإنَّ فيها أنه لقيه ذاهباً إلَى الحبشة ببرك الغماد فأجاره . ويُجْمَعُ بأنها من جهة اليمن تقابل الحبشة وبينهما عرض البحر .

٣ - وقال إبراهيم الحربيُّ فيما نقل عنه النووي في « شرح صحيح مسلم » - ١٢٥/١٢ - : برك الغماد وسعفات هجر كناية يقال فيما تباعد .

٤ - وقال ابن حجر في « فتح الباري » ٢٣٢/٧ : وحكى الهمداني في أنساب اليمن : هو في أقصى اليمن ، وقد نقل قبله عن ابن فارس : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن .

أما قول الهمداني فقد ورد مفصلا في كتاب « صفة جزيرة العرب » إذ قال ص ٣٦٦ نشر دار اليمامة - في ذكر المواضع المضروب بها المثل من الجزيرة علد ـد الاستبعاد : ويقولون : ولو بلغ برك الغماد . ثم أورد الخبر الوارد

في غزوة بدرٍ ، وقولاً لأبي الدرداء : لو أعيتني آيةٌ من كتاب الله فلم أجد أحَداً يفتحها عليَّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه وهو أقصى حجر باليمن . وأضاف : ذكر برك الغماد ثم ذكر موضعه من قصور اليمن . قال أبو محمد : قد ذكر برك الغماد محمد بن أبان بن جرير الخنفريُّ وهو في بلد الخنفريين بناحية حِنْوَيْ مَنْعج فقال :

فَدَعْ عنكَ مَنْ أمسَى بِغَوْرٍ مَحلُّها ببَرْكِ الْغِمَادِ فَوْقَ هَضْبَةِ بَارِحِ

هذه مواضع في منقطع الدمينة وعزازة ، من سفلى المعافر . البرك حجارة مثل حجارة الحرة خشنة وعثة متعاضّة يصعب المسلك فيها .

٥ - ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي عُمر غلام ثعلب : موضع باليمن عند بئر بَرَهُوت الذي يقال : إن أرواح الكفار تكون بها . - « فتح الباري » ٢٣٢/٧ - .

٦ - ونقل أيضا عن ابن دريد : هو بقعة في جهنم ، ولكنه أضاف : واستبعد بعض المتأخرين ماذكره ابن دريد فقال : القول بأنه موضع باليمن أنسب لأن النبي ﷺ لايدعوهم إلى جهنم ، وخفي عليهم أن هذا بطريق المبالغة فلا يراد به الحقيقة ، فيحمل قوله (جهنم) على مجاز المجاورة « بناء » على القول بأن برهوت مأوى أرواح الكفار وهم أهل النار .

٧ - وقال البكري في « معجم ماستعجم » : برك : وهو في أقاصي هجر هو برك الغماد الذي ورد في الحديث . ولعل البكري نقل هذا عن القاضي عياض الذي نقل عنه هذا القول النووي في « شرح صحيح مسلم » .

٨ - وقال الحازمي في « المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن » في (باب الغِماد والعِماد والغِمار) مانصه عن الغماد : هو بكسر الغين ويقال بضَمِّها إلى أنْ قال : وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل ، وقيل بلد يَمانٍ انتهى . وجاء فيما نقل النووي : في « شرح صحيح مسلم » ١٢٥/١٢ : . . . وقيل بلدتان - خطأ - .

٩ ـ وقال ياقوت في « معجم البلدان » : هو موضع وراء مكة مما يلي البحر . وقيل : بلدٌ باليمن دُفِنَ عندَهُ عبدُ الله بنُ جُدْعَان التيميُّ القرشي ، قال الشاعر :

سَقَى الأَمْطَارُ قَبْرَ أَبِي زُهَيْرٍ إِلَى سَقْفٍ إِلَى بِرْكِ الْغِمَادِ

١٠ ـ وقال ياقوت أيضا : بِرْكُ ـ بوزن قِرْدٍ ـ ناحيةٌ باليمن ، وهو بيْنَ ذَهْبَانَ وحَلْيٍ ، وهي نِصْفُ الطريق بين حَلْي وَمكَّة ، وإيَّاهَا أرادَ أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ بقوله يصف ناقته ـ ثم أورد قصيدته الميمية التي ذكر فيها مكة فَيَلَمْلَمَ فاللَّيث فَالْبَزواء فَعُلَيْبَ فدوقَةَ فوادِي الْبِرْك .

أمامنا الآن أقوال :

١ ـ بقعة في جهنم عند ابن دريد .
٢ ـ مدينة الحبشة عند ابن جرير .
٣ ـ كناية عن المكان البعيد عند الحربي .
٤ ـ أقصى هجر عند القاضي عياض والبكري
٥ ـ في أقصى اليمن عند الهمداني .
٦ ـ على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن مما يلي الساحل عند الواقديِّ وابن فارس والحازمي وابن الأثير ، مزجت أقوال بعضهم ببعض .
٧ ـ على ثمان ليال من مكة إلى اليمن . قول ثان للواقدي .
٨ ـ بلد باليمن كما في « معجم البلدان » لياقوت .
٩ ـ تحديد ياقوت بأنه ناحية باليمن بين ذهبان وحَلْيٍ .

أما الأقوال الأربعة فغير معقولة لمخالفتها النصوص والأخبار التي ورد فيها اسم الموضع .

وأما قول الهمداني بأنه في أقصى اليمن في سُفلى بلاد المعافر وهي المعروفة الآن باسم (الحُجَرِيَّة) ـ « معجم البلدان والقبائل اليمنية » ٦٣٦ ـ

الواقعة في الجنوب من مدينة تَعِزّ ، فقد يكون هناك موضع بهذا الاسم وأنه المراد بخبر أبي الدرداء إذا صح قوله وهو : أقصى حجر باليمن ، وليس من قول أحدِ رواة الخبر ، إذِ الهمدانيُّ من أعلم المتقدمين بمواقع اليمن .

وأما الأقوال الباقية فيمكن التوفيق بينها فكل ماهو جنوب مكة يدعى يَمَنًا ، والسائر إلى تهامة ليجوز البحر إلى الحبشة أو ليذهبَ إلى اليمن يتجه من مكة إلى اليمن حتى يبلغ البِرْكَ الواقع على ساحل البحر ، ويختلف قطع المسافة بينه وبين مكة بحسب قدر السير ، فالمسرع قد يبلغ بلدة حَلْيٍ بعد خمس ليال من سير الإبل وقد تزيد المدة مع تباطؤ السير . وتحديد ياقوت له بأنه بين ذهبان وحلي صحيح .

أما القول بأنه نصف الطريق بين حلي ومكة فخطأ ، إذْ هو يقع جنوب حلي وقبل ذهبان (يقع بقرب خط الطول ٣١ً/ ٤١° وخط العرض ١٤/١٨°) ويقع بينه وبين مكة أودية من أشهرها : عَمْقُ وحَلْيٌ ويَبَةُ وقَنَوْنا ودَوْقَة وعُلَيْبُ والأحْسُبَة وحَلْيَة (الشاقَّةُ الشمالية) واللِّيْثُ والْخَضْرَاء .

والبِرْكُ هذا هو البلدة التي وصفها الشيخ عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله ـ في حواشيه على « الكامل » لابن الأثير بما نصه : هي على ساحل البحر الأحمر على مرحلتين من القنفذة جنوبا ، على جبل مرتفع فيها مسجدان وسوق ، ويسكنها بنو هلال ، وحاكمها الآن الشيخ علي بن عبدة الهلالي ، وسكانها نحو ألفي نفس يتعبدون على مذهب الشافعي ، وعاداتهم وأحوالهم كعادة العرب قديما ، وينطقون بها بِرك ـ بكسر الباء ـ نزل بها السيد عبد الله ابن محمد بن حامد السقاف في سنة ١٣٣٤ هـ وهو الذي أفادني ذلك ، وهم الآن لايضيفون إليها لفظ الغِماد ، ولعل الاسم متعدد . انتهى ماذكره الشيخ عبد الوهاب في حواشي ص ٨٣ ج ٢ من « الكامل » . وقد تغيرت البلدة الآن فزاد عمرانها وكثر سكانها .

ومن أوضح الأدلة على أن البرك هذا هو المقصود بقول الأحوص أنه قرنَهُ بوادي عُلَيْبَ الوادي الواقع جنوبه فيما بينه وبين اللِّيْث ، وكذا قول أبي

دَهْبَلٍ الجُمَحِيُّ في قصيدته التي أوردها ياقوت في « معجم البلدان » - رسم البرك - ومنها :

خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ وأَعْتَمَا

ثم ذكر بطن اللَّيْثِ والبَزْوَاء وقال :

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ بِعُلْيَبَ نَخْلاً مُشْرِفاً وَمُخَيَّمَا
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ دَوْقَةَ بالضُّحَى فَمَا خَزَرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
وَمَا شَرِبَتْ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخِفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخِرَّ وَتُكْلَمَا
فَقُلْتُ لَهَا : قَدْ بِنْتِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرْكِ غَيْثاً مُدِيَّمَا

فقد ذكر في هذه القصيدة : عُلْيَبَ فَدَوْقَةَ ثم بعدها ذكر البِرْكَ وهكذا فإن موقع البرك يقع جنوبا من وادِي عُلْيَبَ ودَوْقَة .

وانظر قصيدة أبي دهبل في « الأغاني » : ٧ طبع الثقافة ، وانظر معارضاتها في « سلافة العصر » ٢٥٠ .

وجاء في شعر كثير :

بِوَجْهِ أَخِي بَنِي أَسَدٍ قَنَوْنَا إِلَى يَبَةٍ إِلَى بِرْكِ الْغِمَادِ

فقد ذكر قَنونَا ويَبَةَ وهما واديانِ لايزالان معروفَيْنِ يقعان جنوبَ البِرْكِ بينهما وبينه مدينة حَلْيٍ المعروفة .

ووقفة قصيرة عند إيراد المحقق للجملة الواردة في كتاب « النهاية » لابن الأثير ، ثم نقلها صاحب « اللسان » .

وبصرف النظر عما وقع من الاختلاف في النَّصَّيْنِ إلَّا أن الذي يستدعي الوقوف هو القول بأن (في حديث الهجرة) ثم إيراد جملة (لو أمرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد) إلى آخرها .

لقد تتبعت مابين يدي من كتب الحديث والتاريخ فلم أَجِدْ هذه الجملة فيما اطلعت عليه مما بين يدي من المراجع ، والذي اطلعت عليه هو :

١ - ورد في « صحيح البخاري » في كتاب الكفالة في الباب الرابع الحديث الـ (٢٢٩٧) عن عائشة رضي الله عنها من حديث طويل : فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قِبَلَ الحبشة ، حتى إذا بلغ بِرْكَ الغماد لقيه ابنُ الدَّغْنَةِ وهو سَيِّدُ القارَةِ - ثم ذكر رجوعه بجوار ابن الدغنةِ إلى مكة - انظر « فتح الباري » ٤/٤٧٥ - .
ثم كرر البخاري الحديث في كتاب مناقب الأنصار . الحديث الـ (٣٩٠٥) - « فتح الباري » ٧/ ٢٣٠ - .

٢ - وأورد الواقديّ في « المغازي » - ٤٨ - أن عمر بن الخطاب قال : لو سرت بنا إلى بِرْكِ الغِمَاد لسرنا معك . ثم نسب هذا القول مرة أخرى - ٥٨١ - للمقداد بن الأسود ، وكذا أَوْرده ابن هشام في « السيرة النبوية » ١/ ٦١٥ طبعة الحلبي بمصر .

ولما ساق الحافظ ابنُ حَجَرٍ ماأورده البخاري في « صحيحه » عن ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأنْ أكون صاحبه أحب إليَّ مما عُدِلَ به : أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لانقول كما قال قوم موسى ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يدك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أَشرق وجهه وسره يعني قوله) . ولمَّا شرح الحديث أضاف : وأخرج ابن مَرْدَوَيْهِ نحوَه لكن فيه أن سعد بن معاذ قال : لو سِرْتَ بنا حتى تبلغ بِرْكَ الغِماد لسرنا معك . كذا ذكره موسى بن عقبة . وعند ابن عائذ في حديث عروة : فقال سعد بن معاذ : لو سرت بنا حتى تبلغ البِرْكَ من غِمْدِ ذِي يَمَنٍ . انتهى .

إِذَنْ هما خبران أحدهما يتعلق بهجرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبلوغه برك الغماد ورجوعه بجوار ابن الدَّغْنَةِ سيد القارة إلى مكة . والخبر الثاني : ورد في غزوة بدر حين استشار الرسول ﷺ المسلمين لمَّا فاتته العير أَيُقْدِمُ لملاقاة قريش أم لا ؟ فكان مما قيل له عليه الصلاة والسلام : لو أُمرتنا أن نبلغ معك برك الغماد لفعلنا . ولعل ابن الأثير صاحب « النهاية » سبق إلى

ذهنه الجملة التي قيلَتْ في غزوة بدر فأوردها ظَانًّا أنها قيلت في الهجرة ، وقد رجعت إلى بعض المهتمين بدراسة الحديث النبوي من علمائنا فرأيتهم يميلون إلى هذا الرأي ، وينفون علمهم بورود تلك الجملة في خبر الهجرة .

١٢ - بِرْمَــة : (٢٢١)

سُفُنُ الْفُـرَاتِ مُرَفَّـعٌ أَقْـلاَعُهَـا ... أَوْ نَخْـلُ بِرْمَـةَ زَانَهَـا التَّـذْلِيْلُ

(. . بِرْمَةُ من قرى السواد ، والتذليل تسهيل اجتناء ثمرة النخلة وإدناؤها من قاطعها) .

القول بأن بِرْمَة من السواد من كلام البكري في « معجم مااستعجم » ولكن أي سواد هذا ؟ فهو عند الإطلاق سواد العراق ، وقد يراد سواد البلقاء - لسواد حجارة أرضها - ولم يُرِدِ البكريُّ واحداً منهما . لقد أوضح هذا الدكتور عبد الله الوهيبي في « العرب » ١٠٠٣/٤ إذ قال : ورد في « الإصابة » أن عمرو بن سعيد بن العاص يوم مات الرسول ﷺ كان والياً على سوادِ خَيْبَرَ - أي المناطق الزراعية المجاورة لخيبر - وهذه الصفة تنطبق على بِرْمَة وبَلَاكث وشَبَكةِ الدَّوْمِ وذي خُشُبٍ ، بل إن البكري يصف بِرْمَةَ بأنَّها من السواد . .

وبِــرْمَــةُ هذه بلدة ذات نخـل ، فقـد ورد في كتـاب « الجيم » - ٢ / ٢٣٦ - : والعُقْـدَةُ حائط من نخـل ، والجمع عِقَادٌ ، والقرية الواحدة بنخلها الْعُقْدَةُ تقول : مِنْ أَيِّ الْعِقَادِ امْتَرْتَ ، أَمِنْ خَيْبَرَ أَمْ من بِرْمَة ؟ وجاء في كتاب « المغازي » للواقدي - ٢ / ٩ / ٧٠ - في ذكر خبر انصراف الرسول ﷺ من خيبر بعد فتحها : فلما أتى رسول الله ﷺ الصَّهْباءَ سلك بِرْمَةَ حتى انتهى إلى وادي القُـرَى يريد من بهـا من اليهـود . وذكـر ابن حبيب في « المحبر » - ١١٥ - : أنَّ في سنـة سبـع خرج رسـول الله ﷺ إلى خيبـر فحاصرهم بضعة عشر يوما وارتحل منها إلى (قُرَى عَرَبِيَّةَ) فلم يلق كيدا .

ويفهم من النصين أنَّ بِرْمَةَ في المنطقة المعروفة في العهد النبوي باسم (قُرَى عَرَبِيَّةَ)

وقال السمهودي في « وفاء الوفا » : بِرْمَةُ ـ بكسر أوله ـ من أعراض المدينة قرب بلاكث ، بين خَيْبَرَ ووادي القُرى ، به عيون ونخل لقريش . ويقال له : ذُوْ البيضة ، كما سبق في مجتمع أودية المدينة ومغايضها ، وذكر أنَّ بلاكث بجانب بِرْمَةَ ونقل عن يعقوب : بلكثة قارة عظيمة ببطن إضَمٍ وبين ذي خُشُبٍ وذِي المَرْوَةِ ، ونَقَلَ في ذكرِ مجتمع أودية المدينة ومغايضها عن الزبير بن بكار ـ « الوفاء » ١٠٨١ ـ : ثم تمضي في وادي إضَمٍ حتى يلقاها وادي بِرْمَـةَ الَّـذِي يقال لَه ذو البَيْضَة ، من الشام ، ويلقاها وَادِي تُرْعَةَ من القبلة ، ثم يلتقي هو ووادي العِيْصِ من القبلة ، ثم يلقاه دوافع وادي الْحِجْرِ ووادي الْجِزْلِ الذي فيه السُّقْيا والرُّحْبَة في نخل ذي المروة مغربا .

ومنطقة (قرى عربية) التي تقع برمة فيها قد وفَّاها بحثاً وتحقيقًا أستاذان جليلان هما الأستاذ محمود محمد شاكر في بحثه الممتع (قرى عربية) ـ « العرب » ٢/٧٦٩ ـ والأستاذ الدكتور عبد الله الناصر الوهيبي في بحث مستفيض عمقا وتفصيلا بعنوان (قرى عربية وعلاقتها بكلمة عرب) ـ « العرب » ٤/٩٨٣ ـ وفي هذا البحث الأخير معلومات قيمة عن موقع بِرْمة رجعت إليه في هذا البحث .

ولبرمة شهرة في القرن الأول الهجري ، فقد تكرر ذكرها في الأشعار ومنها قول كُثَيِّرٍ ـ ديوانه ٣١٤/٤٥٨ ـ :

رَجَعْتُ بها عَنِّي عَشِيَّةَ بِرْمَـةٍ   شَمَاتَةَ أَعْـدَاءٍ شُهُـودٍ وَغُيَّبِ

وقال :

نَظَرْتُ وَقَدْ حَالَتْ بَلَاكِثُ دُونَهُمْ   وَبُطْنَانُ وَادِي بِرْمَـةٍ وَظُهُورُهَا

إنَّ بِرْمَة لاتزال معروفة ، ويظهر أنها أدركها الخراب في عهد متقدم ، ثم أُحْيِيَتْ حديثا أحياها أناس من عنزة من الطَّوالعة ـ واحدهم طُوَيْلِعي ـ انظر « معجم قبائل العربية السعودية » ٤١٦ ـ وهي تقع في الطرف الغربي من حرة تدعى (حرة الكورة) تنحدر سيولها في وادٍ يدعى وادي الطَّبق ـ في المصور

الجغرافي ورد اسمه : وادي طبجه ـ وهو وادٍ بعد أن يجوز الْحَرَّةَ يتجه إلى الجنوب حتى يتجاوز محطة هَدِيَّةَ إحدى محطات سكة حديد الحجاز بقرب خط الطول : ٤٥′ /٣٨° ، ثم ينحرف نحو الغرب نسبيا حتى يجتمع بوادي الحمض عند بئر السَّليلة ـ في المصور الجغرافي : أم سليلة ـ شرق موقع ذات المروة (أم زرب في المصور) بنحو عشرين كيلا عند خط العرض : ٣١ /٣٨° وعند خط الطول : ٣٠′ /٢٥° ، وهذا يتفق مع مانقله السمهودي عن الزُّبير في ذكر مغايض الأودية ، فوادي تُرْعَة ووادي الْعِيص ووادي الحِجْر ووادي الجِزْل ، كلها معروفة ، ووادي برْمَةَ الذي سماه السمهودي ذَا الْبَيْضَة ، وهو المعروف الآن باسم وادي الطَّبَق ، يفيض في وادي إضَمٍ (وادي الحمض) على مقربة من مفيض وادي تُرْعَةَ ووادِي العِيص ، ويلتقي بها بعد ذلك واديا الحِجْرِ والْجِزْل وماحولها ، ونقطة التقائها قريب من موقع ذي المروة كما نقل السمهودي . أما موقع برْمة فهو في أعلى وادي الطبق بقرب خط الطول : ٤٥′ /٣٨° وخط العرض : ٤٠′ /٢٥° ، ولاأستبعد أن يكون موقع بلاكث هو هدية ولايتسع المقام لتفصيل هذا .

و(الكورة) التي تضاف إليها الحرة بقية اسم روماني قديم عرف في صدر الإسلام باسم (قرى عربية) كما حقق ذلك الأستاذ الدكتور عبد الله الوهيبي في بحثه عن (قرى عربية وكورة عربية) ـ « العرب » ٤/ ٩٩٧ .

١٣ ـ البُويب : (١٠٦)

ولَوْلَا الَّذي بَيْنِي وبَيْنَكِ لَمْ تَجُبْ   مَسَافَةَ مَابَيْنَ البُوَيْبِ ويَثْرِبِ

(البويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات كان عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي ، ومصبه في الجوف العتيق . وأيضا هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر) .

١ ـ لم أر مايدعو لإيراد هذا الكلام الطويل عن البويب النهر الذي في العراق ، فالشاعر يريد موضعا آخر غيره هو : مَدْخَلُ أهلِ الحجاز إلى مصر ، لأنه كان مدح عبد العزيز بن مروان أمير حلوان ، ولاشك أنه هو المخاطب بهذا الشعر .

٢ ـ البُوَيْبُ الواقع في مدخل مصر ، يقع في الصحراء الواقعة بين القاهرة ، وبين قناة السويس ، فقد كان مودِّعو الحجاج من القاهرة ومستقبلوهم يصلونه وهو في أثناء المرحلة الأولى من البركة التي بها يجتمع الحجاج بقرب القاهرة ـ وقد يكون العمران في هذا العهد بلغها ـ .

وللبُوَيْب هذا ذكر كثير في كتب الرحلات ، فقد جاء في « رحلة ابن عبد السلام الدرعي الكبرى » ماملخصه : ثم ارتحلنا من البِركة وقد مضى من النهار ثلاث ساعات ، وودع الناس أقاربهم ، وذهب معهم من المودعين إلى البويب وهو في الحقيقة باب الدَّرب ومبتدؤه ، ومررنا بوادي المنصرف والقباب حتى نزلنا الدار الحمراء بعد مضي النصف من الليل ، ومنها وقد مضى من النهار ست ساعات ونصف ولم ننزل عُجْرُودَ إلا بعد طلوع الفجر .

وقال : الظاهر من كلام « الروض المعطار » ، أن السويس هو بئر عجرود ، فنسبت المدينة التي على البحر له ، فقال : الناس مدينة سُوَيس .

وقال الجزيري في « الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » ص ١٣١٨ ـ : وكان الرحيل من البركة وقت طلوع الشمس ، فسار إلى القرب من طريق البُوَيْب فكان مسيره قبل الظهر ، وأما صِفةُ البُوَيْب فهو مَضيقٌ بين جبلين صغيرين ، وشرفةٌ وتلُّ رَمْلٍ مستطيل يميناً ، وبابُ الشيء أوَّلُه ، وهو مايُتوصَّلُ منه إليه .

وعند المترددين على هذا الطريق أنَّ له بابَيْن ، هذا وبابٌ آخر مناخُ عَقَبَة أَيْلَةَ ، وهو بناءٌ على قُبَّة (؟) جبل ، في أول دَوَّار حَقْلٍ كأنه شارة إلى أنَّ هذا أول المفازة من حد مصر . انتهى .

مما تقدم يتضح أن البويب على أقل من مرحلة من مدينة القاهرة فيما بينها وبين السُّويس .

١٤ - بَيْش : (٤ / ١٣١ /٩٢)

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ إِلَيَّ وبِيْشٌ دُوْنَ سَلْمَى وكَبْكَبُ

١ - (. . بِيش : من بلاد اليمن ، قرب دهلك ، وقد استنتج ياقوت أنه أيضا مكان بين مكة ومصر ، وهو الأشبه هاهنا . . . ورواه البكري في معجمه : وبِيْشٌ دُون سَلْمَى وَجَبْجَبُ ، فعلق شيخنا العلامة محمود شاكر بقوله : وكأنه الصواب ، فإن ظاهر الشعر يدل على أنه في ديار بني عامر بن صعصعة أو قريب منها . . . و(بيش) ضُبطت في المخطوطة بكسر الباء والصواب فتحها ، وهو بإزاءِ عُنٍّ - بضم العين وتشديد النون - اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما الْقَفَا والآخر بَيْشٌ ، وهما لبني هلال بن عامر بن صعصعة « معجم ما استعجم » - الستار - والأمر كله محتاج إلى تحقيق دقيق (ابن سلام ٢ : ٦٦٥) - ٩٢ - .

٢ - : (بيش : واد من أودية تهامة ، وذكره البكري في مادة بِيْشَةَ ونَصَّ على أن الأحوص حذف الهاء من بِيْشَة وأتى به على التذكير ، - ١٣١ -

٣ - ٢٤٥ - :

فإِنِّـي إِذَا حَلَّتْ بِبِيْشٍ مُقِيمَـةً وحَـلَّ بَوجٍّ سالِـمـاً أَوْتَـتَـهَّـمَـا

(بيش - انـظر ما مضى . . - وقـال محققـو « الأغـاني » ١ /٢٩٨ - هامش : لم نضبطه لأنا لا ندري أهو بَيْش بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقد ذكره ياقوت وقال : أحد مخاليف اليمن وفيه عدة معادن ، أما بيش - بكسر أوله - من بلاد اليمن أيضا قرب دهلك أقول : رواية « الأغاني » للبيت الرابع : يمانية شطت . . تقوّي ذلك . .) انتهى ما أورده محقق الديوان عن بَيْش ، ويُلاحظ على هذا أُمور :

الأمر الأوَّل : ضَبْطُ اسم بيش ، هَلْ هو بفتح الْبَاءِ أو كَسْرِهَا ، فأكثر المتقدمين من العلماء نَصُّوا عَلَى الكَسْرِ ، ولكنَّ بَعْضَهُم أورد الضَّبْطَيْن وغَايَر بينهما - كالحازميِّ في كتاب « البلدان » فقد قَالَ : (بَابُ بِيْشٍ وبَيْشٍ وتَيْس وقيس : أمَّا الأول بكسر الباء بعدها ياءٌ تحتها نقطتان وآخره شينٌ معجمة : من بلاد الْيَمَن قربَ دَهْلَكَ ، له ذكر في الشعر ، وأمَّا الثاني بفتح الباءِ من مخاليف مكّة - إلى آخر ما ذكر . وما أرى المعدود من بلاد اليمن سوى الذي هو من مخاليف مكة ، فَبَيْشُ من مخاليفها اليمنية ، وهو الواقع في طريق المتجه إلى جزيرة دَهْلك ، بطريق تِهامَةَ ، ويظهر أن الأحوص حين نُفِي إلى دهلك سلك هذا الطريق . ولهذا ذكرَ بَيْشا في شِعرِهِ ، وبَيْشُ هذا بفتح الباء كمـا ينطقـه سكان تلك الجهة الآن ، وكما يلحظ من كلام الهمداني في « صفة جزيرة العرب » - ٢٦٩ طبع دار اليمامة إذ قال : وإنما تريد العرب أسـود بَيْش ، ويزيدون فيه الهـاء فيقـولون بَيْشَةَ بفتح الباء ، وهي مواضع الأُسْدِ ، وبِيْشَة بُعْطان بكسر الباء - إلى آخر ما ذكر وسيأتي إيضاحه -

الأمـر الثاني : استنتاج ياقوت بأن بَيْشاً مكان بين مكة ومصر ، وقول محقق الديوان : وهو الأشبه ها هنا ، يتضح ما فيه من ضعف من إيراد كلام ياقوت بنصه ، قال : بَيْش - بالشين المعجمة - : من مخاليف اليمن فيه عدة معادن ، وهو وادٍ فيه مدينة يقال لها أبو تراب - إلخ - ثم قال : بِيْشُ - بكسر أوله - : من بلاد اليمن قرب دهلك له ذكر في الشعر ، قال أبو دَهْبل :

اسْلَمي أُمَّ دَهْبَـلَ قَبْـلَ هَجْـرِ ... وتَـفَـصَّـيْ مِنَ الـزَّمَـانِ وَدَهْـرِ
واذكُـرِي كَرَّ الْـمَـطِيِّ إلَـيْكُـمْ ... بَعْـدَ ما قد تَوَجَّهَتْ نَحْـوَ مِصْـرِ
لا تخَـالـي أنِّي نَسِيتُـك لَـمَّـا ... حَالَ بَيْشٌ ومَنْ به خَلْفَ ظهـري

وهذا الشعر يَدُلُّ عَلَى أنَّ بَيْشاً موضعٌ بين مكة ومِصْرَ ، أو تكون صاحبته المـذكورة في اليمن . انتهى . فأنت ترى ضعف استنتاج ياقوت إذ الشعر ليس صريحا بوقوع بيش بين مكة ومصر ، بل ولا يفهم منه هذا ، وإنما يفهم

منه أن الشاعر رجع إلى صاحبته وكان توجه إلى مصر ، فهو لم يَنْسَها وإن حال بينهما بيش ، فكيف ـ مع هذا ـ يصح القول أنه الأشبه بالنسبة لشعر الأحوص ، وما استشهد به ياقوت من شعر أبي دَهْبل ، ولا شاهد له فيه .

الأمر الثالث : ما أورده محقق شعر الأحوص عن أستاذنا الجليل أبي فهر محمود شاكر من أَنَّ بَيْشاً بإزاءِ عُنٍّ ـ إلى آخر ما أورد مما هو منقول من « معجم ما استعجم » الستار ـ فَبَيْشُ هنا تصحيف (بُسّ) وكُلُّ ما أورده البكري في رسم السِّتار مما ذكره عَرَّام في رسالته « أسماء جبال تهامة وسكانها » ـ ٤٣٦ ـ « نوادر المخطوطات » ولم ينسبه البكري كعادته في كثير من النصوص الطويلة كالكلام على حمى ضرية ـ وأصله للهجريِّ ـ والتصحيف في « معجم ما استعجم » مما لا يتسع المجال لذكره .

الأمر الرابع : لا شَكَّ أن الأحوص حين يذكر بَيْشاً فإنَّما يعني المخلاف الواقع في تهامة ، وهو وادٍ طويل عريض فيه قرى وسكان كثيرون ، ولا يتسع المجال لإيراد نصوص المتقدمين عنه ـ وانظر « مقاطعة جازان » من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

ووادي بَيْش تنحدر فروعه العليا الشرقية من سراة قحطان (سراة جَنْب قديماً) في الجنوب الشرقي من مدينة أَبْهَا ، فتتّجهُ نحو الجنوب الغربي مخترقة تهامة حتى تصب في البحر الأحمر شمال وادي ضَمَدٍ على مقربة من جازان جنوب واديي بَيْضٍ وعِتْوَد . ووادي بيش من أطول الأودية التهاميَّةِ وأعظمها ، وعلى ضفته قرى كثيرة (يقع بين خطي الطول : ٣٠/٤٢° و٠٠/٤٣° وخطي العرض : ٥٠َ/١٦° و ٠٠/١٨° ـ وما غَرَّب من سيول سراة قحطان ينحدر في بَيْشٍ ، وما شَرَّقَ ينحدر في وادي بِيْشَةَ الذي يبتلع سيول أكثر الأودية المنحدرة من تلك السراة ، وما يقع شمالها من السروات الأخرى إلى سراة غامد ـ هذا مما سبق أن ذكرته عن بيش في « العرب » ١٥ / ٦٣ ـ .

حَتَّى كَأَنَّـكَ يُتَّقَـى بِكَ دُونَـهُمْ　　مِنْ أُسْـدِ بِيشَـةِ خَادِرٌ مُتَبَسِّـلُ

(بِيشَة : هي بِيْشَةُ السَّماوَة ، مَأْسَدَةٌ) .

أصل هَذَا في « معجم ماستعجم » فبعد القول بأنَّ بِيْشَةَ وادٍ من أودية تهـامة ، وإيراد بعض الشواهد الشعرية والنُّصوص ورد فيه : وبِيْشَةُ أخرى وهي بيشة السماوة وهي مأسدة ، وأورد خبراً عن خالد بن صفوان ذكر فيه بيشة السماوة ، ثم أتبعه بقول : ولما قدم جرير بن عبد الله على النبي ﷺ قال له : « أين منزلك » ؟ قال : بأكناف بِيشة ، يعنى بيشة السماوة ـ ثم أورد عن ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ سأل جريرا عن منزله ببيشة ـ ثم ساق كلامه الذي أورده ابن قتيبة في « غريب الحديث » كاملا مشروحا ـ ١ /٥٤٢ ـ .

والملاحظ على هذا :

١ ـ قد يكون في السماوة موضع يُسَمَّى بِيْشَةَ ، إذَا لم يكن الاسم محرفا أو مصحفا في خبر خالد بن صفوان .

٢ ـ بيشة الَّتِي تُضاف إليها الأُسد هي بيشة التي هي عِرْضٌ من أعراض نَجْدٍ العـظيمـة ـ كمـا قال الهمـداني في « صفة جزيرة العرب » ـ ٤٣٠ ـ وليستْ من أودية تهامة ، كما سيأتي تعيين موقعها ـ وفي « صفة جزيرة العرب » ـ ٢٦٨ ـ طبع دار اليمامة في الكلام على مواضع الأسد في الجزيرة : وأُسْدُ تبالة ، وأسد تَرْج وأسْد بيْشة وأُسْدُ عِتْوَد ، فأمَّا تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ، ولايكون بهذا أسـد ، ولم يكن ، وإنما تريد العرب أُسْدَ بَيْشٍ ، ويزيدون فيه الهاء فيقولون بَيْشْة ـ بفتح الباء وهي مواضع الأسد . وبِيْشة بغطان فهي بكسر الباء ، وقيل : بل أرادوا بِيْشَةَ نَجْدٍ ، وأنَّ رؤوسَ هذه الأعراض من أعلى السراة ، منها ماينحدر إلى نجد ، ومنها ماينحدر إلى تِهامة ، فما انحدر إلى تهامة فالأسْـدُ فيه . ولهذا الجوار نسبوها إلى هذه الأعراض ، وربما طلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطعا من بلده فعاث فيها ، فلعل أول من

نسب الأسد إلى هذه المواضع عاين منها الواحد والزوج فى بعض هذه الأودية . انتهى وما أرى تعليل أبي محمد الهمداني سَدِيْداً هنا ، فَعِرضُ بِيشة تكثر فيه المغايض وغابات الأشجار ، وتلك مَألَفُ الحيوانات المفترسة .

والبكري الذي نسب الأسد إلى بِيشَةِ السماوة لم يلاحظ خلوَّهَا من المغايض والغابات ، بل فاته أكثرُ من هذا وهو أنه قال في رسم (تَرْج) : قال أبو حاتِم عن الأصمعي : هو موضع بِبِيْشَة مأْسَدَة ، وهو من بلاد خثعم ، وأنشد لأوس بن حَجَر :

وَمَا خَلِيجٌ مِنَ المَرُّوْتِ ذُوْ حَدَبٍ
يَرْمِي الضَّرِيْرِ بِخُشُبِ الطَّلح والضَّالِ
يَوْماً بأَجْوَدَ مِنْهُ حِيْنَ تَسْأَلُهُ
وَلاَمُغِبٌ بِتَرْجٍ بَيْن أَشْبَالِ

وتَرْج - وادٍ لايزال معروفا وهو مأهول ، وهو من أعظم روافد وادي بِيْشة ، هو وجِنْدُفُ . والبَهِيم تأتي من الجنوب منحدرة من السراة .

٣ - ليس جرير بن عبد الله البجلى مِنْ بِيْشَة السَّمَاوَةِ ، بَلْ من بِيْشَة التي هي أحد أعراض نَجْدٍ ، حيث كانَت بَجِيْلَة وخَثْعَمُ تحلُّ السراة المعروفة باسم سراة بَجيلة الواقعة شَمال سراة الأزد ، وتنساح في الأودية المنحدرة من السراة صَوْبَ منطقة بِيْشَةَ ، ومن أشهرها وادي تَبَالَةَ أحد روافد وادي بِيْشَة ، ولهذا ندب رسول الله ﷺ جريْراً لِهدَمْ صَنَم ذِي الخَلَصَة الذي كانَ في تَبَالَة ، فهدمه ، ولاتزال سراة بَجيلة تُعْرَف بسراة بني مالك ، وهؤلاء هم الفرع الذين منهم جرير بن عبد الله المالكي البجلي ، وقد ماتَ فى بلادهم ، وقبره معروف عندهم فى قرية تدعى (القضاة) - وانظر كتاب « في سراة غامد وزهران » عن بجيلة وبلادها .

٤ - اسم بِيْشة يشمل منطقة واسعة ، يخترقها واد عظيم ، ذُوْ روافد كثيرة أشهرها هِرْجَاب وتَرْجُ ، ووادي تَبَالة تنحدر فروع هذا الوادي من السفوح الجنوبية من سراة عَبِيدَةَ (سراة جَنْب قديما) متجهاً صوب الغَرْب ، وتنتشر القرى على ضفاف الوادي ، حتى يبلغ بلدة الرَّوشن قاعدة المنطقة ، فينحرف مجراه نحو الشمال ثم الشمال الشرقي حيث يجتمع معه وادي رَنْيَة فتَبْتَلعهُما أرضٌ رملية تُدْعى الفرشة ، في أرض واسعة تدعى المهمل ، متوسطة بين منطقة رنية غربا ومنطقة بِيْشَة جنوبا ، ومنطقة وادي الدواسر شرقا (تبتدىء فروع وادي بيشة من قرب خط العرض ١٨/٠٠° ويتجه على مقربة من خط الطول : ٤٢/١٠َ° - حتى قرب خط العرض ٢١/١٥َ° - وهو من أطول أودية الجزيرة ، وأكثرها سكانا .

١٦ - ثبير : (١٥٧)

وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لا أُطِيْعَ بِصَرْمِهَا مَقَالَةَ وَاشٍ ، مَا أَقَام ثَبِيْرُ

(ثبير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، وكان المشركون يفيضون منه . فيقولون إذا أرادوا الإفاضة : (أشرق ثبير ، كيما نُغِير) ونغير : نُسرع . ولعظم الجبل وتقديسهم له قالوا : لا أفعل كذا ما أقام ثبير ، وما أشرق ثبير ، لأن الشمس كانت تشرق من ناحيته ، وكان يسدُّها ويحجبها عند أول طلوعها ، لعظمه وضخامته ، فيحول دون شروقها ، لذا نسبوا الشروق إلى الجبل توسُّعاً ، كما في قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي تبصرون فيه) . انتهى كلام المحقق .

١ - اسم ثبير يطلق على عدد من جبال بمكة وقربها وعلى ماءٍ في بلاد مُزَينة في نواحي المدينة .

٢ ـ ليس ثبير الذي من أعظم جبال مكة واقعا بينها وبين عرفة ، بل هو في أعلاها في شرقيها ، وقد بلغه عمرانها الآن ، وهو المعروف الآن بجبل الرخَم ، كما سيأتي ذكره ، على مقربة من جبل حِرَاءٍ .

٣ ـ ثبير الوارد فيه قول أهل الجاهلية : أشرق ثبير كيما نغير ، هو جبل مُزْدَلفة ـ أحد الأثبرة ـ كما سيأتي ، وكان المشركون لا يدفعون من مُزْدَلِفَة يوم النَّحْرِ حتَّى تُشرق عليه الشمس ، فخالفهم رسول ﷺ فدفع قبل طلوع الشمس إلى منى .

٤ ـ جملة (ما أقام ثبير) لا يفهم منها تقديس الجبل أو تعظيمه ، فهي كقول امرىء القيس :

أجارتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ وإنِّي مُقِيمٌ ما أقَامَ عَسِيْبُ

وكقول الآخر :

أُحِبُّكِ مَادَامَتْ بنَجْدٍ وَشِيجَةٌ وَمَا ثَبَتَتْ أَبْلَى بهَا وتِعَارُ

فالمقصود الثبات وعدم التغير كثبات تلك الجبال واستقرارها على حالتها ، لا تقديس تلك الجبال .

كما لايفهم من تلك الجملة أنه أراد ثبيراً المراد بجملة (أَشْرِقْ ثَبير) وإنما قصد أحَدَ الأثبرة ، ولعله ثبير الأثبرة وهو أعظمها ، وهو الذى إذا ثنى أريد ومعه حراء « تاج العروس » ـ ثبر ـ وأرفع الأثبرة وأعظمها ثَبير غينا بأعلى مكة بقرب جبل حِرَاء .

٥ ـ وها هي أشهر الأثبرة التي ذكرها مؤرخو مكة :

الأول : ثَبِيرُ غَيْنَا : قال الأزرقي في « أخبار مكة » ٢٧٨/٢ والفاكهي : ثَبِيْرُ غَيْنَا هو المشرف على بئر ميمون ، وقُلَّتُهُ المشرفة على شعب علي ، وعلى شعب الحضارمة بمِنى ، وذكر الأزرقي أن شعب الرخم بينه وبين الرَّبَاب . وزاد الفاكهي في « أخبار مكة » ٤/ ١٦٠ ـ عن عطاء : ذهبتُ إلى عائشة عند بئر ميمون وهي معتكفة بثَبِير . وفي « شرح أشعار الهذليين »

للحسن بن الحسين السكري (٢١٢ / ٢٧٥ هـ) ـ ٣٥٥ ـ : قال أبو جندب :

لَقَـدْ عَلِمَـتْ هُذَيْلٌ أن جَارِي ... لَدَى أطْـراف غَيْنَـا مِنْ ثَبِـيرِ

غَيْنَا ثبير : قُلَّتُهُ وأعلاه . الباهلي : قُلَّةُ ثبير التي في أعلاه تسمى غينا ، وهو حجر كأنه قنة (ياقوت عنه : قبة) وهو ثبير غينا . وفي قصيدة أبي طالب عن النبي ﷺ :

وثَـورٍ ومَـنْ أرسى ثَبِيْرا مَكَـانَـهُ ... وَرَاقٍ لِبِـرٍّ في حِرَاءٍ ونَـازِلِ

وقال البكريُّ في « معجم ما استعجم » : ثَبير جَبَلٌ بمكة ، وهي أربعة أثبرة بالْحجاز ، وللذي بمكة كانوا يقولون : أشرق ثبير كَيْما نغير ، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ فرجف به فقال : « اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصِدِّيق وشهيد » وقد روي هذا في حِرَاءٍ ، وهو ثبير الأثبرة ، والثاني ثبير غينا والثالث ثبير الأعرج ، والرابع ثبير الأحدب . وقال أبو حاتم عن الأصمعي في الأول : ثَبيرُ حراء . انتهى ـ ويؤخذ على هذا :

١ ـ ثبير مكة ، هو ثبير غينا ـ كما تقدم في نصوص من هم أقدم من البكري وأعلم بمواضع مكة .

٢ ـ قول المشركين أشرق ثبير . . يريدون ثبير مزدلفة ـ كما سيأتي ـ

٣ ـ قول الأصمعي : ثبير حراء ، أضاف ثبيرا إلى حراء لقربه منه ، فهما يَتَنَاظَرَانِ وثَبِيرُ مكة يظهر أنه المراد في كثير من الأشعار القديمة عند الإطلاق لشهرته ، وعظمه ، ومشاهدته من أعلى مكة ، ووقوعه في مدخلها الشرقي حيث يرد أكثر القادمين إليها ـ وانظر نماذج لتلك الأشعار « أخبار مكة » للفاكهي ٤ / ١٥٩ وما بعدها ـ ويعرف الآن باسم جبل الرخم ، ولعل لهذه التسمية بشعب الرخم الذي ذكر الأزرقي أنه واقع بينه وبين الرباب ، وهذا جبل يقع بين ثبير وبين الثنية الخضراء في طريق منى ـ انظر « أخبار مكة » للفاكهي ٤ / ١٥٥ ـ هامش ، ولثبير قُنَّةٌ بيضاء تُمَيِّزُهُ عن غيره من الجبال ، هي ما عرف قديما باسم (غينا)

وبئر ميمون كانت تقع على مقربة منه في أعلى الأبطح ، وقد دخلت الآن في قصر الملك فيصل ، وقد أدركتُها سنة ١٣٤٨ والسقاة يردونها ، وكأني الآن أشاهد أحدهم وهو يمتح من مائها ويرتجز :

دَلْــوٍ رشَــاهَــا الـجِمِّلِصْ   مِن كَفّ غَيْرِي يَمّــلِصْ

وعرفت بِسَبِيْلِ السِّتّ وضُمَّتْ إلى مجرى عَيْن زبيدة - وانظر لتحقيق موضعها ما كتبه الأستاذ الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش على هامش « أخبار مكة » للفاكهي - ٤/١٠٥ وما بعدها .

الثاني : ثَبِيْرُ الـزِّنْـجِ وهذا من جبال مكة : قال الأزرقي في « أخبار مكة » : ٢/٢٧٨ - والفاكهي في « أخبار مكة » ٤/١٦٨ -: يقال له جبل الزِّنج لأن زنوج مكة فيما مضى كانوا يلعبون فيه ، ويحتطبون منه ، وهو من ثبير النخل . انتهى ، وقال الفاسي في « شفاء الغرام » : ١/٢٩١ - : ثبير الزنج يقال إنه جبل بأسفل مكة يسميه أهلها النوبي ، وقال ابن ظهيرة في « الجامع اللطيف » ٣١٤ - : ثبير الزنج جبل النُّوبي بأسفل مكة في جهة الشبيكة ، الذي به مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - انتهى ، ولا يزال هذا الجبل يعرف باسم جبل عمر ، يشرف على محلة الشبيكة .

الثالث : ثَبير النَّخِيل - من جبال مكة أيضا - قال الفاكهي : « أخبار مكة » ٤/١٦٣ - لما ذكر ثبير الزِّنج - : وهو ثبير النخيل ، ويقال : إن الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين ، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . وقال الأزرقي « أخبار مكة » - ٢ / ٢٧٩ - : ثبير النخيل ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين ، يمر سيل مِنَى بينه وبين وادي ثبير . وسبق أنه قال عن ثبير الزنج : وهو من ثبير النخيل وثبير الزنج في أسفل مكة ، والأقحوانة والثنية الخضراء من أعلاها في أول طريق منى من الأبطح ؟ فكيف يكون هذا ؟ فلعل الجملة المتعلقة بالأقحوانة لاصلة لها بتعريف ثبير النخيل ،

كمـا لاحظ الشيخ عبد الملك بن دهيش محقق كتاب الفاكهي ، واستدل على هذا بحذف كلمة (له) من بعض مخطوطات كتاب الأزرقي وقال : والـذي ينبغي أن نعـول عليه في تعـريف ثبير النخيل هو ما ذكره الفاكهي والأزرقي ، فالأزرقي جعل ثبير الزنج جزءاً من ثبير النخيل ، والفاكهي جعل ثبير الزنج هو ثبير النخيل كله ـ هامش « أخبار مكة » للفاكهي : ٤/١٦٣ .

الرابع : ثَبير الأعْرَج ـ وهَذَا خارِجُ مكة وَحرمها ، ويقع جنوبها فيما بينها وبين عرفات ، وقال الأزرقي في « أخبار مكة » ٢/٢٨٠ ـ : ثبير الأعرج : المشـرف على حقِّ الـطارقيين بين المُغَمَّس والنّخيل ، وكذا قال الفاكهي « أخبار مكة » : ٤/١٦٨ ـ وقد أوْضَحَ الشيخ عبد الملك بن دُهَيْش محقق هذا الكتـاب أن ثبيرا هذا هو الجبل المعروف الآن باسم جبل الطارقي ، العالي الذي يكون على يسار القادم إلى مكة من طريق السيل ، إذا دخل أرض الصفـاح واقترب من أنصاب الحرم ، وهو يشرف على حي الشرائع السفلى ولا يزال يطلق على أحد شعابه التى تسيل منه شمالا على أرض ذوي الدخل المحدود اسم (شعب الأعرج) . انتهى ، وثبير هذا خارج الحرم . أما ما جاء في كتاب « بلاد العرب » ـ ٣٤ ـ وفى « معجم البلدان » منسوبا إلى الأصمعي : ثبير غينـا وثبير الأعـرج ، وهمـا حراء وثبير ففيه إشكـال إذ مفهومه أن جبل حراء هو ثبير الأعرج . وهذا لا يتفق مع ما نقل عنه البكري أنه قال في الأول ـ أي ثبير الأثبرة ـ ثبير حراء ، وتقدم توجيه هذا بأنه أضاف ثبيرا إلى حراء لقربه منه ، كما أن أول كلامه من أن ثبير الأعرج هو المشرف بمكة على حق الطارقيين لا يتفق مع تحديد حق الطارقيين فى كلام الأزرقي وأنه بين المُغَمَّسِ والنخيل ، وهذا خارج مكة ، فعبارة الأصمعي مضطربة .

ومهمـا يكن فمؤرخا مكة الأزرقي والفاكهي أعرف بمواضعها . ويؤيد القول بأن ثبيراً الأعرج هو جبل الطارقي قول الزمخشري ؟ أن ثبير غينا وثبير الأعـرج جبلان يصب بينهما أفاعية كما في « شفاء الغرام » ١/٢٩١ ـ أن

أفاعية تسيل بعض فروعه من جبل الطارقي ويمرُّ الوادي بثبير غينا حتى يفيض في الأبطح ، وقد عُدِلَ أخيراً إلى وادي فَخٍّ .

الخامس : ثَبيْرُ مِنى ، قال الفاسي في « شفاء الغرام » : ١/ ٢٩٠ ـ : ثبير الذي يستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل نمرة هو جبل كبير بمنى ، على يسار الذاهب إلى عرفة ، وهو يشرف على منى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف ، وأمامه قليلا على يسار الذاهب إلى عرفة ، قال الأزرقيّ : اسم الجبل الذي مسجد الخيف بأصْلِهِ الصفائح ، واسم الجبل الذي وِجاهَه على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل ، ثبير ، وهو من الأثبرة . انتهى . وثبير هذا هو الذي ذكر الأزرقي في « أخبار مكة » ٢ / ١٧٥ ـ فيما روى عن ابن عباس : الصخرة التي بمنى التى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم ـ عليه السلام ـ فداء ابنه إسحاق هبط عليه من ثبير كبش أعين ، أقرن ، ـ إلى آخر ما ذكر ـ وثبير هذا هو جبل منى المستطيل الممتد من جمرة العقبة إلى ما بعد محاذاة مسجد الخيف ، وهو الذي وهم القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » فَعَدَّهُ من جبال مكة ، وقال : جبل ثبير بمكة ، بقرب منى ، وهو جبل مبارك . . . وهو الذي أُهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام ـ والعرب تقول : أشرق ثبير كيما نغير قال الفاسي في « شفاء الغرام » : ١ /٢٨٢ ـ : وقوله : بمكة تَجَوُّزٌ ، سبق إليه الجوهري ، وهو تجوز لكونه بقرب مكة ، ثم نقل عن مجد الدين الفيروز آبادي شيخه ـ وهو صاحب « القاموس المحيط » أنه قال في كتابه « الوصل والمنى في فضل منى » أن النبي ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة ، ولهذا جاورت به عائشة ، وذكر أن بالمغارة التى أنشئت بلحف ثبير معتكف عائشة ، وأضاف الفاسي : ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة . ولا ادري من أين أتى المجد بتعبُّد رسول الله ﷺ فيه ، فالمعروف أن مكان تعبده كان بغار حراء ، حيث نزل عليه الوحي أول ما نزل . أما القول بأن عائشة جاورتْ به فأرى هذا من قبيل الالتباس ،

إذ تقدم قول الفاكهي عن عطاء : ذهبتُ إلى عائشة عند بئر ميمون ، وهي معتكفة بثبير ، فثبير الذي عند بئر ميمون هو ثبير غينا ، بمكة كما تقدم - والمجاورة تكون قرب المسجد الحرام ، وثَبِيرُ منى هذا له ذكر في مناسك الحج ، حيث ذكر العلماء أن الحاج يسير إلى عرفة إذا طلعت عليه الشمس - وسيأتي في الكلام على ثبير مزدلفة (ثبير النصع) زيادة إيضاح .

السادس : ثبير النِّصْع . قال الأزرقي في « أخبار مكة » : ٢/ ٢٨٠ وما بعدها - والفاكهي في كتابه - ١٦٧/٤ - : ثبير النِّصْع هو الذي فيه سِدَاد الحجاج ، وهو جبل المزدلفة الذي على يسار الذاهب إلى منى ، وهُوَ الذي كانوا يقولون في الجاهلية إذا أرادُوا أَنْ يدفعوا من المزدلفة : أَشرِقْ ثَبير ، كَيما نغير ، ولا يدفعون حتَّى يروا الشمس عليه . انتهى . ويظهر أن الفاكهي نقل كلام الأزرقي بنصِّه مع مافيه من إشكال . وهو قوله : عن يسار الذاهب إلى منى ، مع قوله : هو الذي فيه سِدَادُ الحجاج ، الذي قال عنه (٢/ ٢٨١) : السَّداد ثلاثة أسِدَّة بِشِعْب عمرو بن عبدالله بن خالد ، وصَدْرُها يقال له ثبير النِّصع عملها الحجاج بن يوسف تحبس الماء ، والكبير منها يدعى أثال ، وهـو سدٌّ عمله الحجـاج في صدر شعب عمرو ، وجعله حَبْساً على وادي مكة ، وجعل مفيضه يسكب في سدرة خالد وهي صدر وادي مكة . انتهى . وسِداد الحجاج تقع في الشمال الشرقي من عرفة بحيث يدعها المُتَّجهُ إلى مِنى يمينه - انـظر عنهـا ما كتبـه الشيخ عبد الملك بن دهيش في هامش ١٦٩/٤/ ١٧٠ من « أخبـار مكـة » للفاكهي ، فقد أوضح موقعها وذكر أن شعب عمرو بن عبدالله هو السُّرَر ، وهو ما يعرف الآن باسم المُعَيْصم الذي وقـع في نفقـه اختنـاق أكثـر من ١٤٠٠ من الحجـاج في ١٠ ذي الحجة سنـة ١٤١٠ ، وقـال الشيخ ابن دهيش (١٦٧/٤) : يظهـر أن الفـاكهي والأزرقي أرادا أن يقولا : إن ثبير النَّصْع على يسار الذاهب إلى منى من شعب عمـرو بن عبد الله بن خالد (المعيصم) وهذا صحيح لأن هذا الشعب هو الذي فيه سداد الحجاج ، وثبير النصع هو الجبل الذي لم يكونوا يدفعون من

مزدلفــة حتى يروا الشمس على رأسـه . . . وهـو أعلى الجبـال المحيطة بالـمـزدلفـة ، وفيه سداد الحجاج ، وهو أول جبل تشرق عليه الشمس في مزدلفة ، أما الجبال التي على يسار ِالنازل من مزدلفة إلى منى فهي جبال صغيرة ، وأسماؤها معروفة . انتهى .

وقال الفاسي في « شفاء الغرام » : ١ / ٢٩٠ ـ إذا تقرر أن ثبيرا بمنى وثبيرا بمزدلفة فلا مانع من أن يكون ثبير الذي إذا طلعت عليه الشمس سار الحاج من مبيته بمنى إلى عرفة ـ كما قال الفقهاء ـ ثبيرَ مِنى لكونه إلى مبيت الحاج أقرب من ثبير الذي بمزدلفة ، ولا مانع من أن يكون ثبيرٌ الذي عناه المشركون بقولهم : أشرق ثبير كَيْمَا نُغِير ، من المزدلفة ، لأنهم كانوا يقولون ذلك بالمزدلفة ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير الذي بها ، وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذي بمنى ، كيف وقد قال الأزرقي إن ثبيرا الذي عناه المشركون ثبيرُ المزدلفة ، وأثبت أنَّ بمنى ثبيراً سواه . وأما قول النووي في « التهذيب » وغيره إن ثبيراً جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ويمين الذاهب من منى إلى عرفات ، وإنه المذكور في صفة الحج ، والمراد في مناسك الحج ، فقد اعترضه شيخنا المجد ـ يقصد الفيروز آبادي صاحب الوصل والمنى ـ وقال : إنه قول فيه مقال ، ورجم بالغيب ، ومخالفة لاجماع أئمة اللغة والتاريخ ـ ثم قال المجد : نَعَمْ في المزدلفة جبل يُسمَّى ثبيراً وليس هو المراد في مناسك الحج ـ انتهى . ولكن ثبير مُزْدَلِفَة ورد له ذِكْرٌ في مناسك الحج ، فقد روى البخاري في الصحيح بسنده إلى عمرو بن مَيْمُون قال : شهدتُ عمر ـ رضي الله عنه ـ صَلَّى بِجَمْعٍ الصُّبْحَ ثم وقف فقال : إنَّ المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلعَ الشمسُ ويقولون : أَشْرِقْ ثبير ، وأنَّ النبي ﷺ خالفهم ، ثم أفـاض قبـل أن تطلع الشمس ـ « فتح الباري » : ٣ / ٥٣١ ـ والغريب أنَّ الحافظ ابن حجر ـ مع سعة علمه قال في شرحه : ثبير جبل معروف هناك وهو على يسار الذاهب إلى مِنى ، وهو أعظم جبال مكة . وتقدم أنه بمزدلفة وليس بمكة ، وأنه على يمين الذاهب إلى منى ، وكأن ابن حجر أخذ برأى القائلين بأن ثبيرا المعني بقول المشركين

أشرق ثبير ليس ثبير مزدلفة ، فقد قال ابن ظهيرة في الجامع اللطيف » ٣٤٥ ـ : ثبير النصع : جبل لطيف بمزدلفة . على يسار الذاهب إلى منى ـ ثم أورد كلام الأزرقي ـ وأضاف : والمعروف المنقول عن جميع أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون إلاَّ ثبير الأثبرة الذي بمنى ـ إلى أن قال : ووجَّه الفاسي ما ذكره الأزرقي ـ وأورد كلام الفاسي المتقدم .

السابع : ثَبِيْرُ الأحدبُ ، وهذا لم أر له ذكراً عند الأزرقي ولا الفاكهي وقد عَدَّه ياقوت من الأثبرة التي بمكة ، بل ذكره قبله الحسن بن الحسين السكري (٢١٢/٢٧٥هـ) في « شرح أشعار الهذليين » ـ ٣٥٥ ـ : بما نصه : الباهلي : غينا ثبير قلة ثبير التي فى أعلاه تسمى غينا ، وهو حجر كأنه قنة ، وهو ثبير غينا وثبير الأعرج ، وثبير الأحدث ، قال السكريُّ : أظنه الأحدب ، وثبير آخر ، فهي أربعة أثبرة . وذكر البكري في « معجم ما استعجم » ثبير الأحدبِ هكذا ضبطناه عن أبي العباس الأحول على الإضافة ، وحكاها أبو بكر بن الأنباري على النعت ثبير الأعرج ، وثبير الأحدب .

وقال ابن ظهيرة في « الجامع اللطيف » ـ ٣٤٥ ـ : بمنى جبل يدعى الأُحَيْدب مقابل مسجد الخيف على يسار الذاهب إلى عرفة وإلى جانبه آخر لا يبعد أن يكون ثبير غينا ، وبينهما شعب الظاهر أنه أفاعية ، وعلى هذا يصير بمنى ثلاثة أثبرة ، ثبير المشهور ، وثبير غينا ، وثبير الأحدب . انتهى وثبير غينا تقدم ذكره وأنه في أعلى مكة ، وعلى ما ذكر ابن ظهيرة فثبير الأحدب والأحيدب ـ : متصل بثبير منى ، وقد يكون الاسم أطلق على جزء منه فيه احْدِيْدابٌ (اعوجاج) .

الثامن : ثَبِيْرُ الْخُضَيْرَاء ، قال الفاسي في « شفاء الغرام » ١ / ٢٩١ ـ : ثَبِيْرُ الْخُضَيْراءِ الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضيراء ، بطريق مِنى ، وهو مكان مشهور ، وأورد كلامه ابن ظهيرة في « الجامع اللطيف » : ٣٤٦ ـ وأضاف : والخضيراء وادٍ معروف إلى اليوم

وسبق الكلام على ثبير النَّخِيل ، ومما جاء في تحديده عند الأزرقي : ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين ، يَمُرُّ سَيْلُ مِنًى بينه وبين وادي ثبير . انتهى ، لا أستبعد أنه سقط من أوَّل الجملة : (وثبير الخُضَيْراء : ويقال له الأقحوانة) لِيَتِمَّ الكلام على ثبير النخيل أنه جبل الزنج ، ولايكون ارتباط بين تعريف هذا الجبل الواقع بأسفل مكة بالأقحوانة الموضع الواقع بأعلاها بقرب بئر ميمون - « أخبار مكة » للفاكهي ٤/١٦٦ -

مما تقدم يتضح أنَّ الأَثْبِرَة منها أربعةٌ بمكة ، ثَبِيرُ غَيْنَا وثبير الْخُضَيراء في أَعْلَاها وثبير الزِّنْج وثَبير النخيل في أسفلها في داخلها ، وثبير الأعرج جنوب شرقي مكة خارج الحرم ، بينها وبين عرفة ، واثنان في منى ، ثَبِيرٌ ، وثبير الأحدب ، وواحد في مزدلفة وهو ثبيرُ النِّصْعِ ، فكأن الأثبرة تمتد من أعْلَى مكة حتى تنتهي بمزدلفة ماعدا اثنين يقعان داخل مكة .

١٧ - ثَقِيْبُ : (٩٧)

عَفَا مَثْعَرٌ مِنْ أَهْلِهِ فثَقِيْبُ ... فَسَفْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِرٍ فَجَرِيب

(قال ابن الأعرابي : مَثْعَرُ وادٍ بالْفُرْع ، وثَقِيْبُ وادٍ بالفرع أيضا ، وسائر جبل في هذا الموضع)

ثَقِيبُ : واد لايزال معروفا ينحدر من أسافل جبال الفُرْع ومن جنوب غرب جبل قُدْسٍ حتى يجتمع بوادي القاحة قبل اجتماعه بوادي النَّخل - أعظم أودية الفرع - بخمسة عشر كيلا ، مجتمع وادي القاحة ووادي النخل في متسع من الأرض ، فيه محطة لقوافل الحجاج قديما تعرف ببئر مبيريك ، وبعد اجتماعهما يسمى الوادي وادي الأبواء . ومن روافد وادي ثقيب أم كشد - في السيرة لابن هشام - (ذو كشر) وجُداجد ، وأُجيرد ، والثلاثة وردت في خبر الهجرة - انظر « العرب » : ١/٥٩١ - وقد مررت بتلك المواضع - (يقع

بين خطي العـرض ١٥′ /٢٣° و ٣٥′ /٢٣° وخطي الطول : ١٥′ /٣٩° و ٣٠′ /٣٩° ، وفيه موقـع مأهـولٌ يدعى (البستـان) بقرب خط الطول : ٢٠′/٣٩° وخط العرض : ٢٠′/٢٣°) .

وقد ورد اسم ثقيب هذا مصحفا (نقيب) فى « معجم مااستعجم » رسم حورة حيث ورد البيت منسوباً إلى نُصَيْب :

عفـا مَنْـقَـلٌ مِنْ أهْـلِه فَنَقِيْبُ   فَسَـرْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِـرٍ فمُـرِيْبُ

ويطلق اسم نقيب أيضا على شِعْبٍ في جبل أجأ ، ورد في « شعر حاتم » .

١٨ ـ جُبْجُب : (١٠٦)

فَأَنَّـى لَهُ سَلْمَـى إذَا حَلَّ وانْتَـوى   بِحُلْوَانَ واحْتَلَّتْ بِمُـزْجٍ وجُبْجُبِ

(... جبجب : ماء بنـواحي اليمامة ، وقال البكري : هو اسم ماءٍ بيثـرب ، ثم نقـل عن ابنِ الأعـرابي أنَّ جَبْجَبَ ـ بفتح الجِيمَيْنِ ـ جبل ، واستدل ببيت الأحوص هذا) .

وأورد المحقق قبل هذا (٩٢) في شرح قول الأحوص : ـ

أمِنْ آلِ سَلْمَى الـطَّارِقُ الْمُتَـأَوِّبُ   إلَـيَّ وبَـيْشٌ دُوْنَ سَلْمَـى وكَـبْكَبُ

(.. ورواه البكريُّ في « معجمه » : « وبَيْشٌ دُوْنَ سَلْمَى وجَبْجَبُ ، فعلق شيخنا العلامة محمود شاكر بقوله : وكأنه الصواب ، فإن ظاهر الشعر يدل على أنه في ديار بني عامر بن صعصعة ، أو قريب منها ، وكبكب جبل خلف عرفات) .

١ ـ القـول بأن جبجب ماء بنـواحي اليمـامـة أورده ياقـوت في « معجم البلدان » واستشهد بشعر الأحوص ، ثم أورد بعده : وقال الراجز :

يَادَارَ سَلْمَـى بدِيَارِ يَثْـرِبِ   بِجَبْـجَـبٍ وعَـنْ يَمِينِ جَبْجَـبِ

ولكن صاحب « تاج العروس » لما أورد قول صاحب « القاموس » : وجُبْجُبُ ـ بالضَّم ـ ماءٌ قرب المدينة ـ استشهد بالرجَز ، ولكنه أضاف : ويترب ـ بالتاء الفوقية موضع باليمامة ، وكأن المصنف ظنه يثرب ، فلذا قال : بالمدينة ، وفيه نظر ـ إلى أن قال : وبقيع الجبجب موضع بالمدينة ، أو هو بالخاء في أوله ، كما ذكره السُّهَيْلِيُّ ، وقال : إنه شجر عُرِفَ به هذا الموضع . انتهى . ومأشار إليه صاحب « تاج العروس » من أن قول صاحب « القاموس » عن جبجب : ماءٌ قرب المدينة ، وأن فيه نظرا ، أورد البكري في « معجم ماستعجم » « ـ ١٣٨٨ ـ بعد الرجز : جبجب ماء بيثرب ، مايؤيده قال : إن يثرب من اليمامة ، لأن العمالقة كانت من اليمامة إلى وَبَار ، و يثرب هناك ، وكانت العماليق أيضا بالمدينة .

٢ ـ ولكن أيَّةُ صلة للأحوص وهو مَدنيٌّ بهذا الماء الذي في اليمامة ، وقد قرنه بمزج القريب من المدينة ، فينبغي أن يكون جبجب بقرب مزج ، هذا إذا كان الاسم صحيحا ولم يكن محرفا .

٣ ـ جبجب اسم يظهر أنه أُطْلق على مواضع ، ففي « معجم ماستعجم » ٣٦٤ و ٤١٩ و ٦٣٩ نَجِدُ النابغة الجعديَّ قرنه بمواضع ـ في جنوب الجزيرة ، ولهذا قال البكري : جبجب وحبحب ماء لبني جعدة .

كما ذكر البكري أيضا أن جَبْجَباً من عُكَاظ .

وَإِذَنْ فالاسم لايطلق على موضع واحد ، وليس بين أيدينا مايرجح أن الشاعر قصد جبجبَ الذي في اليمامة ، بل إنَّ بُعْدَهُ عن هذه البلاد ، وذكر الاسم مقرونا بمزج يدل على أنه يقصد موضعا قريبا من المدينة .

٤ ـ ليس من المستبعد أن يكون لرواية البكري في « معجمه » : (وبيش دُوْنَ سَلْمَى وجبجب) وجه من الصحة ، ففي جنوب الجزيرة مواضع يطلق عليها هذا الاسم منها قرية من قرى ضمد في إقليم جازان ـ انظر

« المعجم الجغرافي لمقاطعة جازان » ١١٥ ـ كما ذكر الهمداني مواضع في اليمن ولكنها معرفة .

ويَيْشُ لايزال بعضُ سكانه ينتسبون إلى بني هلال ، وهؤلاء من بني عامر ابن صعصعة ، وهذا مما يقوي رأي شيخنا العلامة أبي فهر ، وإن لم أدرك وَجْهَ تصويبِه .

١٩ ـ جَرِيب : (٩٧)

عَفَا مَشْعَرٌ مِنْ أَهْلِهِ فَثَقِيبُ   فَسَفْحُ اللُّوَى مِنْ سَائِرٍ فَجَرِيبُ
فَذُو السَّرْحِ أَقْوَى فَالْبِرَاقُ كَأَنَّهَا   بِحَوْرَةَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِنَّ عَرِيبُ

(قال ابن الأعرابي : مشعر وادٍ بالفرع . وثقيب واد بالفرع أيضا ، وسائر : جبل في هذا الموضع : « معجم مااستعجم » . . . وجريب : واد عظيم يصب في بطن الرمة من أرض نجد) .

ذو السرح : واد بين مكة والمدينة قرب مَلَلٍ . . براق حَوْرة : موضع من ناحية القبلية) .

الجريبان : (١٣٠)

عَفَتْ عَرَفَاتٌ فَالْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدِ   فَأَوْحَشَ مَابَيْنَ الْجَرِيبَيْنِ فَالْمَهْدِ

(. . الجريبان : الجريب وادٍ بين أَجَلَى والذَّنائب وحبر (بتشديد الباء) تجيء أعاليه من قبل اليمن حِيْنَ يَلْقَى الرُّمَةَ . وهذا هو جريب نجد . والجريب الآخر بتهامة ، وهما جريبان . انظر « معجم مااستعجم » والنهد : موضع يقال له عين النهد ، وهو بالفرع . .) .

١ ـ لا أدري لِمَ لم يُعر المحققان الكريمان التباعد بين الجريب الذي اتفقا على أنه الموضع المراد بقول الشاعر وبين المواضع التي قرنه بها التفاتاً ؟ فأين جَرِيبُ نَجْدٍ من أمكنة واقعة في الحجاز ، على مقربة من المدينة ؟ .

٢ ـ إذا صَحَّتْ كلمة الجريب فلم لا تكون اسماً لموضع قريب من مَثْعَر وثقيب في نواحِي الفُرْع ، وإنْ لم يرد له ذكر في كتب المتقدمين ، وما أكثر المواضع الواردة في الشعر القديم ولم يحدد المتقدمون أمكنتها ومثال واحد من الأمثلة الكثيرة :

البزواء : وردت في شعر كُثَيِّر : ـ « ديوانه » ـ ٨٠ ـ :

يُقَبِّلْنَ بِالبَـزْوَاءِ وَالْجَيْشُ وَاقِفٌ
مَزادَ الـرَّوَايَا يَصْـطَبِبْنَ فِضَـالَهَـا
وَقَـدْ قَابَـلَتْ مِنْهَـا ثِرَى مُسْتَجِيْزَةً
مَبَـاضِـعَ في وَجْهِ الضُّحَى فَثُعَالَها

والْبَـزْوَاءُ هذه ـ كمـا عَرفهـا المتقدمون ـ : أرض بيضاء مرتفعة ، من السـاحـل بين الجـار وودَّان ـ أي شمـال مكة بينها وبين المدينة ، ولاتزال معروفة ـ انظر « ديوان كثيِّر عزة » ـ ٥٥٣ ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس .

وهناك بَزْواءُ أخرى وردَتْ في الشعر القديم ، ولكنها تقع جنوب مكة ، ذكرها أبو دَهْبَلٍ الْجُمَحِيُّ في وصف ناقته وهو متوجِّهٌ إلى الْبِرْك :

خَرَجْتُ بِهَـا مِنْ بَطْنِ مكَّـةَ بَعْـدَمَا
أَصَـاتَ الْمُنَـادِي لِلْصـلَاةِ وَأَعْتَمَـا
فَمَـا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَـدَّ سَامِـرٌ
مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزَتْ بِيْ أَلَمْلَمَا
ومَـرَّتْ بِبَـطْنِ اللَّيْثِ تَهْـوِي كَأَنَّمَـا
تُبَـادِرُ بالإِصْبَـاحِ نَهْبـاً مُقَسَّمَـا
وَجَـازَتْ عَلَى الْبَزْوَاءِ وَاللَّيْلُ كَاسِرٌ
جَنَـاحَـيْهِ بِالْبَـزْوَاءِ وَرْداً وأَدْهَمَـا
فَقُـلْتُ لَهَـا قَدْ بُعْتِ غَيْرَ ذَمِيْمَـةٍ
وأَصْبَـحَ وَادِيْ البِـرْكِ غَيْثاً مُدَيَّمَـا

فَهَلْ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ مُرادَ أَبي دَهْبَلٍ الْبَزْوَاءُ التي حَدَّد المتقدمون موقعها وتلك شمال مكة ومرادُ أبي دَهْبَلٍ جَنُوبَهَا ، لأن المتقدمين لَمْ يُحَدِّدوا سوى الأولى ؟ .

٣ ـ اسم الْجَرِيْب لايَخْتَصُّ بِمَوْضِعَيْن أَحَدُهُمَا بتهامَةَ والثاني في نَجْدٍ لكي نَقْصُرَ كلمة (الجريْبَيْن) عَلَيْهما ، فقد سَمَّى الهمداني في « صفة جزيرة العرب » مواضع في اليمن غير جريب نَجْد ، انظر الصفحات ١١٤ / ٢٢٩ / ٢٣٤ ـ ولاتزال هذه المواضع معروفة في زَبيد ، وفي بلاد حَجُور من همدان ، وفي رَيْمَة ، وفي البيضا ـ كما أوضح الأكوع والمقحفي في مؤلفيهما عن بلدان اليمن .

٤ ـ أما قول الدكتور عادل : (الجريب وادٍ بين أجَلَى والذَّنائب وحبر ـ بتشديد الباء ـ تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يلقى الرُّمَة) فهو نَصُّ مانقل البكريُّ في « معجم مااستعجم » عن يعقوب ـ ولعله ابن السكيت ـ سوى ضبط (حبر) فلم يرد في الجملة . وفي هذا الضبط سبق قلم ، فالمشدَّد هو الراء وليس الباء . ووادي الجريب ليس محصوراً بين أجَلَى والذنائب وحِبرٍّ ـ وكلها هضبات لاتَزَال معروفة ، وإنَّما المقصود أَنَّ فروعَ وادِي الْجَرِيْب تبتدىء من هذه الْهِضَاب وماحولها من الجهة الجنوبية الموالية لليمن ثم يَمْتَدُّ الوادي صوبَ الشمال مسافات طويلة حتى يلتقي بوادي الرُّمَةِ ، لاأنه محصورٌ (بين) تلك الْمُسَمَّيَاتِ ، فَأَجَلَى وحِبرٌ والذَّنائب تقع كلها فيما بين خطي العرض ٣٠َ / ٢٣° و ٤٠َ / ٢٣° وبقرب خطي الطول : ١٠َ / ٤٢° و ١٥َ / ٤٢° ومن هُنا تنحدر فروع وادي الجريب الممتد عبر عالية نَجْدٍ من جنوبها إلى شمالهاحتى يجتمع بوادي الرُّمَةِ بقرب خط العرض ٤٠ / ٢٥° ـ إذ هو أعظم روافد وادي الرُّمة .

٥ ـ وماكان للكلام المتقدم كله من مَحَلٍّ لولا ورود مايستلزم ذكره ـ فقد أوضح البكريُّ الجريبَ الذي أراد الأحوصُ ، فقطع بذلك قول كل

خطيب ، قال في رسم (مَلل) من « معجم مااستعجم » : وبالْفَرْشِ الْجَـرِيْبُ ، وهـو بَطْن وادٍ يقـال له مَثْعَـرُ ، وهـو ماءٌ لجُهينة ، وذكره الأحوص فقال :

عفـا مَثْعَـرُ من أهْلِهِ فَثَقِيْبُ   فَسَفْـحُ اللِّوَى مِنْ سَائِـرٍ فَجَـرِيْبُ

ـ إلى آخر ماذكر . وسيأتي الكلام على مثعر ـ .

(يتبـع)

* * *

أهــــي
الرســالة البغداديــــة
أم
حكاية أبي القاسم البغدادي ؟

د . عبد اللطيف الراوي(*)

نسب المرحوم الدكتور مصطفى جواد « حكايه ابي القاسم البغدادي » لأبي حيان التوحيدي ، ونفى كونها لأبي المطهر الأزدي .

ثم جاء عبود الشالجي فنشر الحكاية تحت عنوان « الرسالة البغدادية » ، ونسبها أيضاً لأبي حيان ، على الرغم من أن صاحب هذا البحث كان قد كتب نافياً هذه النسبة .

د . عبد اللطيف الراوي يحشد في هذا البحث أدلة تنفي نسبة الحكاية لأبي حيان ، ثم يأتي بأدلة تؤكد نسبتها لأبي عبد الله الحسين بن الحجاج محتسب بغداد وشاعر المجون والفحش المعروف .

« المجلة »

* كلية الآداب ـ جامعة البعث بحمص ـ سورية .

نشر أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد [1] طيّب الله ثراه - مرة مقالة في مجلة « الأستاذ » [2] ، حاول فيها إثبات أن حكاية أبي القاسم البغدادي المنسوبة لأبي المطهر الأزدي هي من تأليف أبي حيان التوحيدي ، وقد دعم محاولته بأدلة وبراهين استنبط أغلبها من التشابه الحاصل بين ماجاء في الحكاية وماورد في كتب أبي حيان .

وكنا وقتذاك طلاباً لانجرؤ على خدش قداسة مايأتي به الأساتذة ، وخاصة إذا كانوا بمنزلة د . مصطفى جواد الذي أطلق عليه بحق صفة (دائرة المعارف المتنقلة) .

ومرّت سنوات دخلنا فيها ميدان بحث وخرجنا من آخر فإذا باليد تتجاسر لتكتب مقالة تنشر في صحيفة يومية تؤكد أن حكاية أبي القاسم البغدادي ليست لأبي حيان التوحيدي وإنما هي لأبي عبد الله الحسين بن الحجاج محتسب بغداد وشاعر المجون والفحش ، أستند في ذلك إلى أدلة تشكل الحكم الفصل . . .

وحين كنت أستعد لتحقيق الحكاية طرق السمع أن أستاذنا المحقق البارع عبود الشالجي يقوم على إخراجها ، فتركت ماكنت قد بدأت من تحقيق ، متأكداً من أن ماآتي به لن يكون بمستوى ماسينجزه الأستاذ الشالجي .

وكان انقطاع لهذا السبب أو ذاك عما تم إخراجه من التراث . ولكن التساؤل عن مصير الحكاية لم ينقطع . وسمعت وأنا في « وهران » أن رسالة باسم الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي قد أنجزها أستاذنا الشالجي [3] فلم يخطر على بال أنها حكاية أبي القاسم . وإذ ذاك يئست فعدت إلى العمل في تحقيق الحكاية ، إلا أن إشارة من المحقق الفاضل الأستاذ عبد الإلّه نبهان إلى أن الرسالة البغدادية هي حكاية أبي القاسم أوقفتني عن متابعة العمل .

---

(١) ولد الدكتور مصطفى جواد بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٨ وتوفاه الله في اليوم السابع عشر من كانون الأول عام ١٩٦٩ وقد خرجت بغداد حشوداً لتوديعه ، خلّف ٣٧ مطبوعا ومئات المقالات والبحوث والقصائد .

(٢) مجلد ١٢ وهي مجلة دورية كانت تصدرها كلية التربية / جامعة بغداد .

(٣) عبود الشالجي : من المعنيين بالتراث الحضاري العربي ، حقق نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة للتنوخي .

وحين استلفتها منه فوجئت ، فالرسالة البغدادية التي حققها الأستاذ عبود الشالجي ونسبها لأبي حيان التوحيدي هي نفسها حكاية أبي القاسم البغدادي المنسوبة لأبي المطهر محمد بن أحمد البغدادي التميمي ، ودهشت حقا لماذا هذا الإصرار على نسبتها لأبي حيان التوحيدي ؟ ! أهو بإيحاء من مقالة الدكتور مصطفى جواد أم ماذا ؟

وكان عجبي أكبر من المفاجأة والدهشة معاً حين قرأت مقدمة الأستاذ الشالجي فلم أجد أية اشارة للمرحوم مصطفى جواد ولا لمقالته . وافترضت حسن النيّة وسلمّت بأن ماقام به الأستاذ الشالجي جاء اتفاقاً فقط . . وهو في نظري اتفاق في الاجتهاد الخاطىء الذي بنيت عليه من قبل الأستاذ الشالجي فرضيات واستنتاجات خاطئة . ولهذا أرفع يدي الضعيفة للمرة الثانية والثالثة محاولاً أن أصحح هذا الخطأ الذي لم تقدم أدلته سنداً واحداً يمكن أن يتكىء عليه الباحث .

ولكي يكون احتجاجي مسندا سأدعمه بأدلة تؤكد بطلان نسبة هذه الحكاية إلى أبي حيان التوحيدي وترجّح نسبتها إلى ابن الحجاج أبي عبد الله الحسين بن أحمد البغدادي المتوفى سنة ٣٩١ هـ .

أولاً : يقطع الأستاذ الشالجي دون أي دليل مقنع بكون حكاية أبي القاسم البغدادي هي الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي . وبناء على هذا القطع صار يعاتب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين[1] (الذي كتب كتابا عن أبي حيان)[2] على كونه لم يكتشف هذه الرسالة (ولم يعرف لها نسخة ولامصدراً نقل منها نصاً مع أن الدكتور ألف كتابه في السنة ١٩٤٨ والرسالة البغدادية مطبوعة في هيدلبرج منذ السنة ١٩٠٢) .

والأستاذ الشالجي في هذا النص يريد من المرحوم الدكتور عبد الرزاق محيي الدين أن يكتشف ـ دون أدلة ـ أن ماحققه آدم متز وطبعه بعنوانه الأصلي

---

(١) د . عبد الرزاق محيي الدين ١٩١٠ ـ ١٩٨٣ انظر ترجمته في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٨٣ .

(٢) هذا الكتاب من أطروحة نال بها المؤلف درجة الماجستير عام ١٩٤٨ ونشرتها مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٤٩ .

(حكاية أبي القاسم البغدادي) عام ١٩٠٢ هو الرسالة البغدادية ، أي أن الأستاذ الشالجي يفترض أن يكون الدكتور محيي الدين نظيرا له في التفكير والتخيل .

ثانياً : لا ندري ما المسوغ الذي أعطى الأستاذ الشالجي حق إبدال عنوان المخطوط الذي يظهر واضحاً على الصفحة الأولى . . وقد أورده آدم متز كما هو ، وهو في مخطوطة المتحف البريطاني التي لم يشر إليها الأستاذ الشالجي على هذا النحو :

حكاية أبي القاسم البغدادي التميمـــي
من العجائب والغرائب
على ماجمعت من الحكايات

وفوق هذا يصرح المؤلف نفسه في مقدمته بأن هذا العمل الأدبي هو حكاية وليس رسالة فيقول : (هذه حكاية مقدرة على طول يوم واحد) . وليس تحت العنوان اسم المؤلف ولا أعتقد أن هناك اسماً للمؤلف في نسخة برلين [1] . وقد يعني حذف اسم المؤلف أن المخطوطة لما فيها من أفكار وآراء قد تؤثر على منزلة صاحبها ، وليس لأبي حيان منزلة في الدولة تتأثر بها في الحكاية ، كما أن طبيعة أبي حيان الجسور ترفض التخفي ، فالذي يجرؤ على كتابة (مثالب الوزيرين) لايخجل من وضع اسمه على مثل هذه الحكاية إن كان هو مؤلفها .

ثالثـاً : وبنـاء على القـطع السـابق يترجم الأستـاذ الشالجي لأبي حيان فيستخرج له نسباً وأوصافاً ونسبة وعمراً بأسلوب بعيد عن المحاجّة وقريب من طريقة الخطاب الحماسية ، ويبني بعد ذلك كل هوامشه وتعليقاته على هذا الأساس .

وليس لأبي حيان فى كل ذلك ذنب ، ولاأدري الدافع الذي أدى إلى هذا المسرب . فأبـو حيان أديب يعنى بالعبـارة وتنـاسقهـا ولايطلق نفسـه على

(١) بالمقـارنـة مع مطبـوع آدم متز ومطبوع الأستاذ الشالجي المعتمدين على نسخة المتحف البريطاني ونسخة برلين على التوالي لم أجد إلا فوارق طفيفة جدا .

سجيتها ، يتجنب الغريب الجاسي . نعم ، لكنه يترفع عن العامي المبتذل ، وإذا أورد مايحتوي على الفحش أورده بحياء ، كما أنه غير معني بالمسميات اليومية التي تشكل الجزء الأكبر من حكاية أبي القاسم ، ولم يعرف عنه أنه شغل منصباً يؤهله معرفة أحوال الناس وطبائعهم ومآكلهم وسلوكهم اليومي ، كما أنه غير قادر بحكم تكوينه الثقافي والاجتماعي على النزول إلى مستوى العامة في تركيب جملته أو في العناية بهمومهم . وهو يورد ذلك بصراحة في كتابه الإمتاع والمؤانسة قال [١]: هذا فن حسن ، وأظنك لو تصديت للقصص والكلام على الجمّيع [٢] لكان لك حظ وافر من السامعين العاملين ، والخاضعين والمحافظين . فكان من الجواب [٣] : أن التصدي للعامة خُلوقة [٤] ، وطلب الرفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ، وماتعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم .

وليس يقف على القاص إلا أحد ثلاثة : إما رجل أبله ، فهو لايدري مايخرج من أم دماغه ، وإما رجل عاقل يزدريه لتعرضه لجهل الجهال ، وإما له نسبة إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجالب للهجر ، والاعتراف الجالب للوصل ، فالقاص حينئذ ينظر إلى تفريغ الزمان لمداراة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الازدياد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة إما مقتبساً منهم أو قابساً لهم ، وعلى ذلك فما رأيت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما وإلا دينارا أو ثوبا ، ومناصبة شديدة لمماثليه وعُداته . . . . » [٥]

وإذا تجاوزنا مافي هذا النص من رؤية متقدمة للعملية الإبداعية القصصية بشكل خاص ووقفنا فقط على مايحتج به ضد دعاوى نسبة حكاية أبي القاسم إلى أبي حيان لكانت به الكفاية ، ولكن الرغبة في زيادة التفنيد تتلبس الكاتب لكثرة حججه . .

---

(١) أي الوزير ابن سعدان .

(٢) أي العامة .

(٣) أي جواب أبي حيان .

(٤) أي تبذل وامتهان .

(٥) الإمتاع والمؤانسة ١/٢٢٥ .

رابعاً : يورد المحقق الفاضل في الصفحة (١٧) أن أبا حيان (أحصى مع رفاق له من شباب أهل الكرخ المغنين والمغنيات في جانبي بغداد في السنة ٣٦٠ وهو في الثامنة والعشرين) .

ولايعلم المرء كيف استدل على العمر ولاعلى تاريخ الإحصاء ، فالنص الذي يرد في الحكاية والإمتاع معاً يقول بعد حديث طويل عن المغنين والمغنيات ومايجري لمتلقيهم من هوس : « ولو ذكرت هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان ، والجواري والحرائر ، لطال ومل [١] وكنت كالمزاحم لمن صنّف كتابا في الغناء والألحان [٢] وعهدي [٣] بهذا الحديث سنة ستين وثلثمائة . وقد أحصيت أنا وجماعة في الكرخ [٤] أربعمائة وستين جارية . . . إلخ » .

ولاأعتقد أن جملة : وعهدي بهذا الحديث تعود على ماتليها (وقد أحصيت) بل إن الأصوب والأكثر دلالة هو عودتها على ماقبلها ، وبذلك يكون التاريخ للحديث لا للإحصاء . وهنا تبطل قيمة التاريخ في أن يكون دليلاً على العمر أو سنة التأليف أو ماشابه .

خامساً : **يشير المحقق الفاضل إلى أن أبا حيان ألّف (الرسالة) (ويقصد الحكاية) في حدود سنة ٣٧١ هـ وألف كتاب الإمتاع والمؤانسة سنة ٣٧٤ هـ وأثبت فيه قصة كاملة مما اشتملت عليه الرسالة البغدادية ، وهو بحثه عن المغنيات والقيان والمغنين ببغداد .**

وأنا مع المحقق الفاضل في أن الإمتاع ألف بعد الحكاية وأنه اشتمل على فصل منها ، لكن هذا لايشكل دليلاً على أن الحكاية هي لأبي حيان بقدر ما يناقض ذلك ، فالنقل لم يكن متماثلاً ، وماجاء في الإمتاع يزيد أو ينقص عما جاء في (الحكاية) ، وفيه تغيير في مواقع أسماء المغنين والمغنيات ومتلقي الغناء والأحداث التى جرت ، وفيه تصحيف وتحريف ونقص أو زيادة في الشعر

---

(١) في الإمتاع : وأمل .

(٢) في الإمتاع ٢/١٨٣ : وزاحمت كل من صنف . .

(٣) في الإمتاع : وعهدي . .

(٤) في الإمتاع : وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ . .

المغنى ، وهذا يوحى بأن المؤلف ليس واحدا وأن هناك تلاعباً واضحاً من أبي حيان في النص الذي نقله عن الحكاية علماً بأن ماورد في حكاية أبي القاسم البغدادي جاء ضمن سياق حديث ممتع تتخلله حوارات وتساؤلات ذات فعل درامي ، في حين جاء موضوع المغنين فى الإمتاع والمؤانسة محشوراً في بداية الجزء الثالث (حسب تقسيم المؤلف لا المحققين) ، لا علاقة له بما كان يتحدث به أبو حيان في الليلة الثامنة والعشرين التي لم يستمر بها إلا صفحتين وانتهى الجزء الثاني . .

سادساً : لم يُعرف عن أبي حيان ميل إلى التشيع ، والرسالة مملوءة بما يثبت تشيع صاحبها .

سابعاً : عرف عن أبي حيان قلة اختلاطه وحسده وأنانيته وعدم قدرته على مجاراة الآخرين في لهوهم وأنسهم ، ولايواتيه قلمه في الحديث عن فرح الآخرين دون أن يثلبهم ، وفي الحكاية أخبار عن مجالس أنس شارك فيها كاتبها [1] مشاركة المتمتع المحب لرفاق مجلسه . .

هذه جملة اعتراضات حول نسبة الحكاية إلى أبي حيان التوحيدي ، كان من الممكن أن تسقط ، لولا أن لي من الأدلة مايثبت نسبتها إلى أبي عبد الله الحسين بن الحجاج ، أستطيع أن أجملها بما يلي :

أولاً : ورد في بداية الحكاية (ثم إن لي قدمة شوط أستعيره وأستخيره من شعر أبي عبد الله بن الحجاج وهو قوله :

ياسيدى دعوة من شعره	يجرى على العادة والعرف
لابد أن تغفل عن لفظه	طريقة يأتي بها سخفي

وقَدمة أخرى من قوله وهو :

ياسيدى فاستمع لنادرة	غريبة قد مشى بها وقتي

ودعوة محققة من دعاويه لنفسه أدعيها من بعده وهي :

ياسيدى وحديثي كله سمر	افرغ لتسمع منيَ ذلك السمرا

---

(١) ص ٢٦٨ ـ ٢٧٥ .

والملاحظ على هذه المقدمة التي كتبها صاحبها قبل ابتداء السرد أن المؤلف يكن تقديرا لابن الحجاج ويقول صراحة إنه ينوب عنه ويستعير أقواله . ولايعقل أن يصدر مثل هذا الكلام عن ابن الحجاج من أبي حيان التوحيدي الذى لا يكن لشعره احتراماً ، فهو مثلاً حين يتحدث عن الأدباء ويأتي ذكر ابن الحجاج يقول : أما ابن الحجاج فليس من هذه الزمرة بشيء لأنه سخيف الطريقة بعيد من الجد قريب في الهزل، ليس للعقل من شعره منال ، ولا له في قرضه مثال ، على أنه قويم اللفظ سهل الكلام ، وشمائله نائية بالوقار عن عادته الجارية في الخسار ، وهو شريك ابن سكرة في هذه الغرامة ، وإذا جد أقعى وإذا هزل حكى الأفعى [١] .

ثانياً : أغلب الشعر الذى في الحكاية هو من شعر ابن الحجاج . ولم أستدل على ذلك بما جاء في المقدمة التي أشرنا إليها فقط ، وإنما تأكدت منه حين عارضت الحكاية مع نسخ ديوان ابن الحجاج المخطوط الموجودة مصوراته في مكتبة المجمع العلمي العراقي العامرة تحت الأرقام ٤٣٤ م إلى ٤٤٢ م ، إضافة إلى درة التاج من شعر ابن الحجاج التي كان أستاذي الدكتور علي جواد الطاهر قد حققها أثناء دراسته في باريس وكلفني بمقارنتها ثانية مع أصول الديوان .

وقد لايعني هذا الأمر شيئاً لولا أني وجدت أن أغلب ماورد من كلام نثري فاحش شاتم مأخوذ من قصائد ابن الحجاج [٢] ، هذا ونضيف أن ابن الحجاج في شعره يمتلك نفساً « قصصياً » لايمتلكه أبو حيان في نثره .

ثالثاً : **ورد في إحدى قصائد ابن الحجاج ذكر أبي القاسم بمواصفاته الموجودة في الحكاية (لنا شيخ . . . يكنى أبا القاسم) .**

رابعاً : جاء في الحكاية : (وقد أحصيت ـ أنا وجماعة في الكرخ) وجاء في الإمتاع [٣] : (وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ . .) وفي هذين التعبيرين اختلاف بيِّنٍ في المعنى ، والأول هو الأصوب والأكثر دلالة ، ثم إننا لانعلم سبباً « واحداً » يجعل أبا حيان على نزقه وقلة أصدقائه وكثرة انتقاله عن بغداد يحصي المغنين والمغنيات والغلمان ، في حين نمتلك أدلة كثيرة تسمح لنا

---

(١) الإمتاع ١٣٧/١ .

(٢) تنظر مجلة المورد العدد الخاص ببغداد ترجمة مقدمة آدم متز في للحكاية .

(٣) ١٨٣/٢

بتصور ابن الحجاج إحصائيا للمغنين وغيرهم فهو محتسب بغداد والقيّم على خراجها ، وبيده وبيد أعوانه عملية إحصاء « المغنين وغيرهم » وهو مسئول عن الضرائب التي تؤخذ منهم وعن سلوكهم وأحوالهم ، وهو بحكم وظيفته وأصالة بغداديته يعرف دروب بغداد وأحوالها ، ولغة أهلها وتعاملاتهم والمظاهر الحضارية السائدة من أماكن لهو وملابس ومراكب ومآكل وآلات وماشابه ، ولديه سجلات رسمية يستعين بها لاستخراج المعلومات الخاصة إن استعصى الأمر على ذاكرته . . وكل ذلك موجود في الحكاية محصور تقريباً في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة .

خامساً : جاء في الحكاية : « وكنا بالغمر من أرض واسط ومعنا ابن الحجاج أبو عبد الله وأبو محمد اليعقوبي وأبو الحسن ابن سكرة وأبو الحسن الجرجاني . . » .

ومن المعروف أن ابن الحجاج كان يملك أرضاً في واسط ، وقد توفي وهو منحدر إليها .

سادساً : إن حكاية أبي القاسم ظاهرة التشيع ، ومن المعروف عن ابن الحجاج أنه كان متشيعاً متعصباً ، وقد وردت في الصفحات الأولى من الحكاية قصيدتان له في هذا الموضوع ، كرر الأولى منهما في خاتمة الحكاية ، وقد جاء في الأولى :

لعن الله من يعادي علياً ... وحسيناً من سوقة وإمام

وجاء في الثانية :

أنا أبرأ من كل من أضمر الغدر بعهد الوصي يوم الغدير
أنا مولى محمد وعلي ... والإمامين شبر وشبير
أنا مولى البتول حقاً بلا غش ولا مرية ولاتقصير
أنا مولى الذي به افتتح الإسلام ... حصني قريظة والنضير
والذي هزّ باب خيبر حتى ... أيقن القوم كلهم بالثبور

بعد هذه وتلك أرى نفسي ملزماً أن أقف مقيما الملاحظات المهمة التي سجلها المستشرق آدم متز في مقدمته على الحكاية إن من حيث موضوع التحقيق أو من حيث دراسة النص وأهميته في الإبداع القصصي ، ولكني لاأشارك المستشرق الكريم في إشارته إلى وجود مؤلف باسم أبي المطهر عاش في القرن

الخامس مستدلاً على ذلك بجملة وردت في الحكاية تشير إلى شخص اسمه ابن غيلان البزاز المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وإلى نقولات يرى أنها أخذت من الهمذاني ، فالتاريخ المذكور لايعني أن الحكاية كتبت في القرن الخامس ، وأبو غيلان هذا قد يكون عاش طويلاً وكان في أيام شبابه وأنسه حين سجلت الحكاية .

كما نعتقد بأن الهمذاني هو الذي نقل عن حكاية أبي القاسم البغدادي وعن غيره ولايعقل أن يكون العكس وخاصة إذا عرفنا أن مايتشاكل عند المؤلفين يعنى بشؤون بغداد ومظاهر حضارتها ، والهمذاني لم يزر بغداد ولاتسمح له ظروفه الترحالية بالتركيز على مافي المدن التي يزورها من أماكن ومآكل ، وكل الذي سجله كان عن طريق السماع أو النقل ، وليس بعيداً أن ينقل الهمذاني عن الحكاية ، فالحكاية أقدم كما ذكرنا وهو متعود على أخذ نتاج الآخرين (١) .

والمقامة والحكاية تتشابهان في أنهما عرض حال للمجتمع وماوصل إليه ، والمجتمع هنا هو مجتمع الناس العاديين الذين لاتستر أعمالهم أبراج القصور ، وليس هنـاك من يملك القدرة على وصف أحوالهم وأمورهم مثل لصيق بهم متسلّط عليهم ، مطلع على خفاياهم ، ناطق بلهجاتهم ومفرداتهم على تعدد أصنافهم وحرفهم وطوائفهم ، وابن الحجاج صاحب كل ذلك ، فهل استطعت بأدلتي المتواضعة أن أقنع الأستاذ الشالجي الذي أشهد أنه قدم تحقيقاً ولا أفضل وتعليقات وتصويبات ولا أجمل ولا أصح ، وقد قالت العرب في أمثالها « لاتسلم الحسناء ذاما » .

* * *

---

(١٩) المستعرض لمقامات الهمذاني يجد أنه نقل أكثر من مقامه عن الحكاية كما نقل أكثر من مقامة أيضاً عن شعر المكدين وغيرهم . تنظر المقامات التالية (المصرية ، الدينارية ، الرصافية الحمزية) .